

الحكمة

في شعر بني عبد القيس

تأليف
د. محمد عثمان الملا

الدار الوطنية الجديدة



الحكمة في شعر بني عبد القيس

دراسة موضوعية وفنية للحكمة عند شعراء بني عبد القيس
في مختلف عصورهم وبيئاتهم على إمتداد التاريخ العربي

تأليف

د. محمد عثمان الملا

الاستاذ المشارك بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع

ص.ب ٣٤٩ الخبر ٣١٩٥٢

تلفون ٨٦٤٠٠٤٠ - فاكس ٨٩٨١٣٠٤

ح) الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الملا ، محمد بن عثمان

الحكمة في شعر بنى عبدالقيس - الخبر

٢٨٧ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٥-١٩-٦٩١-٩٩٦٠

١- شعر الحكمة - نقد ٢- الشعر العربي - نقد

أ- العنوان :

ديوي ٨١١,٠٠٩ ٢٠/٠٣٢٩

رقم الإيداع : ٢٠/٠٣٢٩

ردمك ٥-١٩-٦٩١-٩٩٦٠

رقم الإيداع : ٢٠/٠٣٢٩

ردمك ٥-١٩-٦٩١-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

للمنشر

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

إهداء

هذه حبات من لآلئ الخليج العربي كانت مبسوطة بين شواطئه

وقد انتظمت بهذا الكتاب فيسلك واحد

فإلى الخليجيين ، وكل من يشد الحكمة

في أدبهم ، أهدي هذا العقد

المؤلف

المقدمة

يرجع المؤرخون المهد الأول لقبيلة (عبد القيس) إلى منطقة تهامة ثم انتقلت إلى منطقة الخليج العربي في القرن الثالث الميلادي.^(١) وعلى ضفافه تفجرت طاقات الإبداع لديهم. يقول الجاحظ: وشأن عبد القيس عجب، وذلك أنهم بعد محاربة إيراد تفرقوا فرقتين، وفرقة وقعت بعمان وشق عمان وهم خطباء العرب، وفرقة وقعت بالبحرين وشق البحرين، وهم من أشعر قبيل في العرب، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرّة البادية وفي معدن الفصاحة وهذا عجب.^(٢)

لقد أنجبت هذه القبيلة الضخمة الأعداد، والمعدودة في أرحاء العرب، عددا كبيرا من الشعراء يربون على عشرة ومئة شاعر ما بين مقل ومكثر، ومع ذلك لم يجد أدبها حتى الآن من عناية الدارسين ما يكفي. وقد أخذت الحكمة من شعرهم نصيبا موفورا فكانت هاجسهم الأول، وجدناها عند أكثر شعرائهم في مختلف العصور، بدءاً بـ (المتقّب العبدى) وانتهاء بـ (محمد الخنيزي) وحيث أن هذا الزاد الأدبي الدسم لم يحظ بعناية الدارسين، ولما له من قيمة وفائدة في حياة الأفراد والجماعات، ولما لهذه القبيلة من أمجاد ومفاخر في الجاهلية والإسلام، فقد وجدت لزما عليّ أن أتصدى بالدراسة لهذا الموضوع الهام، فالحكمة ضالة المؤمن وهي كما يقول (زهدي الخواجا): تذهب عن الروح أسقامها، وتنقى آلامها، وتأسو جراحها، وتعيد إليها نضرتها وبهجتها، والنفس المهمومة تجد في الشعر الشفاء والدواء الذي يخفف من آلامها، فيرتشد الضال، وينجو الغريق من مآهات الحياة، وللحكم سلطة خفية تدفع سامعها إلى جلائل الأمور وتحثه على التخلي عن صغائرها، وكم من شجاع حمله على الكر ومنعه من الفر بيت من الشعر الحكمي.^(٣)

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/٤٨٥.

(٢) البيان والتبيين: ١/٩٦ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٣) موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري ٢١ دار الأصالة للطباعة والنشر بالرياض.

وليس عجباً من قبيلة تشيع فيها الحكمة أن تتجلب كوكبة من الأدباء وجمهرة من العلماء في أدب الدين والدنيا، إلى جانب ما أنجبتّه من أجواد وشجعان وفرسان. فقد كان منهم كما قال (عبد الملك بن مروان) أشد الناس، وأسخر الناس، وأخطب الناس، وأطوع الناس في قومه، وأحضرهم جواباً.^(٤) وكان لهم أول مسجد في جواثا أقيمت فيه الجمعة بعد مسجد الرسول (ص) بالمدينة المنورة، فاكنتسب أهمية خاصة ليس لدي عبد القيس فقط وإنما لدى جميع سكان المنطقة.^(٥) وقد تجاوزت بعض بطونهم أو أفخاذهم حدود منطقة الخليج العربي، فأقام بعضهم في الكوفة والبصرة والموصل وفارس وخراسان، أثناء حركة الفتوحات الإسلامية التي شاركوا فيها بفاعلية وحماس.

أما منهجي في البحث فقد بنيت خطته على ثلاثة فصول بعد المقدمة والتمهيد. وقد مهدت للبحث بتعريف بموطن القبيلة ونسبها وتعريف الحكمة. أما الفصل الأول، فقد تناول منابع حكمة عبد القيس، متمثلاً في أربعة منابع: الأول: المنبع الديني، ويحوي ديانة عبد القيس في الجاهلية، وإسلام عبد القيس. والثاني: المنبع الثقافي ويشمل: الوروث الثقافي الجاهلي، والموروث الثقافي الإسلامي، ومعطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال. والثالث المنبع الأجنبي ويشمل الموقع الجغرافي، والنسيج الاجتماعي والأسواق والرحلات.

أما الفصل الثاني فقد كان للحكمة وقضايا الإنسان. ويتكون من خمس قضايا، هي قضية الحياة والموت، وقضية العلاقات الاجتماعية، وقضية القيم الأخلاقية، وقضية الشؤون السياسية، وقضية الإيمان والزهد.

أما الفصل الثالث فقد تناول خصائص حكمة عبد القيس، حيث تمثلت في تسع نقاط هي: القطعة الحكيمة، والحكمة في القصيدة المركبة والحكمة في القصيدة البسيطة، والألفاظ والمعاني، والتصوير والتلوين البديعي، وخصائص أخرى تشمل: الوحدة الموضوعية، والإطالة والملاءمة، والتكرار، والصدق والواقعية. ثم ينتهي البحث بخاتمة تلخص نقاطه الهامة ونتائجه. وأخيراً فإن هذا البحث مدين للعديد من المصادر والمراجع، فالشكر الجزيل لأصحابها. كما أشكر زميلي الدكتور عبد الله العساف على ما بذله من مراجعة وعناية. والله من وراء القصد.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٣٦٥ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧١

(٥) عبد الرحيم المبارك: قبيلة عبد القيس منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي ٥٩ رسالة ماجستير - نادي الشرقية الأدبي ١٤١٥ هـ

المحتويات

- المقدمة

٥

- التمهيد

١١ (أ) وطن عبد القيس

١٢ (ب) نسب عبد القيس

١٥ (ج) تعريف الحكمة

الفصل الأول: منابع حكمة عبد القيس

٢٠ أولاً: المنبع الديني

٢١ (أ) ديانات عبد القيس في الجاهلية

٢٥ (ب) إسلام عبد القيس

٣٠ ثانياً: المنبع الثقافي

٣١ (أ) الموروث الثقافي الجاهلي

٣٧ (ب) الموروث الثقافي الإسلامي

٤٣ (ج) معطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال

٤٩ ثالثاً: المنبع الأجنبي

٥٠ (أ) الموقع الجغرافي

٥١ (ب) النسيج الاجتماعي

٥٣ (ج) الأسواق

٥٤ (د) الرحلات والهجرات

٥٨ رابعاً: التجربة الذاتية

الفصل الثاني: الحكمة وقضايا الإنسان

٦٧ أولاً: قضية الحياة والموت

٩٠ ثانياً: قضية العلاقات الاجتماعية

١٠٤	ثالثا: قضية القيم الأخلاقية
١١٦	رابعا: قضية الشؤون السياسية
١٣٤	خامسا: قضية الايمان والزهد
	الفصل الثالث: خصائص حكمة عبد القيس
١٤٥	أولا: القطعة الحكيمية
١٦٣	ثانيا: الحكمة في القصيدة المركبة
١٨٥	ثالثا: الحكمة في القصيدة البسيطة
٢٠٢	رابعا: الألفاظ والمعاني
٢٢٦	خامسا: التصوير والتلوين البديعي
	سادسا: خصائص أخرى
٢٤٢	(أ) الوحدة الموضوعية
٢٤٨	(ب)الإطالة والملاءمة
٢٥٩	(ج) التكرار
٢٦٣	(د) الصدق والواقعية
٢٧٠	الخاتمة
٢٧٧	المصادر والمراجع

التمهيد

(أ) المواطن

(ب) القبيلة

(ج) تعريف الحكمة

(أ) وطن عبد القيس

كانت ربيعة ومضر تقيمان في تهامة وغورها، فلما كثروا وتضايقوا، انتشرت ربيعة بقرن المنازل وحَضَن وعُكَاية ورُكْبة وحُنَيْن وغمرة أو طاس وذات عرق والعقيق وما والاها من نجد، معهم كندة تشاركهم في الغزو وتأخذ نصيبها من الغنائم ويتناولون أطراف الشام وناحية اليمن ويتعدون في نجعهم. وكان (عامر الضحيان بن النمر بن قاسط) منزل ربعة في انتجاعهم وهو صاحب مر باعهم، فقتله بنو عامر بن عبد القيس بغير دم أصابه. فاقتتل عبد القيس مع بنى النمر بن قاسط، ففترقت ربيعة في تلك الحرب وتمايزت، فارتحلت عبد القيس وشن بن أفصى ومن معهم، وبعثوا الرواد مرتادين فاختاروا البحرين وهجر، وضاموا من بها من اياد والأزد، وشدوا خيلهم بكر انيف النخل، حتى أجلوا اياداً إلى العراق. فقال عمرو بن أسوى الليثي بن عبد القيس بعد ذلك بزمان:

ألا بلغا عمرو بن قيس رسالة فلا تجزعن من نائب الدهر واصبر
شطحنا ايادا عن وقاع فقلصت وبكرا نفينا عن حياض المشقر

فغلبت عبد القيس على البحرين واقتسموها بينهم فنزلت (جذيمة بن عوف بن عبد القيس) الخط وأعناها ونزلت (شن بن أفصى) طرفها وأدناها إلى العراق. ونزلت (نُكره بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس) وسط القطيف وما حولها. وقال ابن شبة: نزلت (نكرة) الشفار والظهران إلى الرمل وما بين هجر إلى قطر وبينونة، وانما سميت بينونة لأنها وسط بين البحرين وعمان بينهما. ونزلت (عامر بن الحارث بن أنمار) والعمور ومعهم (عميرة بن أسد) - حلفاء لهم - الجوف والعيون والاحساء، حذاء طرف الدهناء، وخالطوا أهل هجر في دارهم، ودخلت قبائل من عبد القيس وهم (بنو زاكية بن وابلة) و(عمرو بن وديعة) و(عمرو بن نكرة) جوف عمان فصاروا شركاء للأزد في بلادهم. ^(١)

(١) البكري: معجم ما استعجم ٨٠/١ - ٨٢ - دار عالم الكتب - بيروت

وتقع ديار عبد القيس إلى الشمال من ديار أزد عمان وهي تشرف على الخليج، وتمتد نحو الشمال حتى تصل إلى منازل قبائل بكر بن وائل، وقد خالطتها قبائل أخرى، وسكنت إلى الغرب من ديار عبد القيس تميم التي تمتد ديارها موازية لديار عبد القيس الواقعة إلى شرقها حتى تصل إلى ديار بكر بن وائل وديار أسد التي تؤلف الحدود الشمالية الغربية لها^(٢)

والبحرين في الاصطلاح القديم بلاد واسعة شرقيها ساحل البحر وغربيها متصل باليمامة وشمالها متصل بالبصرة وجنوبها متاخم لعمان^(٣). وقد عاشت عبد القيس في البحرين أكثر حقبة الزمنية القديمة وصارت لها السيادة عليها خلال تلك الحقبة، ومازالت لها بقية حتى الآن، وطبيعي أن تكثر مواضعها في هذه الديار تبعا لكثرة بطونها وتنوع أفاذها، وقد انتقل بعض بنى عبد القيس إلى البصرة والكوفة والموصل عندما انشئت لتكون قواعد عسكرية للجيوش الإسلامية الفاتحة، كما استوطن بعضهم البلاد الإسلامية التي ساهموا في فتحها كفارس وخراسان وغيرهما.

(ب) نسب عبد القيس

عبد القيس قبيلة عدنانية كبيرة، ذات جذور عريقة ممتدة، وأغصان وارفة ملتفة، يرتفع نسبها إلى أفصى بن دعي بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، ويتفرع هذا النسب بادئ ذي بدء إلى فرعين ضخمين هما: اللبوء بن عبد القيس، وأفصى بن عبد القيس، واللبوء حي أو بطن عظيم يقطنون الموصل، ومن أدبائها البارزين (أبو بكر محمد) و(أبو عثمان سعيد) المعروفان بالخالدين، ولهما مؤلفات عديدة إلى جانب ديوان شعر كبير، وبتوج في فارس عدد كبير منهم، وينسب العوتى زياد الأعجم والفضل بن خالد إلى هذا الفرع الكبير. وأما أفصى فولد لكيز وشن، وهما قبيلة عبد القيس - على حد تعبير

(٢) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٢٤٠ دار العلم للملايين - بيروت ط ٢ ١٩٧٨
(٣) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ٢١٣/١ - منشورات دار اليمامة - الرياض

ابن حزم - ومن شن عمرو بن الجعيد، وهو الذى قاد عبد القيس من تهامة إلى البحرين. وكانت أكثر منازل شن شمال البحرين، ومنهم هزير بن شن أول من ثقف القنا بالخط. ومن شعرائها البارزين يزيد بن خذاق، وسويد الشنيان، وبشر بن منقذ الملقب بالأعور الشنى وعقبة بن عميرة وسويد بن رثاب وكان رثاب أكبر الحكماء في عبد القيس، ومن متأخريهم أبو البحر الخطى. وكانت سياسة بنى شن قبل الإسلام تميل إلى القوة والعنف. وشن هي التي أطبقت على اياد وزحزحتها عن البحرين، وأجلتها إلى العراق. أما لكيز فقد أنسلت بطونا كثيرة منها: وداعة وصباح ونكرة، والبطن الأخير أنجب كبار شعراء القبيلة، كالمثقب العبدى والممزق العبدى، والمفضل العبدى، وعددا من النساء الشهيرات أمثال سنية البكرية. وكانت نكرة تميل إلى السلم وتقوم بالسفارة بين القبيلة وأعدائها. وظهر من صباح رجال وفدوا إلى النبي (ص) كأبى خبرة والقائف وأياس. وكان لوداعة ثلاثة أبناء: عمرو وغنم ودهن، الذين صارت لهم بطون في عبد القيس، ومن غنم اشتهر رجال في الإسلام منهم، حكيم بن جبلة، ومن ولده يموت بن المزرع، أحد الرواه العلماء، وابنه المهلهل، من أهل العلم والرواية، وله كتاب سرقات أبى نواس، ومنهم منقذ بن حيان. وقد انحدر من عمرو بطون كثيرة منهم: محارب وعجل والديل وأنمار، ويطلق على الثلاثة الأوائل العمور، ومنهم همام بن معاوية وعبيدة بن مالك ومحارب بن مزينة الذين وفدوا على النبي (ص). ومن الديل صحرار بن عياش الخطيب والنسابة، ومنهم الصلتان العبدى، الشاعر والفارس. واشتهر بنو عجل بالخطابة والشعر والرياسة فكان منهم آل صوحان، وأشهرهم صعصعة وزيد، ويذكر ابن قتيبة أن بني صوحان ومصقلة بن رقة من ولد الديل من أهل عمان، وأن منهم آل المعذل بالبصرة، وآل رقة ويقال أن خطبة آل رقة في الجاهلية كانت بمثابة دستور هام لعبد القيس، ومنهم الشاعر عمرو بن أسوى، والمعذل بن غيلان، شاعر في العصر الأموي، وله أحد عشر ولدا كلهم شعراء، منهم عبد الصمد بن العذل وأحمد بن المعذل في العصر العباسي، ومنهم زخارة الذي رأس عبد القيس حتى مات، ومنهم من

أصحاب الوفد سفيان بن خولى. أما أنمار فقد ولد له كثيرون منهم الحارث وعوف، ومن ولد الحارث بنو عامر بن الحارث، أسرة العيونى التي حكمت البحرين في العقد السابع من القرن الخامس وانتهت في العقد الرابع من القرن السابع للهجرة، ومنها ابن المقرب. الشاعر المعروف، ومن ولد الصيق بن ثابت بن مرة، مهزم ومن أحفاده عبد الله بن أحمد، راوية أهل البصرة المعروف بأبي هفان، صاحب كتاب أخبار أبى نواس ومن بنى مالك عامر العريان بن إبراهيم الذي انتهت إليه الزعامة. ومن بنى سلمة بن مرة ثعلبة الذي يقال له ابن أم حزنه. ومن عوف بن أنمار الربيع بن حوثره الذي قيل أنه تولى البحرين من لدن عمرو بن هند. ومنهم أيضا بنو عمرو ومنهم الأشج الذي ترأس وفد عبد القيس إلى النبي (ص)، ووصفه بالحلم والأناة^(٤)، وكان في الوفد عمرو بن المرجوم الذي فاخرا أبوه رجلا من قومه عند بعض ملوك الحيرة فقال له لقد رجمتك بالشرف فسمى مرجوما. قال ليبد^(٥):

وقبيل بن لكيز شاهد رهط مرجوم ورهط بن المعل

ومنهم معبد بن وهب الذي شهد بدرا وقاتل فيها بسيفين فقال النبي (ص) يا لهف نفسي على فتیان عبد القيس أما أنهم أسد الله في أرضه^(٦). ومن عوف، كذلك بنو جذيمة ومنهم بشر بن عمرو الملقب بالجارود العبدى، وكان خطيبا وحكيما وسيدا من سادات عبد القيس، وقيل أن جده حكم البحرين زمن الملك عمرو بن هند، وللجارود صحبة ومكانة من النبي (ص) ومن أبى بكر وعمر، وكان فاضلا في الإسلام، وله في البصرة عقب لهم شرف وحال عليّة كما يقول ابن حزم، وابنه المنذر بن الجارود، استعمله علي على فارس وعبد الله بن الجارود الذي ثار على الحجاج وقتله، ومنهم أبو غيلان الحكم بن المنذر سيد عبد القيس، ويقول فيه الحرمازى^(٧):

يا حكم بن المنذر بن الجارود سراق المجد عليك ممدود

(٤) ابن تراب الظاهري: وفود الاسلام ص ٢٧. دار القبلة ط ٤ - ١٤٠٤ هـ.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين: ٢٦٦/١ - مكتبة الخانجي ط ٤ - ١٣٩٥ هـ.

(٦) ابن حجر: الاصابة ١٣٤/٦ - دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ - ١٤١٥ هـ.

(٧) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٢٩٦ - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر.

ومن ولد عوف: بنو جذيمة، ورئيسهم على بن مسمار، وكانوا أهل القطيف وملوكها، قديما. ومن عجل بن عمرو قرط بن الجماح الذي شهد القادسية، وقتل سبعة من الأعلاج. ومن بني الحارث حطمة الذي تنسب إليه الدروع الحطمية، والحارث بن زيد وفد هو وأخوه على النبي (ص)، وعبيدة وهمام وفدا أيضا، وحسان بن يزيد وسفيان بن الحارث ذكرا في جماعة الوفد، ومنهم عياش بن سعيد رئيس بني الحارث، وكان منزله بالجبل المعروف قديما بالشعبان وحاليا بجبل القارة بالاحساء، ومنهم يحيى بن عياش غلب على القطيف، وابنه زكريا أخذ البحرين من أبي البهلول العوام. ومن علماء عبد القيس بالولاء الرقام العبدى صاحب كتاب (العفو والاعتذار)، والهيل بن العلاف. وينتسب إلى عبد القيس في الوقت الحاضر آل نهابة وآل شكر وآل الأشقر وآل غردقة من بني حجاج في الاحساء وآل خنيزى في القطيف، وهي من الأسر العلمية والأدبية المرموقة، كما ينتهي إلى عبد القيس العمائر المعدودون في بني خالد. ^(٨)

(ج) تعريف الحكمة

جاء في أساس البلاغة أن أصل الحكمة مشتق من قولهم حكم الفرس أو أحكمه، ثم ينقل الزمخشري لنا معنى الحكمة فيقول حكموه جعلوه حكما، ورجل محكم، مجرب منسوب إلى الحكمة وحاكمته إلى القاضي رافعته، وهو يتولي الحكومات ويفصل الخصومات، وحكم الرجل مثل حلم صار حكيما، وأحكمته التجارب جعلته حكيما. وفي اللسان: الحكمة من العلم، والحكيم العالم، وصاحب الحكمة هو المتقن للأمور. وفي تاج العروس: الحكيم المصيب برأيه الذي يقضى على شيء بشيء وهو الذي يحسن دقائق الصناعات. وهكذا نجد أن لفظة الحكمة شاملة للمعرفة الدقيقة بكل ما يتصل بأمور الدنيا والدين من معارف أو أحكام، ولهذا جعلوا الحكمة اسما للعقل لأنه يمنع صاحبه من الجهل، فهي جوهر المعرفة.

(٨) انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٩٥ - دار المعارف بمصر. والعوتي: الأنساب ١/ ١٤٧ وابن الكلبي: جمهرة النسب: ٤٠٣. وابن قتيبة: المعارف ٩٣. والعبد القادر: تاريخ الاحساء ٣٧. ومقدمة ديوان سعيد الخنيزي: مدينة الدراري ١٠، وابن حجر: الإصابة: ٦/ ١٣٤ - دار الكتب العلمية - بيروت. وحمد الجاسر: المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية: ٦٠/١ - دار اليمامة بالرياض ١٣٩٩هـ.

ويكاد الساميون يتفوقون على مصطلح الحكمة، فالحكيم عندهم هو العالم الذكي الذي ينظر بعين البصيرة إلى أعماق الأمور، بتودة وتبصر وأناة، فيبدي رأيه في كل شيء في الحياة، ولهذا كان الحكماء على رأس الهرم الاجتماعي من جهة الرأي والثقافة. ويتفق العرب مع غيرهم على أن الغاية من الحكمة التبصر في الأمور، واستقراء الحوادث ودراستها لاستخراج التجارب منها والحكم بموجبها. أما مكانة الحكيم عند العرب، فقد كانت تشبه مكانة الفيلسوف عند اليونان، إلا أن ذلك لا يعني أن الحكمة والفلسفة بمعنى واحد، فبينهما اختلاف كبير في أسلوب البحث، وفي كيفية التوصل إلى النتائج والمعرفة، وفي الغاية المقصودة من كل منها. فالغاية من الحكمة العظة والعبرة والأخذ بما جاء من الحكم أي غايات عملية تأديبية، بينما الغاية من الفلسفة البحث في معنى الحكمة وعما يكون وراء الطبيعة من خفايا غير مكشوفة وأسرار، على أن الفلسفة الشعرية تختلف، فالفلسفة الشعرية هي البحث عن حقائق الأشياء وليس شرطاً للوصول إلى كنهها. ولكل إنسان فلسفة في هذه الحياة ولو لم يتعمدها أو عجز عن التعبير عن سماتها، ويختلف مدى عمقها باختلاف مستوي الأفراد وقدراتهم الفكرية ومدى تحصيلهم لذلك النوع من المعارف الإنسانية، ولا يطلب من الشاعر الحكيم أن يلبس زي الفلاسفة، أو ينعزل في صومعتها يرسل منها خلاصة مبادئه جاهداً للدلاء بالبراهين على صحة ما يأتي به، ولكن لكل شاعر رؤية فلسفية ومنهج في الحياة، وخاصة شعراء الحكمة الذين يجنحون بحكمهم إلى مسارب الفلسفة، ويعالجون أموراً فلسفية من خلال تأملاتهم وحكمهم التي تتجه إلى المجتمع والكون والحياة، ويمكن تصور الحكمة في الشعر العربي داخل إطارين: الأول تحوي كل تجارب الإنسان في أمور حياته، وما استخلصه من هذه التجارب من نتائج صاغها في منظوماته، فهو إطار شامل يعرض لأمر منوعة من مثل خلاصة تجارب الإنسان في الحرب والسلام، وفي السعي إلى الرزق، وفي المعاملات، وفي علاقة الرجل بالمرأة، وفي العلاقات الشخصية وما إلى ذلك. والثاني يكاد يختص بعلاقة الإنسان بالكون وكل ما يتعلق بالجانب الخلقى والقيم الإنسانية العليا، وهو إطار خاص محدود يقول (محمد عويس):

ونظن أن هذا الإطار الأخير هو الذي شغل النقاد القدماء حين نظروا إلى الحكمة في الشعر العربي فقالوا: من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ، ويجعل ابن رشيق شعر الحكمة على قمة الشعر العربي من حيث الغاية الخلقية التي يرمي إليها، إلا أنه يضيق دائرته فيقول الشعر خير كله، وذلك ما كان في باب التزهيد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به بالخير. ويقول محمد عويس: ومثل هذا التقسيم قد يتفق مع الغاية التربوية للأدب ولكنه لا يوفر في نظرنا أساسا صالحا لبحث موضوع الحكمة في الشعر العربي بحثا مستفيضا، ذلك أن أي تجربة إنسانية تؤدي إلى حكمة ما تفيد الآخرين، ومن ثم لا نستطيع اغفال التجارب الإنسانية التي عرضها الشعراء في غير موضوعات المواعظ والزهد. ثم يعقد صلة بين الحكمة والزهد فيرى أن الأولى أصل والثاني فرع، فمن الحكمة تولد الحديث عن الزهد، وهي صلة تمثل غاية سامية ذات سمات خلقية، تتعلق بفكر الإنسان ونظره في الكون، وحقيقة الخلق والخالق عز وجل. ويشمل حديث الحكمة كل ما صدر عن الشاعر من وصف لخلاصة تجربة إنسانية في أي مجال من مجالات الحياة. ويميز زهدى الخواجا بين الحكمة والمثل في أن المثل يرتبط أساسه بحادثة أو قصة وهو قول محكى سائد يقصد فيه تشبيه مضربه بمورده، وليس هذا من مقومات الحكمة حتما كما يقول. أما د. عويس فيرى أن الصلة بين الحكمة والمثل صلة الأصل بالفرع، فالأصل هو الحكمة التي جاء منها الفرع وهو المثل، ثم يقول: والباحثون يتفقون على أن أدب الحكمة أعم من أدب الأمثال وبه القصص والنودار. وتبدأ الحكمة عند الشاعر بموضات فكرية يسلطها على مجريات الحياة والوجود، فينفعل بما يجري من أحداث أو بما هو كائن من أمور، فيتأثر بها فيردها ثانية إلى فكره ومنطقه ويخضعها لعواطفه فيحللها بمزاجه التكويني، وتتعرض لوضعه النفسي ومكانته الفكرية، وهنا يبرز إلهامه في استنباط العظة التي يردها بين الفكر والعاطفة، حتى تستسلم للإلهام الشعري بعد صدورها عن وصفه الشعري في السبك، ومدى ما يتمتع به من بيان. ولا يخفي أثر القناعة وصدق العاطفة في نجاح الحكمة وقوة تأثيرها في النفوس.

والخلاصة أن الحكمة قول موجز بليغ رائع صائب الفكرة دقيق التعبير يتضمن حكما صحيحا مسلما به أو عظة نافعة وعلما مفيدا أو توجيها سليما إلى جانب من جوانب السلوك يصدر من ذى رأي وتجربة، وتكون الحكمة أعظم أثرا عندما يصوغها شاعر له القدرة على التعرف على المعاني والابداع في الأسلوب. (٩)

ودرستنا للحكمة في شعر عبد القيس ستشمل ما جاء منها في مقطوعاتهم وقصائدهم المركبة والقصائد المستقلة بموضوع الحكمة التي تحمل خلاصة تجارب القوم في شؤون حياتهم بمظاهرها العامة والخاصة كافة، بما في ذلك الحديث عن الزهد والمواعظ والأمثال والقيم والمنل والتأملات والخطرات الفلسفية.

(٩) انظر لمحمد عويس: الحكمة في الشعر العربي ص ١ وما بعدها ، ولزهدى الخواجا: موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر المعري ص ١٨

إِفْصِلْكَ الْإِوَلَّ

مَنَابِعُ حِكْمَةِ عَبْدِ الْقَيْسِ

أولاً: المنبع الدينى

(أ) ديانة عبد القيس في الجاهلية

(ب) إسلام عبد القيس

(أ) ديانات عبد القيس في الجاهلية

تقلبت عقيدة أهل شط عبد القيس في الجاهلية ما بين وثنية ويهودية ومسيحية، ويأتي هذا التعدد من أن البيئة التي عاش فيها العبديون - وهي البحرين - كانت ملتقى حضارات العالم القديم، ومركزا تجاريا هاما أتاح للشعوب التي ترددت عليها أن تتبادل الآراء والأفكار، مما ساعد على انتشار هذه الديانات فيها. ويرجح المؤرخون أن يكون عمرو بن لحي الخزاعي أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان حول الكعبة ونشرها في بلاد العرب ثم انتشرت في البحرين ومنطقة الخليج^(١)، وفي المحبر لابن حبيب أن عبد القيس كانت تعبد صنما بالمشقر يدعي (ذا اللباء) وسدنة هذا الصنم بنو عامر، وكانت تلبية من نسك ذا اللباء لبيك فاصرفن عنا مضر، وسلمن لنا هذا السفر، إن عما فيهم لمزدجر واكفنا اللهم أرباب هجر^(٢) كما عبدت (قيس) الصنم الذي تنسب إليه القبيلة، وكان بهجر ثم نقل إلى أوال، وعبدت مع بكر (عوض) و(أوال).^(٣) وقد ظهرت اليهودية في البحرين ولكن في حدود ضيقة، وقد بقي هؤلاء اليهود على دينهم بعد ظهور الاسلام، ولم يتعرض أحد لهم بأذى، ولم يخرجوا مع من أخرج من الجزيرة العربية في خلافة عمر بن الخطاب، ولعلمهم اندمجوا في المجتمع الخليجي، وقد عملوا في التجارة واشتهر منهم في هجر ابن يامين الذي كان يملك عددا من السفن وبساتين النخيل.^(٤) أما العقيدة السماوية الرئيسية التي اعتنقتها عبد القيس في الجاهلية فهي المسيحية، ولعلها أتت إلى الخليج العربي عن طريق العراق، حيث كان المناذرة يدينون بالمذهب النسطوري^(٥)، وكانت منطقة البحرين آنذاك تحت نفوذهم. وكان للأديرة دور بارز في انتشار المسيحية في هذه المنطقة، حيث كانت هذه الأديرة محطات استراحة يأوى إليها التجار المسافرون، ويجدون فيها حاجاتهم من الطعام والشراب، وكانت ربيعة في مقدمة القبائل العربية التي دخلت في المسيحية

(١) محمد العقيلي: الخليج العربي في العصور الاسلامية: ٤٧ دار الفكر اللبناني.

(٢) ص ٣١٤ - المكتب التجاري - بيروت.

(٣) المعيني: شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي ص: ٨٠ قسم الدراسة - رسالة ماجستير مخطوطة بآداب القاهرة

(٤) محمد العقيلي: الخليج في العصور الاسلامية: ٥١

(٥) نفسه: ٤٩

حيث اعتنقها أكثر بطونها وأفخاذها، وعلى رأسها عبد القيس، فقد كان الجارود بن المعلي مسيحيا وكان قومه على دينه ^(٦).

وفي الروض الأنف للسهيلي عند حديثه عن شعر عدي بن زيد يقول: العبادي نسب إلى العباد وهم من عبد القيس بن أفصى بن ربيعة، قيل: إنهم انتسلوا من أربعة عبد المسيح وعبد كلال وعبد الله وعبد ياليل وكذلك سائرهم في اسم كل واحد منهم عبد، وكانوا قدموا على ملك فتسموا له فقال أنتم العباد فسموا بذلك، وقيل غير هذا. ويمضي قائلا: وفي الحديث المسند أبعد الناس عن الاسلام الروم والعباد، وأحسبهم هؤلاء لأنهم تنصروا وهم من ربيعة ثم من بني عبد القيس، والله أعلم. ثم يقول وذكر الطبري نسب عدي بن زيد في تميم، وقد دخل هؤلاء في العباد فلذلك ينسب إليهم ^(٧). وهذا القول وإن كان فيه بعض التخليط وعدم الدقة، حين ينسب عدي بن زيد إلى عبد القيس، وحين ينسبهم إلى العباد المعنيين في الحديث المسند، مع أن الألوسي يقول: وقد اجتمع علي النصرانية في الحيرة قبائل شتي من العرب يقال لهم العباد، وحين ينسب إلى عبد القيس الأسماء الأربعة المبتدئة بعبد، حيث لم أفق على هذه الأسماء في عبد القيس، في جميع ما اطلعت عليه من كتب الأنساب، أقول إن قول السهيلي برغم ما فيه من خلط يدل علي انتشار المسيحية في ربيعة ثم في بني عبد القيس، واشتعارها بذلك في الجاهلية. وقد ذهب المسعودي إلى أبعد من ذلك حين نسب الراهب يحيرا إلى العبيدين فقال ومنهم بحيري الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح واسم بحيرا في النصاري جرجس وكان من عبد القيس ^(٨). أما رثاب الشني فقد اجمعت المصادر علي أنه من عبد القيس، إلا أنها اختلفت في عقيدته، فمنهم من ذهب إلى أنه على دين عيسى عليه السلام كابن دريد والمسعودي الذي يقول: وممن كان في الفترة رثاب الشني وكان من عبد القيس ثم من شن، وكان علي دين المسيح قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا مناديا من السماء قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم خير أهل الأرض ثلاثة رثاب الشني وبحيرا الراهب ورجل آخر لم

(٦) المصدر السابق: ٤٨.

(٧) ٨٦/١: مكتبة الكليات الأزهرية.

(٨) مروج الذهب: ٧٥/١ - دار الفكر.

يأت بعد يعني النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لا يموت أحد من ولد رثاب فيدفن إلا رأوا طشا على قبره^(٩)، ومنهم من ذهب إلى تحنيفه وأنه من الحنفاء الجاهليين الذين عرفوا التوحيد وأقروا بالخالق وصدقوا بالبعث والنشور ودعوا إلى الله ونبهوا قومهم على آياته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم. ويذكر ابن حزم أن قوم البراء يصفون صاحبهم بأنه كان نبيا^(١٠) وينسبون إليه قوله الحمد لله الذي رفع السماء بغير منار وشق الأرض بغير محفار^(١١)، ولعل هذه العبارة جزء من المواعظ والخطب التي كان يذكر بها قومه بين الحين والحين. يقول ابن عبد ربه عن رثاب الشني: ممن وحد الله في الجاهلية وسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس، وكان يسقي قبر كل من مات من ولده، وفي ذلك يقول الحجين بن عبد الله^(١٢):

ومنا الذي المبعوث يعرف نسله إذا مات منهم ميت جيد بالقطر

رثاب وأنى للبرية كلها بمثل رثاب حين يخطر بالسمر

ومن أشهر الأديرة التي ساهمت في انتشار المسيحية بالخليج العربي مطرنة في قطر تسمى بيت قطرايا^(١٣)، وكان يتبعها عدد من الأسقفيات تغطي مساحة كبيرة من قطر الحالية، وكان أكبر أسقفية في بيت قطرايا أسقفية (سماهيح) كما كان في هجر ودارين أسقفيات أخرى^(١٤). وهناك شخصية عربية مشهورة تضاربت الآراء حول موطنها كما تضاربت حول نسبها وعقيدتها، وهي شخصية قس بن ساعدة الأيادي، فمنهم من يري أنه من نجران، ومنهم من يذهب إلى أنه من البحرين، بدليل سؤال رسول الله عنه وفد عبد القيس واجابتهم بمعرفتهم اياه واتصالهم به. ففي سيرة ابن سيد الناس بسنده إلى ابن عباس قال قدم الجارود بن عبد الله، وكان سيدا في قومه إلى آخر الرواية التي تقول فسر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف قسا قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا (يعني الجارود) من بين القوم كنت أقفوا أثره^(١٥)

(٩) المصدر السابق : ٦٨ / ١

(١٠) جمهرة أنساب العرب: ٢٩٩ - دار المعارف بمصر

(١١) الكلبي: جمهرة النسب: ٥٩٤ - عالم الكتب - بيروت

(١٢) العقد الفريد: ٣ / ٣٥٧ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

(١٣) العقيلي: الخليج في العصور الإسلامية: ٤٨ و ٤٩

(١٤) نفسه: ٤٩

(١٥) الألويسي: بلوغ الارب: ٢ / ٢٤٤ دار الكتب العلمية - بيروت

والمعروف أن قبيلة قس وهي إباد كانت تقيم في البحرين إلى أن أخرجتها عبد القيس منها بعد حين، فولت وجهها شطر العراق، وربما بقيت منها بقية في بلدها الأصلي (البحرين) وقد ذهب كثير من الاخباريين والدارسين إلى أن قسا يدين بالمسيحية وأنه كان أسقف نجران ويقطع (لامانس) في كتابه عن يزيد ببطلان ذلك ويذكر أنه لم يكن له صلة بنجران^(١٦). فإذا لم تكن له صلة بنجران كما يقول (لامانس) فهل هناك ما يمنع أن يكون مقامه في البحرين! وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس عنه وهم من البحرين يرجح هذا الاحتمال، وينفي أحد الدارسين المحدثين كون قس مسيحيا ويرى أنه من الحنفاء فيقول: ويظهر مما نسب إليه أنه كان علي عقيدة التوحيد يقسم بالله ويحض علي ترك مفسد عصره والظلم ويضمن آراءه حديثا عن الموت والبعث والحساب^(١٧). وقد حاول بعضهم أن يسلكه في عداد النصاري فجعل منه راهبا نصرانيا، بيد أنه لا دليل علي ذلك، وذهب شبنكر إلى أن قسا كان من الركوسية، وهم فرقة عرفهم أهل اللغة بأنهم بين دين النصاري والصابئين، شملت جماعة من الحائرين في أمر دينهم، ولذلك عمدوا إلى السياحة والترهيب والانزواء، وقد حسبهم العرب نصاري فأدخلوهم فيهم في أثناء كلامهم عن هؤلاء^(١٨). وفي بلوغ الارب عن قس أنه أول من تأله من العرب (أي تعبد)^(١٩) وكان النبي صلى الله عليه وسلم معجبا به وبفصاحته وبلاغته الدالة على سمو أفكاره، وفي خطبه وأشعاره ترديد للموت وتذكير به ودعوة إلى التأمل في ملكوت الله والاتعاظ والاعتبار بكل ذلك، وقد ذكر أن قسا أحد المعمرين الذي امتد به العمر إلى مئتين من السنين فإذا صح ذلك فإن قوة تأثيره فيمن حوله تكون أشد وأكثر^(٢٠).

(١٦) أحمد أمين: فجر الاسلام: ٢٦ - مكتبة النهضة المصرية (١٧) الألويسي: بلوغ الارب: ٢٤٤/٢

(١٨) أحمد العمري: الشعراء الحنفاء: ٨٨-دار المعارف ط ١٩٨١

(١٩) الألويسي: ٢٤٦/٢

(٢٠) نفسه

(ب) اسلام عبد القيس

كان الحس الديني لدي عبد القيس قويا، وليس ذلك بغريب، فقد نشؤوا في بيئة فكرية خصبة تجمع شتى الأديان والعقائد - كما رأينا فيما سبق - وعلى الرغم من أن كثيرا منهم كان يدين بالنصرانية، إلا أن ذلك لم يكن بالدين الذي تطمئن إليه قلوبهم وتشرح له صدورهم، فما أن بدأ الاسلام في الظهور، وسمعوا بظهوره حتى هبوا إليه مسرعين، فكانوا من الفوج الأول الذي دخل فيه، وكان لهم أول مسجد أقيمت فيه الجمعة بعد مسجد الرسول (ص) بالمدينة المنورة، وفي ذلك يقول شاعرهم ^(١):

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا

أيام لا مسجد للناس تعرفه

إلا بطيبة والمحجوج ذى الحجب

وتبدأ قصة إسلامهم عندما كان المنذر بن عائد العبدي على صلة براهب دارين، وقد أخبره هذا الراهب بأن نبيا يخرج من مكة بدين الاسلام الحق، وأطلعته على صفاته وعلاماته مما جعل المنذر يتتبع أخباره، فلما سمع بظهوره في مكة أرسل ابن أخته عمرو بن عبد القيس - وهو زوج ابنته - أمامه إلى هناك ليتحقق له من هذا الأمر، وبعث معه تمرا وملاحف لبيعها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأتاه بتمر فقال هذا صدقه فلم يقبله، فبعث إليه بغيره، وقال هذا هدية فقبله، وتلفت حتى نظر إلى ما بين كتفيه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام فأسلم وعامه الحمد وأقرأ باسم ربك الذي خلق، وقال له ادع خالك، ورجع إلى البحرين ودخل منزله بتحية الإسلام، وجاء الأشج إلى عمرو فأخبره فأسلم الأشج وكنما اسلامهما حيناً ^(٢). وقد ذكر سبب إسلام عبد القيس برواية أخرى، وتقول هذه الرواية أن أحد بني غنم بن وديعة واسمه منقذ بن حيان العبدي - ابن أخت الأشج - كان يذهب بتجارته إلى المدينة، وبينما كان منقذ جالسا إذ مر به النبي صلى الله عليه وسلم فنهض إليه منقذ، فقال كيف قومك؟، ثم سأله عن أشرفهم رجلاً رجلاً بأسمائهم، فأسلم منقذ وتعلم الفاتحة وسورة اقرأ، وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) العبد القادر: تاريخ الاحساء ١١/١ - مكتبة المعارف بالرياض.

(٢) ابن حجر: الإصابة: ٣/٣٣٠

لجماعة عبد القيس كتابا، فلما دخل إلى قومه كتهم إياه، وكان يصلي، فقالت زوجته لأبيها المنذر بن عائذ - وهو الأشج - أني انكرت فعل بعلي منذ قدم من يثرب أنه ليغسل أطرافه ثم يستقبل الكعبة فيحني ظهره مره ويضع جبينه على الأرض أخرى، فاجتمعا وتحادثا في ذلك، فوقع الاسلام في قلبه، ثم أخذ المنذر كتابه، وذهب إلى قومه وقرأه عليهم، فأسلموا، وأجمعوا السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) وفي سنة ست من الهجرة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البحرين العلاء بن الحضرمي برسالة إلى أميرها المنذر بن ساوى يدعو فيه إلى الاسلام فأسلم وأسلم معه كثير من العرب من أهل البحرين وبعض العجم، كما بعث معه كتابا آخر يدعو فيه عشرين رجلا من أهل هجر للقدوم عليه فسار اليه في سنة سبع من الهجرة جماعة من عبد القيس، قيل أن عددهم ثلاثة عشر، وقيل أكثر من ذلك، وهم (المنذر بن عائذ) رئيس الوفد و(المنذر بن حيان) و(مزيده بن مالك) و(عمرو بن مرجوم) و(الحارث بن شبيب) و(عبيده بن همام) و(الحارث بن جندب) و(صحرار بن العياش) و(عقبة بن جروة) و(الجهم بن قثم) و(جويريه العبدي) و(رستم العبدي) و(الزراع بن عامر)^(٤). ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى الأفق صبيحة قدوم الوفد، وقال لياأتين ركب لم يكرهوا على الاسلام، وقد أنضوا الركاب وأفنو الزاد بصاحبهم علامة، اللهم أغفر لعبد القيس، أتوني لا يسألوني مالا، وهم خير أهل المشرق^(٥). ولما وصلوا قيل يا رسول الله هؤلاء وفد عبد القيس، قال مرحبا بهم نعم القوم عبد القيس، ولما قدم الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمن القوم؟ قالوا من ربيعة، قال مرحبا بالوفد غير الخزاييا ولا الندامي^(٦). وقال الرسول للوفد تبايعون على أنفسكم وعلي قومكم؟ فقالوا نعم، فقال (الأشج) يا رسول الله انك لن تزايل الرجل عن شيء أشد عليه من دينه، نبايحك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم فمن أتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، فقال صلى الله عليه وسلم صدقت، وكان

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨١/١ - دار احياء التراث العربي - بيروت

(٤) العبد القادر: تاريخ الاحساء ٦٣-٦٠/١

(٥) النويري: نهاية الادب: ٦٦/١٨ مصورة عن دار الكتب المصرية

(٦) أبو تراب الظاهري: وفود الاسلام ٢٧ و٢٨ - دار القبلة ط ١٤٠٤ هـ

الأشج دميما، فلما نظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دمامته قال يا رسول الله أنه لا يستقي في مسوح الرجال إنما يحتاج من الرجل إلى أصغرية لسانه وقلبه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة^(٧). ثم توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى القبلة واخذ يدعو لعبد القيس، وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأنصار وقال يا معشر الأنصار أكرموا اخوانكم فانهم أشباهكم في الاسلام أشبه شينا بكم أشعارا وإبشارا، فلما أصبحوا قال كيف رأيتم كرامة اخوانكم لكم قالوا خير اخوان الأنوا فرشنا وأطابوا مطعمنا وباتوا وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم فأعجبت مقالتهم النبي وفرح بها، ثم أقبل علينا رجلا رجلا فعرضنا عليه ما تعلمنا وعلمنا فمننا من علم التحيات وأم الكتاب والسورة والسورتين والسنن^(٨)، وقد بقي الوفد في ضيافة رسول الله عشرة أيام، وكان الأشج يسائل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفقه والقرآن، وكان رسول الله يدنيه منه اذا جلس، وكان يأتي أبي بن كعب فيقرأ عليه وأمر رسول الله للوفد بجوائز وفضل عليهم الأشج فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ونشا، وكان ذلك أكثر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيز به الوفد^(٩)، وقد أبدى للرسول صلى الله عليه وسلم صعوبة الوصول إليه في غير الأشهر الحرم، وبعد الشقة بينهم وبينه، مع حاجاتهم إلى علمه وتوجيهاته، فقالوا يا رسول الله إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وإنا لا نصل إليك إلا في الأشهر الحرم، فمرنا بأمر فصل نأخذ به ونأمر به من وراءنا. فقال أمركم بأربع بالإيمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من النعم، وأنهاكم عن الانتباز في الدبا والحنتم والمزفت والنقير قال احفظوهن وخبروا بهن من وراءكم^(١٠).

(٧) المصدر السابق ٣٢

(٨) مسند الامام أحمد ٤٣٢/٣ - المكتب الاسلامي - بيروت

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥٥٨/٥ - دار صادر - بيروت

(١٠) ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة: ٥٩٠ و ٥٩١

وفي الاصابة أن الوفد مكث إلى ما بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، وبعد الفتح عادوا إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي الذي بعثه الرسول برسالة إلى المنذر بن ساوى وحولوا البيعة مسجدا^(١١)، وفي السنة التاسعة أو العاشرة للهجرة قام (الجارود بن المعلي العبدي) بوفادة على رسول صلى الله عليه وسلم مع رجال من بني عبد القيس ذوي آراء وأسنان وفصاحة وبيان وحجج وبرهان، فلما بلغوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف (الجارود) بين يديه وأنشد أبياتا أولها:

يا نبي الهدي أنتك رجال قطع فدا وألا فالأ

فأدناه النبي صلى الله عليه وسلم منه وقرب مجلسه، فقال له: يا جارود لقد تأخر الموعود بك وبقومك، فقال فداك أبي وأمي أما من تأخر فقد فاتته حظه، وتلك أعظم عقوبة وأغلب حوبه، واني الآن على دين (يعني النصرانية) قد جئتكم به وها أنا تاركه لدينك، أفذلك ما يحق الذنوب ويرضى الرب عن المربوب، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم فأنا ضامن لك ذلك، فأخلص الآن الوحداية ودع عنك دين النصرانية، فقال الجارود فداك أبي وأمي فأنا أشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له، وأنتك محمد عبده ورسوله فأسلم وأسلم من معه من رجال قومه. فسر النبي بهم وبإسلامهم، وأظهر من أكرامهم ما سروا به، وأقام الجارود في المدينة حتي فقه في الدين، فلما عاد إلى البحرين دعا قومه إلى الاسلام فأسلموا جميعا^(١٢). وقد افتخر شعراء عبد القيس بسبقهم إلى الاسلام وبرجالهم اللامعين. يقول أحدهم^(١٣):

منا صحار والأشج كلاهما	حقا بصدق قالة المتكلم
سبقا الوفود إلى النبي فهللا	بالخير فوق الناجيات الرسم
في عصبة من عبد القيس أوجفوا	طوعا إليه وحدهم لم يكلم
فمحمد يوم الحساب شهيدنا	ولنا البراءة من عذاب جهنم

وعندما اجتاحت عاصفة الارتداد أنحاء الجزيرة العربية، وارتد العديد من القبائل عن

(١١) ابن حجر: ١٧١/٢

(١٢) العبد القادر: تاريخ الاحساء ٢٩٦

(١٣) علي الخطيب: تاريخ من دفن بالعراق من الصحابة: ١٩١

الاسلام، في أعقاب وفاة رسول الله (ص) ثبتت عبد القيس علي اسلامها، وشاركت في حرب المرتدين، وأعادتهم إلى ظلال الاسلام، مع العلاء بن الحضرمي، يقول كرار النكري: (١٤)

هاب العلاء حياض البحر مقتحما فحضت قدما إلى كفار دارينا
وقد تمكنت عبد القيس فيما بعد من القضاء علي القرامطة في البحرين بأيدي
أبنائها العيونيين.

وفي ذلك يقول ابن المقرب العيوني (١٥)

سل القرامط من شطى جماجمهم فلقا وغادرهم بعد العلا خدما

(١٤) البلاذري: فتوح البلدان ١٠٤/١ - مكتبة النهضة المصرية، وابن حجر العسقلاني: الإصابة: ١٩٦/٣ تحقيق عبد الموجود ومعوض - دار الكتب العلمية - بيروت.
(١٥) ديوانه: ٥٣١ - مكتبة التعاون الثقافي بالاحساء.

ثانياً: المنبع الثقافي

(أ) الموروث الثقافي الجاهلي

(ب) الموروث الثقافي الاسلامي

(ج) معطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال

(أ) الموروث الثقافي الجاهلي:

كان جانب الثقافة في حياة عبد القيس في العصر الجاهلي، وما ورثوه من ذلك، أحد منابع الهامة لحكمتهم، فقد مكنتهم البيئة الحضرية التي عاشوا فيها من الالمام بشتي صنوف المعرفة الانسانية المعروفة في عصرهم، حتى نبغ فيهم الكاهن والحكيم والصانع والمصلح والخطيب والشاعر. فقد كان الجعيد بن صبرة الشني أحد حكام العرب المشهورين في الجاهلية^(١). وكان رثاب الشني من حنفائهم الحكماء، حتى اعتبرته عبد القيس في الجاهلية نبيا لكثرة ما جرى علي لسانه من الحكمة.^(٢) وعند كلام المسعودي عن أهل الفترة يقول: ومنهم الراهب بحيرا وكان مؤمنا علي دين المسيح عيسي بن مريم، وكان من عبد القيس^(٣). وقد عرف بنو عبد القيس (قس بن ساعده) وألموا بأخباره، وهو كما قيل أول من أمن بالبعث، وأول من قال أما بعد، وأول من كتب من فلان إلى فلان، وله أشعار كثيرة وحكم وأخبار تبصر في الطب والزجر والفأل وأنواع الحكم^(٤). وكان أبو محصن بن ثعلبة سيدا خطيرا حتى قيل له المصلح، لأنه قام بالإصلاح بين بكر وتغلب، وهو جد المتقّب العبدى وفيه يقول: ^(٥)

أبي أصلح الحيين بكرا وتغلبا وقد أرعشت بكر وخف حلومها
وقام بصلح بين عوف بن عامر وخطة فصل ما يعاب زعيمها

ومن بني محارب من عبد القيس (الحطمة بن محارب) الذي تنسب اليه الدروع الحطمية، ومن بني شن بن أفصي (هزيز بن شن) وهو أول من تقف القنا بالخط^(٦)، ولا غرو في ذلك فقد كانت المروءة فيهم تتمثل في صفتين هما العفة والحرفة^(٧)، مما يدل على تقديرهم للعمل وأنفتهم من البطالة وذل السؤال. وكانت (مارية بنت الجعيد العبدية)

(١) ابن جبيب: المحبر ١٣٥

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٩٩ - دار المعارف بمصر

(٣) مروج الذهب: ٧٥/١ - دار الفكر - بيروت

(٤) الألويسي: بلوغ الارب: ٢٤٦/٢ - دار الكتب العلمية - بيروت

(٥) ديوان المتقّب: ٢٥٧ - معهد المخطوطات العربية

(٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: ٢٩٧

(٧) محاضرات الراغب الأصفهاني: ٤٥٩ - دار مكتبة الحياة - بيروت

من النسوة اللواتي كانت احداهن اذا أصبحت عند زوجها كان أمرها اليها ان شأنت أقامت معه وان شأنت تركته، وذلك لشرفهن وقدرهن^(٨). وقد استمد العبيدون من النصرانية بعض ثقافتهم في الجاهلية، فقد كانوا علي مذهب النساطرة الذين عرفوا بكثرة معرفتهم لعلوم اليونان، وقد ترجموا كثيرا من الكتب اللاهوتية والفلسفية عن اليونانية، كما اشتهروا بالطب والعلوم الطبيعية، وكان من رجال الدين النساطرة أطباء في بلاد فارس، ومنهم كثيرون انتشروا في الحيرة^(٩) و مما يشير إلى انتشار المسيحية في بلاد البحرين قبيل الاسلام، وجود آثار بمنطقة وادي المياة غرب الجبيل فيها كتابات حميرية وردت فيها أسماء نصرانية منها ايليا^(١٠) وكان لبعض عبد القيس عناية بدراسة كتب أهل الكتاب حتى بعد الاسلام، ومن أمثلة ذلك ما ذكره (خالد بن عرفة) قال: كنت جالسا عند عمر إذ أتى برجل من عبد القيس سكنه بالسوس فقال له عمر أنت فلان بن فلان العبدى ؟ قال نعم، قال وأنت النازل بالسوس قال نعم، فضربه بقناة كانت معه، فقال: الرجل مالي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر أنت الذي انتسخت كتاب دانيال ؟ قال مرني بأمرك أتبعه، قال انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس^(١١). وكان أشج عبد القيس الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحام والأناه علي صلة براهب دارين، وهو الذي بشره بالنبى المنتظر^(١٢) أما (الجارود العبدى) فقد كان قبل اسلامه نصرانيا حسن المعرفة بتفسير الكتب عالما بسير الفرس بصيرا بالفلسفة والطب، وفي خطبة الجارود في عبد القيس بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وارتداد من ارتد من العرب، سألهم هل تعرفون أن لله أنبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا نعم، وشهدوا بنبو موسى وعيسى عليهما السلام، ثم نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم. ويقول محمد العبد القادر معلقا علي ذلك: وهذا دليل على أن عند عبد القيس علما بالنبوات، فلذلك خاطبهم الجارود وحجهم بما عندهم من العلم، فكان العلم أصيلا في الاحساء^(١٣). وكان

(٨) ابن حبيب: المحبر: ٣٩٨ - المكتب التجاري - بيروت
(٩) أحمد أمين فجر الاسلام: ٢٨ مكتبة النهضة المصرية
(١٠) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ١٧٢٦
(١١) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٦٢ - دار المعارف بمصر ط ٤، ١٩٦٩م
(١٢) ابن حجر: الإصابة نقلا عن كتاب ساحل الذهب الأسود لمحمد سعيد السلم ١١٨ - مكتبة الحياة - بيروت
(١٣) تحفة المستفيد: ٦٥ - مكتبة الاحساء الأهلية

(صحار العبدى) خطيباً مفوهاً نساباً، وكانت له صحبة وأخبار حسنة، وقد عرف هذا العالم بسرعة البديهة، فحين قال له معاوية بن أبي سفيان ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال صحار: شيء تجيش به صدورنا ثم تقذفه على ألسنتنا، قال رجل هؤلاء بالبسر أعرف، ظاناً أنه بهذا الكلام ينال من عبد القيس، فما كان من صحار إلا أن رد في الحال، والله أنا نعلم أن الريح تلقحه وأن البرد يعقده وأن القمر يصبغه وأن الحر ينضجه. ثم سأل معاوية صحار: ما تعدون البلاغة فيكم، قال: الإيجاز قال معاوية فما الإيجاز قال تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ، ثم قال يا أمير المؤمنين حسن: الإيجاز ألا تبطئ ولا تخطئ^(١٤). وصحار العبدى هذا هو أول من ألف في كتب الأمثال، وروى (أبو عبيد البكري) في كتابه (فصل المقال) شيئاً مما اشتمل عليه كتاب (صحار) في الأمثال، وهو قصة المثل (لا ناقة لي فيها ولا جمل) وأصله، قال صحار أول من قاله (الصدوف بنت الحليس العذرية) وكانت تحت (زيد بن الأخنس الطائي) وكانت له ابنة يقال لها (الفارعة) وأن زيدا أخدم ابنته الفارعة وأحسن إليها وعزلها عن امرأته (الصدوف) وخرج إلى الشام فغاب حيناً، وأن فتى من بني عذرة يقال له (شبث) علق الفارعة وعلقته، فكانت تأمر راعي أبيها أن يعجل لها ترويح ابله وأن يحلب لها حلبه ابلاً قتيلاً لتشرب اللبن نهاراً، فإذا أحست وهذا الحي رحل لها جملاً ذلولاً كان لأبيها، وتوافي به العذري فينطلقان إلى تيه من الأرض في عزلة، فإذا كان وجه الصبح أقبل، ذلك دأبهما، حتى أقبل أبوها آمناً إلى أهله، وكان شديد الغيرة، فمر بكاهنه في طريقه فقالت له: يرحل جملك ليلاً وحلبة أهلك تحتلب قتيلاً، وكان ثم حدث. فأقبل لا يلوي ودخل ليلاً فبدأ بامرأته فوجدها مع عياله مقبلة على ما يصلحها، فخرج إلى خباء ابنته فاستقبلته خادمتها فقال لها ثكلتك أمك أين الفارعة؟ قالت خرجت تمشي مع فتيات الحي لعيادة بعضهن، وهي عائدة الساعة. فانتقل عنها إلى امرأته ما يشك أنها مريبة فقالت له اني لأعرف الشر في وجهك فلا تعجل واقف الأثر (لا ناقة لي فيما تكره ولا جمل) فسار قولها مثلاً. ثم رجع إلى خباء ابنته فقال لخادمتها والله لا ينجينك مني إلا الصدق وسل سيفه، فصدقته الخير. قال: فأين أخذا؟ قالت: هذا الوجه

(١٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٦/١.

فأتبعها فلما صار غير بعيد وجد الجمل ريح مولاه فتزحزح، فقال العذري أما ترين الجمل وحاله، فقالت ما كان يصنع هذا إلا إذا رأي مولاه أو كان قريبا منه، وجعل الجمل يريد ينبعث وهو معقول فلا يقدر على القيام، فقالت الفارعة: لقد أوجست أمرا أو أنست ذعرا أو رأيت شرا فليته غاب دهرًا، فسمعها أبوها فقال قد غبت دهرًا فحلبت شرا وأتيت نكرا وقتل الجارية وأنصرف بجمله وهو يقول: (١٥)

لا تأمنن بعدي الجواريا عونا من النساء أو عذاريا
أخافها والعار والمساويا

وفي أمثال عرب الجاهلية ما يدل على نمو الحس الحضري والتكافلي لدى عبد القيس ومن ذلك قولهم (مثل هراوة الأعزاب) والهراوة فرس سريعة كانت لعبد القيس بن أفصي، وكانوا يعطونها العزب منهم فيغزو عليها حتي اذا تأهل نزعوها منه. وأعطوها عزبا آخر لا تجاري، فضربت مثلا. ويقول الفندجاني: الهراوة فرس (الريان بن حويص العبدى) وكانت لا تدرك، وتسمى هراوة الأعزاب، لأنه تصدق بها على أعزاب قومه، فكان العزب منهم يغزو عليها فاذا استفاد مالا وأهلا دفعها إلى آخر من قومه، فكانوا يتداولونها كذلك.. فضربت مثلا فقييل (أعز من هراوة الأعزاب). (١٦) وقد سجلت أمثال عرب الجاهلية بعض مشاهير عبد القيس، كالجارود العبدى في قولهم (كما جرد الجارود بكر بن وائل) (١٧) ودعيميص العبدى في قولهم (أدل من دعيميص الرمل) وهو الذي بلغ وبار ولم يبلغها أحد سواه (١٨)، وقولهم (دم سلاغ جبار) وهو رجل من عبد القيس له حديث (١٩) وقولهم (أنكح من حوثره) (٢٠).

وفي شعرهم اشارات إلى معرفتهم بفن الرسم إلى جانب الكتابة. يقول ثعلبة العبدى: (٢١)

(١٥) البكري: فصل المقال ٣٨٨. ومحمد أبو صوفه: الأمثال العربية ٢٥٨ (جاء فيه قصة مختلفة).

(١٦) ابن الكلبي: أنساب الخيل ٩٠ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥

(١٧) الكلبي: جمهرة النسب ٥٨٥ تحقيق ناجي حسن - عالم الكتب - بيروت

(١٨) الميداني: مجمع الأمثال: ٢٧٤/١ - مكتبة السنة المحمدية

(١٩) نفسه: ٢٧٠/١

(٢٠) نفسه: ٣٤٧/٢

(٢١) المفضليات: المفضلية ٧٤ - دار المعارف بمصر

لمن دمن كأنهن صحائف قفار خلا منها الكثيب فواجف
فما أحدثت فيها العهود كأنما تلعب بالسमान فيها الزخارف
أكب عليها كاتب بدواته يقيم يديه تارة ويخالف

فهو هنا يصور طريقة الكتابة من اكباب الكاتب عليها، وتسويته بين السطور مرة، ومخالفته مرة أخرى. كما يصور الرسام في لعبه بالأصباغ في الزخرفة والرسم. وفي حديث الممزق العبدى عن الكتابة والصحيفة إشارة واضحة إلى معرفة عبد القيس لنظام الكفالات. يقول: (٢٢)

فلا أنا مولا هم ولا في صحيفة كفلت عليهم والكفالة تعنقي

يقول المعيني: ومن هنا فقد عرفت (عبد القيس) الكتابة والترجمة وفنونا أخرى كالغناء والرسم والتمثيل. (٢٣)

ومن نماذج عبد القيس الدالة على ثقافتهم المبكرة، قول جندل بن أشمط العبدى (٢٤)

أمام أن الدهر أهلك صرفه ارما وعادا
واحتط داوودا وأخرج من مساكنها ايادا
وسما فأدرك أسعد الخ يرات قد جمع العتادا
البيض والحلق المضا عف نسجه وحوى التلادا
ولله الكتائب يجلبون من الخيل شقرا أو ورادا
فاحطته والدهر يعقب بعد صالحه فسادا
فكان ذلك لم يكن الا التفكير حين بادا

فهو في هذا النص يتناول فكرة الفناء، ويستعرض من خلالها أولي العزم والقوة الذين سادوا ثم بادوا من أمم وأفراد، من أمثال ارم وعاد وداوود المذكورين في الكتب المقدسة،

(٢٢) الأصمعيات: الأصمعية: ٥٨

(٢٣) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي: ٣٢

(٢٤) أبو تمام: الوحشيات: ١٦٢ — دار المعارف بمصر

واياد التي اخرجتها عبد القيس من البحرين، وأسعد بن كرب الكامل الذي لما ملك أكثر الغزو في كل ناحية، فقد هلك كل أولئك ولم يبق منهم إلا العظة والاعتبار لمن يريد أن يتعظ ويعتبر. يقول جواد علي: وكان بنو عبد القيس من العرب المتحضرين بالنسبة إلى عرب البوادي، ولهم اتصال بالعالم الخارجي، وقد قام المبشرون بنشر الكتابة بينهم^(٢٥) وقد ظل شعراء عبد القيس في العصور التالية على صلة بالموروث الثقافي الجاهلي، وأكثر هؤلاء الشعراء تناولوا لذلك في شعرهم ابن المقرب العيوني، ويكفي أن نطلع على ميميته التي مطلعها :

(أيدي الحوادث في الأيام والأمم أمضي من الذكر الصمصامة الخدم)^(٢٦)

لنعلم ما لدى الشاعر من ثقافة تاريخية لأعلام الجاهلين، فقد أشار في هذه القصيدة إلى الأمم البائدة كعاد وارم وطسم وجرهم، وإلى ملوك اليمن من التبابعة، وإلى (الحوفران) سيد بكر بن وائل وإلى فارس العرب الشيباني (بسطام بن قيس) وإلى (هانئ بن قبيصة) الذي احتدمت بسبب وفاته معركة ذي قار وانتصر فيها العرب على الفرس، وإلى (الحارث بن عباد البكري) الذي اعتزل حرب البسوس حتى قتل ولده (بحير) بمهانة، فثار وانتصرت به بكر على تغلب، وإلى (جدر بن ضبيعة البكري) الذي اشترى لمتة بأول فارس، وإلى (الحارث بن سدوس الشيباني) الذي أكثر من الولد في العرب، وإلى (مسلمة بن عبيدة الحنفي) الملقب بالجعد لقوته، وكان أبوه عبيدة أول من خط حجرا ونزل باليمامة، وإلى ذي التاج (هو ذة بن علي الحنفي البكري) شاعر بني حنيفة وخطيبها وهو صاحب اليمامة، وإلى (حنظلة بن ثعلبة) أول من غير سنة المشركين في قسمة خمس الغنائم، وإلى كليب الذي ضرب به المثل في العز، وإلى أخيه المهلهل الذي ثار لمقتله واشعل حرب البسوس، وإلى عمرو بن كلثوم التغلبي قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة. ويطول بنا الحديث لو تتبعنا كل الاشارات التاريخية التي انطوي عليها شعر ابن المقرب العبدى.

(٢٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٧٨٣/٨ و ٧٨٤

(٢٦) ديوانه ٤٨٣ - مكتبة التعاون الثقافي.

(ب) المورث الثقافي الاسلامي

كانت وفادتنا عبد القيس على الرسول صلى الله عليه وسلم الأساس الأول لتقافتهم الاسلامية، فقد مكثوا في المدينة ومكة مدة كافية أتاحت لهم فرصة الاطلاع على مبادئ الدين الاسلامي الجديد وكان حديث النبي صلى الله عليه وسلم قطب الرحي في ثقافتهم الدينية المبكرة، فقد ورثوا هذا العلم الشريف كابرا عن كابر، وظهرت بينهم جمهرة من المحدثين لا يتسع المجال لحصرهم. فمن هؤلاء المحدثين من أصحاب الوفادة (رسيم العبدى) وهو عند (ابن ماکولا) بوزن عظيم، ويصفه (ابن منده) بأنه كان فقيها من أهل هجر، ومما رواه قال: وفدنا على النبي صلى الله عليه وسلم فنهانا عن الظروف ثم رجعنا إليه في العام التالي فقال اشربوا فيما شئتم الحديث^(١) ومنهم (سفيان بن همام المحاربي) قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قومك عن نبيذ التمر^(٢). ومن محدثهم (أبان المحاربي) فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مسلم يقول اذا أصبح الحمد لله ربي لا أشرك به شيئا، وأشهد ألا اله إلا الله، إلا ظل تغفر له ذنوبه حتى يمسي، وان قالها اذا أمسى بات تغفر له ذنوبه حتى يصبح^(٣). ومن كبار تابعيهم (عبد الرحمن بن مسعود العبدى)، أحد أصحاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، نزل المدائن وحدث بها عن علي بن أبي طالب وعن سلمان الفارسي. ومما رواه عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتكفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه^(٤) ومن ثقات محدثهم (عبد الرحمن بن بشر بن الحكم) ومما حدث به عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي. قال عبد الرحمن بن بشر حملني بشر على عاتقه في مجلس سفيان بن عيينه فقال يا معشر أصحاب الحديث أنا بشر ابن الحكم، سمع أبي الحكم من سفيان بن عيينه، وقد سمعت أنا منه وحدثت عنه بخراسان،

(١) ابن حجر: الإصابة: ٤٠٣/٢ - تحقيق عبد الموجود ومعوض - دار الكتب العلمية - بيروت

(٢) نفسه: ١٠٩ / ٣

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨٨/٧ وابن حجر: الإصابة: ١٧١/١

(٤) البغدادي: تاريخ بغداد ٢٠٥ / ١٠

هذا ابني عبد الرحمن قد سمع منه. وقد عدل بشرا وابنه عبد الرحمن من أهل الحديث على ابن صالح ووصفهما بأنهما صدوقان. ^(٥) ومن زهادهم ووعاظهم (هرم بن حيان العبدى)، وفي مسند الدارمي: اياكم والعليم الفاسق. فبلغ عمر بن الخطاب ذلك فكتب إليه: ما أردت إلا الخير يكون امام عالم فيتكلم بالعلم ويعمل بالفسق فيشتبه على الناس. وعده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية التابعين. وقال العسكري كان من خيار التابعين ^(٦). ومن مشهوري عبد القيس في عصر الصحابة (صعصعة بن صوحان)، كان مسلما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وله رواية عن عثمان وعلي، وروى عنه أبو اسحاق السبيعي والمنهال بن عمر وعبد الله بن بريده وغيرهم، وكان من كبار خطباء العرب وفصحائها، وكان فقيها، وهو القائل لعمر بن الخطاب حين قسم المال الذي بعثه إليه أحد الولاة، وكان منه ألف درهم، وفضلت منه فضلة، فاختلفوا عليه أين يضعها، فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس قد بقيت لكم فضله بعد حقوق الناس ماذا تقولون فيها؟ فقام صعصعة بن صوحان - وهو غلام شاب - فقال يا أمير المؤمنين انما تشاور الناس فيما لم ينزل الله فيه قرآنا، وأما ما أنزل الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها، فقال عمر صدقت أنت مني وأنا منك فقسمه بين الناس ^(٧). وقد وصف عبد الملك بن مروان صعصعة بأنه أحظر الناس جوابا، وذكر رده على معاوية أما قولك يا معاوية إنما قدمنا الأرض المقدسة فلعمري ما الأرض تقدس الناس، وما يقدر الناس إلا أعمالهم، وأما قولك منها المنشر وإليها المحشر (يعني الشام) فلعمري ما ينفع قربها ولا يضر بعدها مؤمنا، وأما قولك لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلما عقلا. فقد ولد لهم خير من أبي سفيان آدم صلوات الله عليه، فمنهم الحليم والسفيه والجاهل والعالم، وأما أحلم الناس، فان ولد عبد القيس قدموا على النبي (ص) بصدقاتهم ففرقها رسول الله (ص) وهو أول عطاء فرقته في أصحابه ثم قال يا أشج أدن مني فدنا منه، فقال (ص) إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله، الأناة والحلم، وكفي برسول الله شاهدا ^(٨)

(٥) المصدر السابق: ٣٧١/١٠

(٦) ابن حجر: الإصابة: ٦ / ٤١٨

(٧) نفسه: ٢ / ٢٠٠

(٨) صفوت: جمهرة خطب العرب ٣٧٠/٢ و ٣٧١

ومن كبار فضلائهم (زيد بن صوحان) وهو أخو صمصمه، من التابعين نزل الكوفة وسمع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وروى عنه (أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي)، و(الفرار بن حريث) وغيرهما، وروى عن علي أن رسول الله (ص) قال من سره أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان، وقد قطعت يد زيد في جهاد المشركين بيوم جلولا. ويروي أبو قدامة أن زيدا كان في جيش عليهم سلمان الفارسي، فكان يؤمهم زيد يأمره بذلك سلمان. وحدث (سلمان بن ثروان) أن سلمان كان يقول لزيد يوم الجمعة قم فذكر قومك. وقال (مطرف) كنا نأتي زيدا فيقول لنا يا عبيد الله اكرموا واجملوا، فانما وسيلة العباد إلى الله خصلتان الخوف والطمع. ومما يشير إلى مكانة زيد ما رواه أبو الهذيل قال: دعا عمر بن الخطاب زيدا بن صوحان فضفنه على الرحل كما تضافنون أمراءكم، ثم ألتفت إلى الناس فقال اصنعوا هذا بزيد وأصحاب زيد (٩).

وقد قتل زيد في معركة الجمل، وفي هذه الفتنة دارت مساجلات خطابية شارك فيها زيد بقوله: يا عبد الله بن قيس رد الفرات عن أدراجي، أردده من حيث يجيء حتي يعود كما بدأ، فان قدرت علي ذلك فستقدر علي ما تريد،، فدع عنك ما لست مدركه ثم قرأ: (ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين *) سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وأنفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق (١٠).

ومن علماء عبد القيس (ابن شقيق العبدي المروزي) قدم بغداد وحدث بها عن كوكبة من المحدثين، وروت عنه كوكبة منهم أحمد بن حنبل، وقال يحيى بن معين: ما أعلم أحدا قدم علينا من خراسان كان أفضل من ابن شقيق. وكان عالما بابن المبارك سمع الكتب منه مرارا وحفظها ووعاها، وكان أول أمره المنازعة مع أهل الكتاب حتى كتب الانجيل والتوراة والأربعة والعشرين كتابا من كتب عبد الله بن المبارك (١١).

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦ م ١٢٣
(١٠) صفوت: جمهرة خطب العرب ٢٩٧/١
(١١) البغدادي: تاريخ بغداد ٣٧٠/١١

ومن فقهاءهم أحمد بن المعذل من عبد القيس من أنفسهم كان فقيها عفيفا ورعا عالما بمذهب مالك بن أنس، له تصانيف وكان أهل البصرة يسمونه الراهب لدينه، وله أشعار زهدية وحكمية^(١٢). ومن علماء عبد القيس الموالي (أبو الهذيل العلاف) المتكلم، كان شيخ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر فقهاءهم، وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات، وكان حسن الجدل قوي الحجة كثير الاستعمال للأدلة والالزامات، ولأبي الهذيل كتاب يعرف بميلاس، وكان ميلاس رجلا مجوسيا فأسلم، وكان سبب إسلامه أنه جمع أبو الهذيل وجماعة من الثنوية فقطعهم أبو الهذيل فأسلم ميلاس عند ذلك^(١٣). كما كان له موقف مماثل مع يهودي أقام فيه عليه الحجة، رغم أن أبا الهذيل كان صغير السن في ذلك الوقت، ومع ذلك فقد استطاع أن يحقق ما عجز عنه الشيوخ، مما يدل على أن الرجل يتمتع بموهبة عقلية خصبة وقوة بيانية فذة منذ نعومة أظافره، فقد قيل أن أبا الهذيل في حديثه بلغه أن رجلا يهوديا قدم البصرة وقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي إلى هذا اليهودي حتي أكلمه، فقال له عمه يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وأنه قطع مشايخ المتكلمين ! فقال لا بد أن تمضي بي إليه، فمضي به، قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فاذا اعترفوا له بها قال نحن علي ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما تدعونه، فتقدمت إليه فقلت أسألك أم تسألني ؟ فقال بل أسألك فقلت ذاك اليك فقال أتعترف بأن موسى نبي صادق أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك ؟ فقلت له ان كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنيي عليه السلام وشهد بنوته وصدقه فهو نبي صادق، وان كان غير ذلك من وصفت فذلك شيطان لا أعترف بنبوته، فورد عليه ما لم يكن في حسبانته، ثم قال لي أقول إن التوراة حق ؟ فقلت هذه المسألة تجري مجرى الأولى، إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيي عليه السلام فتلك حق، وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقر بها، فبهت وأفحم ولم يدر ما يقول، ثم قال لي: أحتاج أقول لك شيئا بيني وبينك، فظننت أنه سيقول شيئا من الخير، فتقدمت إليه فسارني فقال لي أمك كذا وكذا

(١٢) الصفدي: الوافي بالوفيات " ١٨٤/٨

(١٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٥، ٢٦٦ — دار صادر — بيروت

وأم من علمك لا يكني، وقد رأي أثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي، فأقبلت علي من كان في المجلس فقلت أعزكم الله أستم قد وقفتم علي سؤاله إياي وعلى جوابي إياه؟ قالوا بلى! فقلت أفليس عليه أن يرد جوابي أيضا؟ قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشم الذي يوجب عليه الحد وشم من علمني وانما قدر أنني أثب عليه فيدعي أننا واثبناه وشغبنا عليه، وقد عرفتم شأنه بعد الانقطاع فانصروني، فأخذته الأيدي من كل جهة فخرج هاربا من البصرة^(١٤)، والي جانب براعته في الجدل والمناظرة كان علي فهم وبصيرة بتفسير كتاب الله تعالى، ومن أمثلة ذلك ما ساقه المرتضى في أماليه، فقد روى عنه أنه قال: قال لي المعذل بن غيلان العبدي وكان من سادات عبد القيس، وكان يجتمع إليه أهل النظر يا أبا الهذيل إن في نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة، فبين لي ما يذهب الريب عني، فقال أخبرني عن قول الله تعالى (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون) هل يخلو من أن يكون أكذبهم لأنهم يستطيعون الخروج وهم تاركون له، فاستطاعة الخروج فيهم، وليس يخرجون فقال أنهم لكاذبون أي هم يستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فأكذبهم الله على هذا الوجه. أو يكون على وجه آخر يقول (انهم لكاذبون) أي ان أعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون، وعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج، ولا يعقل لأية معني ثالث^(١٥) ويحكي أن أبا الهذيل أتاه رجل فقال له: أشكل علي أشياء من القرآن فقصدت هذا البلد فلم أجد عند أحد ممن سألتهم شفاء لما أردته فلما خرجت في هذا الوقت قال لي قائل: ان بغيتك عند هذا الرجل فاتق الله وأفدني، فقال أبو الهذيل فما أشكل عليك قال آيات من القرآن الكريم توهمني أنها متناقضة وأخرى توهمني أنها ملحونة، قال فماذا أحب اليك؟ أجيبك بالجملة أو تسألني عن آية آية، قال بل تجيبني بالجملة فقال أبو الهذيل هل تعلم أن محمدا كان من أوسط العرب وغير مطعون عليه في لغته، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب فلم يكن مطعونا عليه؟ فقال اللهم نعم، فقال أبو الهذيل فهل تعلم أن العرب كانوا أهل جدل؟ قال: اللهم نعم، قال فهل اجتهدوا في تكذيبه؟ قال: اللهم نعم، قال فهل تعلم أنهم عابوا عليه بالمناقضة أو اللحن؟

(١٤) الشريف المرتضى: أماليه ١/ ١٧٨، ١٧٩

(١٥) نفسه: ١/ ١٧٨، ١٧٩

قال اللهم لا، قال: أبو الهذيل فندع قولهم مع علمهم باللغة ونأخذ بقول رجل من الأوساط. فقال فأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، قال كفاني هذا وانصرف (١٦).

ولأبي الهذيل رأي في النفس، فهو يرى أنها عرض كسائر أعراض الجسم. وكان يقول: النفس معنى غير الروح، والروح غير الحياة، والحياة عنده عرض، وأن الانسان في حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحياة، واستشهد علي ذلك بقوله تعالى (الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) (١٧).

وهناك علماء من عبد القيس برزوا في مجالات ثقافية أخرى تجلت في مؤلفاتهم التي وصلت إلينا منهم الرقام العبدى صاحب كتاب (العفو والاعتذار) وأبو هفان المهزمي صاحب كتاب (أخبار أبي نواس) والمهلل بن يموت بن المزرع صاحب كتاب (سرقات أبي نواس) والخالديان، ولهما العديد من المؤلفات منها كتاب (الأشباه والنظائر) وكتاب (المختار من شعر بشار) وكتاب (التحف والهدايا)، وكانت الثقافة الأدبية والإخبارية غالبية على هذه الموروثات من المؤلفات القيمة.

ومن علماء عبد القيس في الوقت الحاضر عبد الحميد الخطي وعبد الله الخنيزي صاحب كتاب (أبو طالب) وكتاب (المناظرات) وكتاب (ضوء في الظل) وكتاب (أدواؤنا) وكتاب (مداميك عقدية).

(١٦) المنية والأمل: ٢٦ نقلا عن كتاب أدب المعتزلة لعبد الحكيم بليغ: ٢٢٩ - دار النهضة - مصر
(١٧) سهير فضل الله: الفلسفة الإنسانية في الاسلام: ٦١ - دار النهضة المصرية

(ج) معطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال:

عكست ثقافة عبد القيس تأثيرها السافر والمباشر فيما خلفوه من أمثال وردت في شعرهم، بعضها أقتبسوه من موروثاتهم الشعبية وبيئتهم المحلية، وبعضها اخترعوه من بنات أفكارهم التي نمت وازدهرت بفضل ما وعوه من ثقافات ومعارف وما تميزوا به من بلاغة وبيان فمن أمثالهم المنقولة قول المتنقب العبدى:

ضربت لما استقلت مثلاً قاله القوال من غيروه
مثلاً يضربه حكامنا قولهم (في بيته يؤتي الحكم)

وقد ذكر المفضل بن سلمة هذا المثل في الفاخر، وقال: هذا شيء يتمثل به العرب على المزح ولا أصل له، زعموا أن الأرنب وجدت ثمرة فاختلسها الثعلب منها فأكلها، فانطلقت به إلى الضب يختصمان إليه، فقالت الأرنب يا أبا الحيل أتيناك لنحتكم إليك فاخرج إلينا، قال: في بيته يؤتي الحكم^(١).

ومن الأمثال الجاهلية قولهم (دماء الملوك أشفي من الكلب) وقد تناول المتنقب العبدى أيضاً هذا المثل في قوله^(٢)

بحاري الدم مر طعمه يبيري الكلب اذا عض وهر

يقال دم بحري أي خالص، والكلب مرض يشبه الجدري، يقال أن صاحبه اذا قطر عليه من دم كريم برىء، حسب معتقدات أهل الجاهلية.

ومن أقوالهم التي جرت مجرى الأمثال قول عروة بن الورد العيسى

فلو كنت مسلوب الفؤاد اذا بدت بلاد الأعادي (لا أمر ولا أحلى)

يضرب للرجل الذي لا غناء فيه

وقد ضمن عمرو العبدى هذا القول في قوله^(٣)

ونحن أقمنا أمر بكر بن وائل وأنت بشاج (لا تمر ولا تحلى)

(١) الميداني: مجمع الأمثال ٧٢/١ والمتنقب العبدى ديوانه ٢٢٠ - معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية

(٢) ديوانه ٧٠ والميداني ٢٧١/١

(٣) أبو تمام: الحماسة ٢٣٣/٢ صبيح بالأزهر ط ٢

ومن أمثالهم (أجور من قاضي سدوم)
قال الطبري هو ملك من بقايا اليونانية غشوم. يقول عمرو بن ذراك العبدى:
واني ان قطعت حبال قيس وحالفت المزون على تميم
لأعظم فجرة من أبي رغال وأجور في الحكومة من سدوم
وفي ثمار القلوب (جور سدوم) سدوم كان ملكا في الزمن الأول جائرا، وله قاض
أجور منه. ثم يذكر الميداني (قبر أبي رغال) ويقول هو الذي كان يرمي الناس قبره إذا أتوا
مكة، وكان وجهه فيما يزعمون أن صالح النبي أمره على صدقات قومه فخالف أمره،
فأساء السيرة فوثبت عليه ثقيف فقتلته قتلا شنيعا، وإنما فعلوا ذلك لسوء سيرته في أهل
الحرم (٤).

ومن أمثالهم في الجاهلية (بنس الردف لا بعد نعم) ويقول المتنقب:
حسن قول نعم من بعد لا (وقبيح قول لا بعد نعم) (٥)
وقالوا في المثل (الظلم مرتعة وخيم) قاله حنين بن خشرم السعدي، أي عاقبته
مذمومة، وجعل للظلم مرتعا لتصرف الظالم فيه ثم جعل المرتع وخيما لسوء عاقبته اما في
الدنيا واما في العقبى، وقد اقتبست أم النحيف العبدية هذا المثل فقالت (٦)

حذار بني البغي لا تقر به حذار (فإن البغي وخم عواقبه)
ومن أمثال العرب في الجاهلية (ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمر) وحول هذا
المعنى يقول ابن عرس العبدى (٧)

لا تحسبن الحرب يوم الضحي (كشربك المزاء بالبارد)
ويقول عبد الصمد بن المعذل العبدى: (*)
(إذا عز يوما أخو ك في بعض أمر فهن)

ويذكر الميداني عن المفضل أن اصل المثل لهذيل بن هبيرة التغلبي.

أما أمثال عبد القيس المبتكرة فمنها قول المتنقب العبدى (٨)

فحب القلب وما رت به مور عصافير حشى المرعد

(٤) التعالبي ٨٣ تحقيق محمد أبو الفضل - دار امهضة مصر ١٣٨٤ والجاحظ: الحيوان: ١٥٧/٦ تحقيق عبد السلام هارون،
طبعة مصطفى البابي الحلبي ط ٢ والميداني ١٩٠/١
(٥) ديوانه: ٢٢٧ ومجمع الأمثال: ٩٨/١
(٦) نفسه: ٤٤٤/١
(٧) الطبري: تاريخه ٨٦/٧ والميداني ٢٨١/٢
(*) مجمع الأمثال ٢٢/١ و ٢٣.
(٨) المتنقب العبدى: ٤٤

يقال فزع ومارت به قوائمه من الفزع من الكلاب مور العصافير، وهذا مثل يقال طارت عصافير بطنه من الفزع أي كأنما كانت عصافير علي رأسه فطارت. وقد رواه المفضل في كتابه الفاخر منسوباً للمتقّب، وذلك عند ذكره (صاحت عصافير بطنه) اذا جاع. قال عمرو العصافير ما اضطربت عند الجوع والفزع مثل الأمعاء والاحشاء والقلب.

ومن أمثالهم المخترعة قول يزيد الشني: (٩)

أحسبتنا (لحما على وضم) أم خلتنا في البأس لا نجدى

الوضم ما وقي به اللحم من الأرض بارية أو غيرها. ويذكر الميداني أن هذا المثل يروي عن عمر رضي الله عنه حين قال: لا يخلون رجل بمغيبه أن النساء لحم على وضم. ولعل صاحب مجمع الأمثال لم يطلع علي هذا الشاعر الجاهلي القديم الأنف الذكر والذي قد يكون الأصل الأول لهذا المثل. وهناك أمثال لم يعرف علي وجه اليقين ما اذا كانت مبتكرة أم مقتبسة، وإن كان يرجح أنها من الصنف الأول، ومن ذلك قول ثعلبه بن عمرو العبدى (١٠):

فأقبل نحوي على غرة فلما دنا (صدقته الكذب)

وقد ورد هذا القول في أمثال الجاهليين، ويقول الميداني (صدقته الكذب) يعني بالكذب النفس، يضرب لمن يتهدد الرجل فاذا رآه كذب أي كع وجبن.

ويقول المخضع القيسى مؤصلاً المثل القائل (الطبع أغلب) (١١)

(ومن يقترب خلقاً سوى خلق نفسه) يدعه (وتغلبه عليه الطباع)

أما المثل الذي يقول (المرء حيث يضع نفسه) فقد سجله أبو المياح العبدى في قوله (١٢):

(وما المرء إلا حيث يجعل نفسه) ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

كما ورد المثل الشائع (مصائب قوم عند قوم فوائد) في قول أبي البحر الخطي (١٣)

(٩) المفضلية: ٧٨ - دار المعارف بمصر

(١٠) نفسه: المفضلية ٦١

(١١) المرزباني: معجم الشعراء ٤٧٥ - مكتبة القدس - بيروت

(١٢) البصري: الحماسة ٢٣/٢

(١٣) ديوانه: ٣٧ - مطبعة الحيدري بطن

بذا قضت الأيام ما بين أهلها (مصائب قوم عند قوم فوائد)
وقد نجم عن بعض أشعارهم أمثال دارجة لا تزال مستعملة في الأوساط الشعبية،
من ذلك قولهم (أصابع يدك ليست متساوية) وأصله فيما يظن من قول الصلتان
العبيدي (١٤)

وليس الذنابي كالقذامي وريشه (وما يستوي في الكف منك الأصابع)
ومما سبق نلاحظ أن بعض الأمثال الشعرية جاءت مغايرة للصيغة التي وردت عليها في
كتب الأمثال، وربما عزي ذلك إما إلى تعدد الروايات أو إلى قيود الوزن والقافية التي قد
تضطر الشاعر إلى عدم الالتزام بالصيغة التي ورد بها المثل.

ولم تقتصر أمثالهم المبتكرة علي ما جاء في شعرهم، فقد أنشأ بعضهم أمثالا مستقلة
حفظتها كتب الأدب، ومن ذلك قولهم (ابنك ابن بوحك) ويذكر أبو عبيد البكري أن أول من
نطق بهذا المثل الأخزر بن عوف العبيدي، وذلك أن الأخزر كانت عنده الماشريه بنت نهس
من بني بكر، فطلقها وهي نساء بأشهر، فتزوجها عجل بن لجيم البكري، فقالت لعجل حين
تزوجها احفظ علي ولدي، قال نعم، وسماه عجل سعاد، وشب، فخرج به عجل ليدفعه إلى
الأخزر بن عوف أبيه، وأقبل حنيفة بن لجيم أخو عجل، فتلقاه بنو أخيه فلم ير فيهم سعاد،
فسألهم فقالوا انطلق به أبونا إلى أبيه، فسار حنيفة في طلبه فوجده راجعا قد وضع الغلام في
يد أبيه، فقال ما صنعت يا عشمه ! وهل للغلام أب غيرك ؟ وجمع اليه بنو أخيه، وصار
إلى الأخزر ليأخذ سعاد فوجده مع أبيه ومولي له، فاقتتلوا فقال الأخزر لسعد يا بني ألا
تعينني على حنيفة ؟ فكع الغلام عنه، فقال الأخزر (ابنك ابن بوحك الذي يشرب من
صبوحك) فذهب مثلا، وضرب حنيفة الأخزر بالسيف فجذمه فسمي جذيمة،
وضرب الأخزر حنيفة على رجليه فقطعها، فسمي حنيفة، وكان اسمه أثال بن لجيم وأخذ
حنيفة سعد فرده إلى عجل. (١٥) كما استعمل بعضهم في سياق حديثه بعض الأمثال
الموروثة، ومن الأمثال القديمة (المرء بأصغريه) وأول من قاله شقة بن ضمرة، وقد ورد
في قول أشج بني عبد القيس للرسول عندما نظر صلى الله عليه وسلم إلى دمامته فقال
الأشج: أنه لا يستقي في مسوح الرجال انما يحتاج من المرء إلى أصغريه قلبه ولسانه. (١٦)

(١٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٥٠١/١

(١٥) البكري: فصل المقال ٢٢٣ - مؤسسة الرسالة ط ١٤٠٣ هـ

(١٦) الميداني: مجمع الأمثال ٢٩٤/٢. وعبدالعزیز مزروع: الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي ١٠٨ - مطبعة العلوم
بمصر ط ١٣٦٩

ولعل أكثر شعراء عبد القيس استعمالاً لأمثال العرب السابقين، ابن المقرب العيوني،
فقد ضمن شعره الكثير من ذلك، فقد استخدم المثل (أبلغ من قس) في قوله (١٧)
فلو أن قسا في الفصاحة راقه لأكدى ولا نهارت عليه المباحث
وفي قوله: (١٨)

فاستيقظوا فالسيل قد بلغ الزبي وعلت غواربه على القران

نراه يضمن هذا البيت المثل العربي القديم (بلغ السيل الزبي) والزبي جمع زبية وهي
حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده، وأصلها الزابية لا يعلوها الماء. فإذا بلغها السيل كان
جارفاً، يضرب لما يجاوز الحد. أما المثل العربي (ويل للشح من الخلي) فقد ورد في قول
ابن المقرب: (١٩)

ليس الخلي بباك الشجي أسي ولا يحس الحميا غير حاسيها

وجاء المثل المشهور (جزاء سنمار) في قول الشاعر: (٢٠)

جزاء سنمار جزاء به اقتدت ومال إليها كهلهما وعلامها

ويضرب هذا المثل لمن بجزي بالاحسان الاساءة، لأن سنمار بعد ما بني الخورنق
للنعمان بن امرئ القيس اللقاء من أعلاه، لنلا يبنى مثله لغيره. واستعمل ابن المقرب المثل
(أسعد أم سعيد) في قوله: (٢١)

إذا رجفت دار العدو مخافتي فلا تسألاني عن سعيد ولا سعد

يضرب في العناية بذی الرحم، وفي الاستخبار أيضاً عن الأمرين الخير والشر أيهما
وقع. وقد ضمن ابن المقرب شعره بالأقوال المأثورة، ومن ذلك قول الامام علي بن أبي
طالب (فما عدا مما بدا) ومعناه ما الذي بدا لك في نصرتك علي، ويقول الشاعر:

(١٧) ديوانه: ١١٧ ومجمع المثل ١١١/١

(١٨) ديوانه ٦٣٧ والميداني ٩١/١

(١٩) ديوانه ٦٥١ والميداني ٣٦٧/٢

(٢٠) ديوانه ٤٥٨ والميداني ١٥٩/١

(٢١) ديوانه: ١٣٧

قد كنتما عوني وقد أصبحتما عونا علي (فما عدا مما بدا) (٢٢)

وفي موضع آخر يضمن شعره قول الحجاج بن يوسف (اني لأرى رؤوسا قد أينعت
وحان قطافها)، يقول: (٢٣)

ما انتظاري برؤوس أينعت
ليس هذا الينع إلا للحصاد

(٢٢) ديوانه: ١٦٨

(٢٣) نفسه: ١٨٠

ثالثاً: المنبع الأجنبي

- (أ) الموقع الجغرافي
- (ب) النسيج الاجتماعي
- (ج) الأسواق
- (د) الرحلات

تأثرت عبد القيس بالعنصر الأجنبي إلى الحد الذي حمل بعضا منها على اختراق بعض التقاليد العربية المرعية في جميع القبائل العربية، ولا سيما في العصرين الجاهلي والأموي، ونعني بذلك المصاهرة والنسب. وقد ساهمت عدة عوامل في تشكيل هذا التأثير أهمها الموقع الجغرافي، والنسيج الاجتماعي، بالإضافة إلى الأسواق العامة والرحلات، ونتحدث بإيجاز عن كل واحد من هذه العوامل:

(أ) الموقع الجغرافي:

عاش شعراء عبد القيس منذ بداية تاريخهم الأدبي في البحرين بمصطلحها القديم الذي يرادف الخليج العربي باستثناء عمان. يقول ابن خلدون عن البحرين: وهي من الاقليم الثاني وبعضها في الثالث، كانت في الجاهلية لعبد القيس وبكر بن ربيعة^(١). ولهذا الموقع أهمية أشار إليها السعودي حين ذكر أنه يتصل ببحر عمان وبحر الهند وبحر الصين والقلزم والزنج والسند، وأن أهله الذين يقطنون سواحله وجزره علي اتصال مستمر بالأمم الأخرى عن طرق البحار المذكورة^(٢).

كما عاش خطباء عبد القيس في عمان في بداية تاريخهم الأدبي. وقد لعب الخليج العربي بفضل موقعه الجغرافي في عمق العالم المعمور دورا خطيرا في تاريخ التجارة العالمية، فمنذ قامت الحضارات القديمة على شواطئه أو علي مقربة منه كحضارات ما بين الرافدين والحضارة الفارسية، كان له دور بارز كطريق بحري يربط تلك الحضارات بحضارات الشرق في الهند والصين، وبحضارات الغرب في روما وقرطاجة^(٣).

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر: ١٩٧/٤ - دار الكتاب اللبناني

(٢) نقلا عن كتاب (الانسان والأرض) لعبد العليم خضر: ٣٦ - الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ط١، ١٤٠٧ هـ

(٣) نفسه : ٣٧

يقول د. قدرى قلجى موضحاً أثر الموقع الجغرافى فى الثقافة: (ومن يقارن بين المناطق المعزولة النائية وسبل حياتها وطرق معاشها والمناطق الملاحية التجارية المفتوحة على العالم يدرك حق الإدراك ما للملاحنة من يد بيضاء على الحياة فى تطورها والمدنية فى ارتقائها والحضارة فى ازدهارها) (٤). ويمكن القول أنه لا يوجد بحر داخلى فى العالم له نفس الأهمية التى يتمتع بها الخليج العربى سواء بالنسبة للجغرافيين أو الجيولوجيين أو المؤرخين أو رجال السياسة (٥). وقد ظل الخليج العربى طوال الحقب التاريخية بحيرة ثقافية جمعت بين السكان الذين يقيمون على شواطئه.

(ب) النسيج الاجتماعى

شارك سكان البحرين العرب منذ الجاهلية، أقليات أجنبية كانت ذات أثر كبير فى تفاعل الحياة بسبب ميلها إلى الاستقرار، وأهم هذه الجاليات:

١ - الفرس:

ولعل هؤلاء أهم عنصر أجنبى سكن البحرين، لما يتمتعون به من خلفية حضارية عريقه، ومن أثارهم الفكرية ظهور المجوسية فى البحرين، وإن كانت محدودة النطاق، ويشير البلاذرى إلى وجود نار للمجوس فى البحرين (٦) وقد دخل بعضهم فى الاسلام، وبقي البعض الآخر على مجوسيته إلى حين. وقد أشار بعض المؤرخين إلى نفوذ الفرس فى البحرين وهجر، وارسالهم الفعلة لبناء المشقر وتكاثرهم، وانتساب بعضهم فى عبد القيس (٧) وقد سجل ابن المقرب العيونى ذلك فى قوله (٨):

نسبوكم فعزوا بيوتا منك	مشهورة لشواد خوزستان
نقلت أوائلهم إلى البحرين كي	يبنوا مشقرا انوشروان

(٤) الخليج العربى: ٤٠ - دار الكتاب العربى ط ١٣٨٥

(٥) عبد العظيم خضر: الانسان والأرض: ٤٠

(٦) فتوح البلدان: ٧٩ القاهرة ١٩٥٦

(٧) أحمد الحوفى: تيارات ثقافية بين العرب والفرس: ٢٤ - دار نهضة مصر

(٨) ديوانه: ٣٦٥ مكتبة التعاون الثقافى بالاحساء ١٩٨٨

كما أشار إلى (جيلان) وهم قوم من السك كان أخرجهم كسري لخدمته ولعمارات قصره المعروف بالمشقر. يقول: (٩)

منا جيب لا جيلان يعزي اليهم ولا عد منهم ذو كتاب معاند

٢ - الزط:

ويرجح أنهم قوم من الهند، هاجر معظمهم منها، وانضموا إلى الجيش الساساني من عهد قباد، وكانت مرتبتهم أقل من الفرس، ومنهم تشكلت قوة عسكرية ساسانية ترابط في الخط علي السواحل قبل الاسلام. (١٠)

٣ - السبابجة:

قيل: إنهم من السند وقيل من الهند، وكانوا يقومون بالملاحة بين ساحل الخليج العربي وشرق آسيا، وقد سكنوا قبل الاسلام منطقة الخط وهجر والقطيف حيث استخدمهم الفرس لحراسة السفن وذلك لخبرتهم في الأعمال البحرية، وبعد اسلامهم خدموا في الأسطول الاسلامي في الخليج العربي. (١١)

وقد اندمجت عبد القيس مع العنصر الأجنبي إلى درجة جعلت بعضها منها يبدي رغبته في تزويج ابنته من أحد هؤلاء، على الرغم من أن العرب في العصرين الجاهلي والأموي خاصة لم يكونوا يسمحون بمثل هذه المصاهرة ومن أمثلة ذلك ما ذكره أحمد بن عبد العزيز قال: نزلت في دار رجل من عبد القيس بالبحرين فقال لي بلغني أنك خاطب قلت: نعم، قال: فأنا أزوجك، قلت اني مولي قال اسكت وأنا أقبل، فقال أبو بجير فيهم. (١٢)

أمن قلة صرتم إلى أن قبلتم دعاوة زراع وآخر تاجر
وأصهب رومي وأسود فاحم وأبيض جعد من سراة الأحامر

(٩) ديوانه: ١٤٣

(١٠) عبد الرحيم النجم: البحرين في صدر الاسلام ٤٥ مطبعة الجمهورية بغداد ١٩٧٣

(١١) محمد العقيلي: الخليج العربي في العصور الاسلامية: ٤٤ - دار الفكر اللبناني

(١٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ١٣٥/٦ - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٩٣

يقول د. جواد علي: (ونجد في قري البحرين أناسا من مختلف الأجناس بسبب اتصالهم بالبحر ومجيء الأقوام إليها من الهند وإيران والعراق، فظهرت فيها ثقافة امتصت عذائها من مختلف الثقافات) ^(١٣) وعلى صعيدها التقى - منذ عهد قديم - الأفريقي والكلداني والبابلي والأرامي والفرعوني والاسرائيلي والاغريقي، وأجناس كثيرة أخرى، مما يدل على مجدها التجاري والحضاري. ^(١٤)

يقول قلنجي: (إن العمانيين وجيرانهم أهالي البحرين قد اشتهروا من قديم الزمان بحبهم لركوب البحار والذهاب في بعيد الأسفار، ويردف قائلا: أما البحرانيون صيادوا اللؤلؤ فقد كانوا على شهرة واسعة في العالم الملاحي). ^(١٥)

(ج) الأسواق:

كانت الأسواق، وبخاصة أسواق البحرين مصدرا من مصادر التأثير الأجنبي، ومن هذه الأسواق سوق هجر، وتقع في جنوب الخليج العربي، وهي على اتصال دائم ببلاد الهند وفارس، ومن أهم موانئها العقير، يسكنها العرب من بني محارب، وهي فرضة الصين وعمان والبصرة واليمن علي ساحل البحر، وهي دهليز الاحساء، ومصب الخيرات منها وإليها، ونظرا لأنها فرضة فقد كانت أكبر مكانة من سوق دومة الجندل ^(١٦) وتقوم في المشقر سوق تستغرق شهر جمادي الآخر، يقصدها أخلاط من جميع العرب والفرس، وكانت لا تقدمها لطيمة إلا تخلف منها ناس، ويجاورها من قبائل العرب تميم وعبد القيس، وكانت تحت نفوذ الفرس ^(١٧) ومن أسواقهم الزارة وهي فرضة من فرض البحر، وساكنها عبد القيس. ومن أسواقهم المعروفة سوق دارين المشهورة بالعطر، وجواثي ^(١٨)، وسماهيح. وفي الجملة تكاد تكون مدن عبد القيس جميعها مراكز تجارية.

(١٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: ٧٨٣/٨

(١٤) عمران العمران: ابن المقرب ٣٨ مطابع الرياض

(١٥) قدرتي قلنجي: الخليج العربي: ٤٢ ط ١٣٧٩

(١٦) سعيد الأفغاني: أسواق العرب: ٢٥ - دار الفكر بدمشق ط ١٣٧٩

(١٧) نفسه: ٢٤١

(١٨) المعيني: شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي: ٧٢ رسالة ماجستير مخطوطة، وحمد الجاسر: المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ٤٢٨/١، ٨٦٨/٢، ٨٠٢/٢ - دار اليمامة بالرياض

وهكذا نجد أن هذه الأسواق تجمع إلى جانب الأعداد الجمة من العرب طوائف من مختلف الجنسيات وبخاصة من الهند والفرس، من أهل الحضارات القديمة، كما يفد إليها القسس والرهبان المبشرون، فهي أشبه ما تكون بمعارض دولية ومؤتمرات أدبية، تجد فيها عبد القيس وغيرها أمشاجا من الثقافات، أضف إلى ذلك تلك الأسواق العربية الكبرى التي كانت تقصدها عبد القيس وغيرها من القبائل العربية. يقول د قري قلعجي عن أهل الخليج عامة: وقد لعبوا في مختلف العصور دورا كبيرا في ميدان التجارة العالمية الممتدة الشرايين ما بين الشرق والغرب، وكانوا في ذلك مرهوبي الجانب لا يترددون في الاغارة علي جيرانهم من فرس وبابليين.^(١٩)

(د) الرحلات والهجرات:

قام كثير من عبد القيس برحلات متعددة في الجاهلية والاسلام، ففي العصر الجاهلي سافر فريق منهم من البحرين إلى أطراف العراق، وساهموا في بناء الحيرة ذات المركز الحضاري^(٢٠) كما رحل عدد من شعراء بني عبد القيس إلى عاصمة المناذرة واتصلوا بملوكها، وعلي رأس هؤلاء المتقرب العبيدي، الذي اتصل بالنعمان بن المنذر سفيرا لقومه وشفيعا لهم عنده، وقد مدحه بقصيدة يتجلى فيها تأثر الشاعر ببعض العادات الفارسية فقد جاء فيها قوله:

وجدت زناد الصالحين نمينه فديما كما بذ النجوم سعودها

فالمثقب بامتداحه للنعمان بأنه كان أكرم المكرمين يجعل تفوق زند الممدوح علي جميع زناد الصالحين شبيها بتفوق سعود النجوم على سواها. وسعود النجوم في علم الفلك هي الكواكب التي يقال لكل منها سعد كذا، وهي عشرة أنجم، أربعة منها منازل ينزل بها القمر وهي سعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية. وستة لا ينزل بها القمر وهي سعد ناشره وسعد الملك وسعد البهايم وسعد الهمام وسعد البارح وسعد مطر. إن الممدوح في تحدره

(١٩) الخليج العربي: ٤٢

(٢٠) السهيلي: الروض الأنف ٥٣/١ - مطبعة الجمالية، مصر ١٩١٤م.

من عائلة مشهورة لم يولد في أبراج مشؤومه فطالعه طالع سعد ويمن، وباختصار فان الملك قد صار وكأنه موضع تأملات فلكية ومجال اهتمامات لعلم النجوم. والصورة في هذا الاطار تحمل - لا شك - الطابع الخاص لعادة فارسية ينفع الشاعر بها انها عادة التجيم، ولقد كانت قراءة الطالع من الأعمال التي يقوم بها المغان (المجوس) فكانوا يتحدثون عن الغيب وهم ينظرون إلى النار المقدسة، وكانوا يحضرون الطالع بما لهم من معرفة بعلم النجوم. ولهؤلاء المغان بما لهم من معرفة ذات طابع خاص بأسرار النجوم قيمة لا تقدر، حيث أنهم مستشاروا الملك في جميع الأحوال التي تمس الحرب، فالملك لا يحارب مطلقاً من غير أن يصحبه المغان وبيوت النار. (٢١)

كما قامت طوائف من عبد القيس في فجر الاسلام برحلات أو هجرات إلى البصرة والكوفة وفارس وخراسان، واستوطنت في هذه الديار الاسلامية. وامتزجوا بسكانها الأصليين، ونبغ فيها شعراء وخطباء وعلماء ومفكرون.

يقول د عبد الحميد المعيني: (وفي ميدان الفكر والمعارف القديمة فإن المتتبع للحياة الفكرية على أرض عبد القيس قبل الاسلام يدرك بأنها أخذت بحظ وافر منها، وبلغت مدى بعيداً، ويعود ذلك لعدة أسباب:

١ - الموقع الممتاز بين حضارات قديمة، والبيئة الطبيعية الجميلة على امتداد الخليج العربي.

٢ - الأجناس العديدة التي سكنت المنطقة وحملت إليها ثقافتها وحضارتها .

٣ - كانت بلاد عبد القيس ملتقى الديانات الوافدة والمهاجرة كالمسيحية واليهودية والمجوسية.

٤ - المركز الاقتصادي وخاصة النشاط التجاري). (٢٢)

وقد ظل المنبع الأجنبي رافداً لمؤلفات عبد القيس في العصور الاسلامية، ففي كتاب (العفو والاعتذار) للرقام العبدى يستعين المؤلف ببعض المصادر الفارسية، ويذكر طرفاً من أخبارهم ومن ذلك قوله: وفي بعض كتب فارس أن كسرى قال ليوסף المغني حين

(٢١) عمر شرف الدين: الشعر في ظلال المنادرة والغساسنة ٢٥ - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢٢) المعيني: شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي قسم الدراسة ص ٣٢.

قتل فلهوذ، حين فاقه في الغناء وكان تلميذه: كنت أستريح منه إليك ومنك إليه، فأذهب شطر تمتعي حسدك ونغل صدرك، ثم أمر أن يلقي تحت أرجل الفيلة، فقال له أيها الملك اذا قتلت أنا شطر طربك وأبطلته وقتلت أنت شطره الآخر، أليس تكون جنايتك على طربك كجنايتي عليه؟ قال كسرى دعوه ما دله على هذا الكلام إلا ما جعل له من مدة البقاء: (٢٣) كما يذكر ابن الرقام في موضع آخر من كتابه قول بعض ملوك فارس: إنما أملك الأجساد لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالرضى، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر. (٢٤)

وهكذا نجد أدباء القيس يتتبعون الحكمة ويأخذونها أنى وجدوها. وعلى الرغم من كثرة احتكاك عبد القيس بالعنصر الأجنبي منذ عصورهم الأولى ولا سيما سكان الحواضر منها، فإن هذا المنبع لم يكن قويا، بل محدودا علي الصعيد المباشر الظاهري، وإذا كان له من تأثير أبعد فهو في تشكيل العقلية العبدية والتفكير الذي أعطي شعر عبد القيس قدرة أكبر علي التأمل وطول النظر.

(٢٣) الرقام العبدى : العفو والاعتذار ١٧٧/١ - الرياض ١٤٠١هـ.

(٢٤) نفسه: ٨٨/١

رابعاً

التجربة الذاتية

كانت التجربة الذاتية أكبر الينابيع التي أستمَد منها شعراء عبد القيس حكمتهم، وقد مكنهم من التعبير عنها دقة الملاحظة وقوة الإفصاح، ولهذا جاءت هذه الحكم صادقة موجزة، كما حملت في طياتها وجهات نظر أصحابها التي قد لا يكون بعضها مسلما به من قبل الجميع، والتجربة تعني التمرس بأحداث الحياة وصروف الزمان، وتعتبر خلاصة اجتماعية مركزة لواقع مر بالإنسان فكان له فيه عبرة ودروس، وهي فيما بعد تمثل مدرسة تعليمية لها طابع النصيح والحشمة والوقار ^(١). وقد أوضح المثقَّب العبدِي دور التجربة في تنمية الخبرات وتووير العقول. يقول: ^(٢)

وللموت خير للفتي من حياته إذا لم يثب للأمر الا بقائد
فعالج جسيمات الأمور ولا تكن هببت الفؤاد همه للوسائد

كما بين الأعور الشني أثر السن والتجربة في حنكة الإنسان وتهذيبه، فقال: ^(٣)

إذا ما المرء قصر ثم مرت عليه الأربعون من الرجال
ولم يلحق بصالحهم فدعه فليس بلاحق أخرى الليالي
لقد أصبحت لا أحتاج فيما بلوت من الأمور إلى سؤال
وذلك أنني أدبت نفسي وما حلت الرجال ذوي المحال

ويشير مسعود العبدِي إلى أثر التجارب في صقل شخصية الإنسان ونضجه العقلي. يقول:

عرفت الليالي بؤسها ونعيمها وحنكي صرف الزمان وأدبا
وقد تعددت تجارب شعراء عبد القيس وتنوعت، فشملت كثيرا من تجارب الحياة في جوانبها المختلفة، إلا أن أكثرها كان مجاله العلاقات الاجتماعية، العامة منها والخاصة. فتجربة الشاعر عمرو بن هبيرة العبدِي في ظل الجوار كشفت له أن تمتع المرء

(١) عمران العمران : ابن المقرب ص ١٢٣ - مطابع الرياض.

(٢) ديوانه: ٢٦٧ - جامعة الدول العربية ١٣٩١ هـ.

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٢ / ٦٤٠ - دار المعارف بمصر.

بالعزة والكرامة مرهون بوجوده بين قومه، فإذا اغترب عنهم فلن يجد غير الذل والهوان،
يقول: (٤)

ومن تك في غير العشيرة داره	يغضب فتبرد غير مرضي مغاضبه
يرى كل صوت منهم فوق صوته	ولا يوجبوا منه الذي هو واجبه
وينكر عليه ان أراب بخطة	ولا يستطع تنكير ما هو رائبه
وليس وان أووا عليه بمؤنبي	ويورد عليه غيره وشاربه

أما ابن المقرب العيوني، فإن تجربته المرة بين قومه وما تجرعه منهم من ظلم وقسوة وإساءة جعلته يؤثر الرحيل إلى أي بلد آخر، فالوطن في نظره ليس الأرض والدور وإنما الناس الذين يعيشون فيه، وهو يختلف عن هؤلاء، وإن كان من بلادهم، كما يختلف الذهب عن التراب وإن كان منه. يقول: (٥)

في كل أرض اذا يمتتها وطن	ما بين حر وبين الدار من نسب
لي عن ديار الأذي والهون متسع	ما كل دار مناخ الويل والحرب
لا تنسبونني إلى منشأي بينكم	الترب ترب وفيه منبت الذهب

وفي موضع آخر يكرر الدعوة إلى الرحلة عن الأهل والوطن بسبب الذل والهوان معللاً ذلك بأن الناس كثيراً ما وجدوا في الارتحال من العزة والنعمة، ما لم يجدوه في الإقامة من المهانة والنقمة، يقول: (٦)

قم فاشدد العيس للترحال معتزما	وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما
ولا تلفت إلى أهل ولا وطن	فالحر يرحل عن دار الأذي كرما
كم رحلة وهبت عزا تدين له	شوس الرجال وكم قد أورثت نعما
وكم اقامة مغرور له جلبت	حتفا وسأقت إلى ساحاته النقما

(٤) البحرني: الحماسة: ١٠٧ - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٦٧

(٥) ديوانه: ٧٥

(٦) نفسه: ٥٢٦

ورغم ما لاقاه الشاعر من ظلم عشيرته له، فإنه لم يبخل عليها بالنصيحة، والمعروف أن قوم ابن المقرب هم الأسرة الحاكمة للبحرين في القرن السادس الهجري، فنراه يوجه النصيحة الخالصة إلى حاكمها، فيدعوه إلى العطف على قومه والاحسان إليهم، وعمل كل ما يؤدي إلى لم شمل العشيرة وتقويتها، والحذر من كيد الوشاة والمغرضين، مبرزاً أهمية التكتل والتآزر في صورة مادية محسوسة، لينتهي إلى أن الانسان مهما كان كبيراً فإنه لا يستغني عن الصغير، حين يكون من جلده ودمه ولحمه. يقول:

أبلغ هديت أبا علي ذا العلى	عني السلام وقل له ببيان
اعطف على أحياء قومك واحتمل	ذنب المسيء وكاف بالاحسان
واعمل لما يحيي العشيرة واطرح	قول الوشاة فكل شيء فان
واعلم بأن النسر يسقط ريشه	حيناً فيقعده عن الطيران
والصعو ينهضه وفور جناحه	حتي يحوز موطن الغربان
والدوحة القنوا أشين ما ترى	معزودة وتزين بالأغصان
واحذر أصحاب النصائح واحترس	منهم فكلهم أخو كيسان

ولا ينفك الشاعر من تحذير ولي الأمر من كيد الوشاة والحاquدين الذين يتظاهرون بالصدقة والنصح، وهم في الحقيقة يعملون في الخفاء علي تقويض السلطة وسلبها، مؤكدا ضرورة التمسك بحبل العشيرة المتين والاعتماد عليها واعطائها حقها من التقدير. يقول: (٧)

ومن يستمع في قومه قول كاشح	أصيب كما شاء المعادي مقاتله
وما كل من يبدي المودة ناصح	كما ليس كل البرق يصدق خائله
وقد يظهر المقهور أقصي مودة	وأوْهاقه مبنوثة ومناجله
ومن لم يقابل بالجلالة قومه	أتاه من الأعداء ما لا يقابله

اما العلاقات الخاصة فإن تجربة الشعراء الذاتية أوقفتهم منها على طرفي نقيض،
فبينما نجد عبد الصمد بن المعذل يدعو إلى مواصلة الصديق القاطع، ولا سيما إذا كان من
أهل الثقة والمرؤة، لما في تركه من خسارة للطرفين، إذ يقول: ^(٨)

من لم يردك ولم ترده	لم يستفدك وتستفده
قرب صديقك ما ناي	وزد التقارب واستزده
وإذا وهت أركان ود	من أخي ثقة فشده

نرى ابن المقرب يقف موقفاً مابيناً، فهو لا يتسامح مع الأخ القاطع، ولا يحترم من لا
يحترمه مهما كان عظيم القدر، ولا يمنح وده لمن يبغضه. يقول: ^(٩)

وبعد عن أخ لأب وأم	إذا ما عق خير من ما تداني
فلا يتوهم السفهاء أنني	أحسن إلى غوان أومغاني
ولا أنني أري والموت حتم	بعين جلالة من لا يراني
عظيم الناس في عيني حقير	إذا بالمقلة الخوصا راني
محال أن أواصل من جفاني	وأسمح بالوداد لمن قلاني

وأثمرت تجربة الفقر التي عاناها شعراء عبد القيس حكماً في شعرهم، ويشير الأعلام
العبدى إلى هوان قدر الفقير بين قومه، وقلة حيلته وإن كان أعقلهم وأقواهم. يقول في ذلك
داعياً إلى السعي والمغامرة في طلب المال والغنى: ^(١٠)

ومن يفتقر في قومه يحمد الغني	وإن كان فيهم ما جد العم مخولا
ويزري بعقل المرء قلة ماله	وإن كان أقوى من رجال وأحبالا
فان الفتى ذا العزم رام بنفسه	جواشن هذا الليل كي يتمولا

على أن الشاعر العبدى لا ينظر إلى المال بوصفه غاية، بل يراه وسيلة يتوصل بها
إلى المكرمات، ومساعدة المحتاجين وأرباب الحقوق من الأقارب، فلا قيمة للمرء العاجز
عن الوفاء بمثل ذلك. يقول زيد بن خذاق العبدى: ^(١١)

(٨) ديوانه: ٨٨ - مطبعة النعمان بالنجف.

(٩) ديوانه: ٦٢٤.

(١٠) نالينو: تاريخ الأدب العربية: ٢٦٩ - دار المعارف بمصر.

(١١) المرزباني: معجم الشعراء: ٤٨١ - مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٦٠

ذريني أسير في البلاد لعلمي أفيد غني فيه لذي الحق محمل
فان نحن لم نملك دفاعا لحادث تلم به الأيام فالموت أجمل
أليس عظيما أن تلم ملة وليس علينا في الحقوق معول

ويدعو جمال العبدى إلى مقابلة الأمور الصعبة المخيفة بالقوة والشدة إلى تليين
وتتيسر، ويستمد دعوته تلك من خلال تجربته الناجحة، يقول: (١٢)

إذا خفت في أمر عليك صعوبة فأصعب به حتى تذل مرأكبه
وأمر على مكروهه قد ركبته فكان بحمد الله خيرا عواقبه

ويقدم ابن المقرب العبدى عدة تعريفات لطائفة من الأمور كالعز والمال والجود
والعزم والجبين، وهي تعطي تصورا لوجهة نظر الشاعر التي قد تختلف عن آراء الآخرين،
لأنها صادرة عن تجربة شخصية بحتة. يقول: (١٣)

العز ما خضعت لهيبته العدى وأقام بالفكر الملوك وأقعدا
والمال ما وقاك ذما أو بني عليك أو أبقي لقومك سؤددا
والجود ما بلت به برحم وما أوليت ذا أمل أعدك مقصدا
واللؤم اكرام اللئيم لأنه كالذئب لم ير عدوة الا عدا
والعزم ما ترك الحديد مفلا والخيل حسري والوشيج مقصدا
والنبل فتك بالأعادي غادرا أو وافيا مستجدا أو منجدا
غدر يعز ولا وفاء معقب ذلا وجهل كف ذا جهل هدى

وفي عينيته التي مطلعها:

إلى م أورد عتبا غير مستمع وأنفق العمر بين اليأس والطمع

يعبر الشاعر عن طموحه وتطلعه إلى الرياسة في الحل والترحال، فإذا لم يجد بين قومه هذه
المكانة العالية التي يؤمن بأنها حقه فانه سيبحث عنها في أي مكان، انه يريد أن يكون في
وضع يتناسب مع ما خلق له من زعامة وقيادة، ومجد وسؤدد، فهو ليس رجلا بلا

(١٢) البحرى: الحماسة: ٤٠

(١٣) ديوانه: ١٦٧

همه يعيش ليأكل ويشرب فحسب، بل لديه من قوة العزيمة وكبر النفس، ما يستطيع ان يحقق بهما أسمى المنازل وأبعد الآمال. وكم نصح قومه أمرا وناهيا، ولكنهم لم يسمعوا ولم يعوا، فتأخروا وتضعضوا. وها هو يعلن الرحلة عنهم، مقررًا ألا يعود اليهم الا عندما يعرفوا قدره كموجه، وزعيم. يقول (١٤)

أو أن تقول لي الآمال خذ ودع
مراتب العز لو في ناظر السبع
لو داس عرنين أنف الموت لم يرع
والبيت في المجد ذو مراي ومستمع
هولا وما يحفظ الرحمن لم يضع
ومنتهي سعيه للري والشبع
خصمي وجاري بقربي غير منتفع
لو ضمها صدر هذا الدهر لم يسع
سما لمستنكف غيثا لمنتجع
اذ ليس يوجد صبر العود في الجذع
أمر في الطعم من صاب ومن سلع
أسوأ وأقبح منه العز باللكع
ومنكب الأرض ذو مناي ومتسع
وكل قوم اذا صاحبتهم شيعي
منا ومن ضيع البازي بالوصع
بحسم داء العدا فيهم فلم أطع
عنهم لهم أسليه ومتدع
والريع خير ومن للعمي بالرسع

آليت أنفك من رحل ومرتحل
لا صاحبتني نفس لا تبلغني
سيصحب الدهر مني ما جد نجد
أقبل النقص والآباء منجبة
لأركبن من الأهوال أعظمها
ولا أكون كمن يسعي وغايته
أيذهب العمر لا يخشي معاندتي
وبين جنبي عزم يقتضي همما
فلا رعى الله أرضا لا أكون بها
كم عاين الدهر مني صبر مكتهل
وكم سقاني من كأس على ظمأ
ما أقبح الذل بالحر الكريم وما
مالي أجمجم من صدري بلا بله
وكل أرض اذا يممتهها وطني
سيعرف الخاسر المغبون صفته
كم لمت قومي لا بل كم أمرتهم
فلم أجد بعد يأسى غير مرتحلي
فان يريعوا أراع والعقل مكتسب

ومعاناة مسعود بن سلامة لمرارة فراق اخوته وأصدقائه وهلاكهم أمام ناظريه جعلته كثير المغامرة غير هباب من الموت. يقول: (١٥)

(١٤) ديونه: ٢٧٣

(١٥) البحترى: الحماسة: ٢٠٥.

أقلي على اللوم اني صائر إلى جدث تسفي عليه الأعاصر
إذا سار من خلف الفتى وأمامه وأوحش من حداته فهو سائر

والتجربة الذاتية تجربة شخصية إلى حد كبير، ومن ثم تأتي نتائجها متباينة في بعض الأحوال، وقد يصل التباين إلى حد التناقض لا بين الشعراء فحسب بل عند الشاعر الواحد نفسه، وهذا التباين والتناقض أمر طبيعي، لأن الشاعر يخضع لتجربة في موقف يختلف في ظروفه وملايساته عن موقف تجربة أخرى، وهذا الموقف يكون طبيعياً في بعض المواقف^(١٦) - فمثلاً - بينما رأينا ابن المقرب يتشدد في موقفه من الأخ القاطع، نجده في موقف آخر يتخذ العكس، فيصل من قطعه ويغضي على عيوبه، ويحفظ وده وإن أساء إليه أو أجرم في حقه. يقول: (١٧)

وان قطعوا أرحام بيني وبينهم وصلت وذو العليا أبر وأرحم
وأغضي علي أدواء قومي وأنني لأبصر منهم لو شاء وأعلم
وأحفظ ود الأصدقاء وإن هم إلي بلا جرم أساؤوا وأجرموا

يقول د. محمد عويس عن التجارب الذاتية (وهي في نظرنا أرقى مظاهر الحياة العقلية لهؤلاء القوم، ومنها استطاع الشعراء أن ينفذوا إلى خطرات فلسفية، وهذه الخطرات لا تصل إلى حد تكوين مذهب فلسفي، ذلك أن هناك فرقاً بين مذهب فلسفي وخطرة فلسفية، فالمذهب الفلسفي نتيجة البحث المنظم، وهو يتطلب توضيحاً للرأي، وبرهنة عليه، ونقضا للمخالفين، وهكذا.^(١٨) أما الخطرة الفلسفية فدون ذلك لأنها لا تتطلب إلا التفات الذهن إلى معنى يتعلق بأصول الكون من غير بحث منظم وتدليل وتفنيد.^(١٩) فتجاربهم الذاتية كانت خير معين للشعراء على الوصول إلى الخطرات الفلسفية المتمثلة في شعرهم، والتي تكون حكمتهم بمعناها الواسع، فهذه التجارب شملت كل مناحي حياتهم، ومن ثم كانت حكمتهم متنوعة شاملة لكل مناحي حياتهم).^(٢٠)

(١٦) محمد عويس: الحكمة في الشعر العربي ٣٨/١.

(١٧) ديوانه: ٤٥٠.

(١٨) الحكمة في الشعر العربي: ٤١ / ١ - مكتبة الطليعة بأسبوط - مصر

(١٩) أحمد أمين: فجر الإسلام ٦١.

(٢٠) محمد عويس: الحكمة في الشعر العربي ٤٢/١.

الفصل الثاني

الحكمة وقضايا الانسان

أولا

قضية الحياة والموت

كانت هذه القضية الكبرى أولى القضايا التي احتلت من تفكير الشاعر العبدى أوفى نصيب. وقد سطر المثقب العبدى في نونيته آراءه في هذه المسألة، وهي النونية التي وصفها طه حسين بأنها من أروع ما قال الشعراء، لا في اللغة العربية وحدها بل في سائر لغات العالم^(١)، وفي هذه القصيدة تمثلت فلسفة الشاعر تجاه الحياة والناس وسر الوجود، فاسمعه يقول في لوحة الطعائن: (٢)

لمن ضعن تطلع من ضبيب	فما خرجت من الوادي لحين
تبصر هل ترى ظعنا عجالا	بجنب الصحصاح إلى الوجين
مررن على شراف فذات هجل	ونكبن الذرانح باليمين
وهن كذاك حين قطعن فلجا	كان حدوجهن علي سفين
ظهرن بكلة وسدلن رقما	وثقبن الوصاوص ^(*) للعيون
أرين محاسنا وكنن أخري	من الديباج والبشر المصون
علون رباوة وهبطن غيبا	فلم يرجعن قائلة لحين

(يعبر أسلوب الاستفهام المكرر في لوحة الطعائن عن تلهف الشاعر وحدة انفعاله ويعكس الفعل (تبصر) شدة اهتمام الشاعر بالطعائن وتعلقه القوي بها، فالبصر في هذا المقام من أعمال القلب، ولكن القلب لا ينشط بمعزل عن عاطفة مهمومة أقرب إلى الشعور بمسئولية الموقف الذي يعالجه، وان تتبع الشاعر الدقيق لحركة الطعائن يدعوه إلى أن يذكر أماكن كثيرة، وهي أماكن لا تتفصل عن تجربته، بل ترتبط ارتباطا وثيقا بها، وان استحضار العنصر المكاني في لوحة الطعائن مقترنا بالحركة الموصوفة بدقة متناهية يشير إلى حدة المعاينة التي كان الشاعر يعاينها، ويظهر الشاعر كيف أن السكون والهدوء يمكن

(١) حديث الأربعاء: ١٦٤ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٢

(٢) ديوانه ١٤٢

(*) الوصاوص : البراقع.

أن يؤدي إلى القتل، ولذلك يبدو أن الأثر الجمالي لهذه النسوة قادر علي أن يبرز انتصار الجمال علي النفس الانسانية الشجاعة، وقد كان الشعراء الجاهليون يحتفلون احتفالاً كبيراً بتصوير جمال النساء والهوارج بصور تبعث الأمل والبهجة في النفوس، حتى أن هذه الصور تحولت إلى طقوس تمارس في كل لوحة من لوحات الطعائن، وهذا يقود إلى الاعتقاد بأن وراء هذه الطقوسية سعياً حثيثاً للوصول إلى الحقيقة، ولكنها الحقيقة التي لا تدرك، ولذلك يرتحل الشاعر نفسه من أجل الحقيقة، وفي نهاية مشهد الطعائن يصور الشاعر احساسه بعدم القدرة على امتلاك المرأة من جديد، وان تتبع الشاعر الدقيق لحركة الطعائن ما هو إلا ابراز لصورة الطعائن التي تصبح صورة من صور البحث عن المعبود الذي أقلق الشاعر الجاهلي وأحزنه، الكل يبحث عن الحقيقة ويسعي إليها، تنطلق الطعائن بتجوال بظهر الغيب، تطوف بالأماكن، وتتكد الجبال، وتتعث في الرمال، وتجتاز الوديان، في بحث مستمر وتطواف لا يهدأ ويقظة دائمة ... الشعراء لا يحدثوننا بأن الطاعنين قد عرسوا في رحلتهم أو ناموا أثناء السير، وهل ينام الباحث عن الحقيقة، ولكن الشاعر لا يطمئن إلى رحلة الطعائن، وانما يواصل البحث عن الهدف، ولذلك يقدم مقدمات يشير من خلالها إلى أنه هو الذي يشق الطريق بنفسه، ولذلك يقول في نهاية حديثه عن الطعائن. (٣)

فقلت لبعضهن وشد رحلي لهاجرة عصبت لها جبيني
لعلك ان صرمت الحبل مني أكون كذلك مصبحتي قروني

(يوجه الحديث إلى الحبيبة المخالفة، فهو يحدثها في داخله، أن نفسه تتشطر شطرين، لذلك يحاول التوحيد في داخله (مصبحتي قروني) فإذا كانت محبوبته العنيدة تريد أن تنفصل عنه، فإن نفسه لا تطاوعه في أن يظل متعلقاً بها، وتقوده إلى الابتعاد عنها، ويعود العنف في نهاية لوحة الطعائن من جديد، إذ أن الكلمات التي يستخدمها الشاعر هي كلمات تجسد هذا العنف، لتتسجم مع (هاجرة وعصبت)، وتتبئ هاتان الكلمتان أن أمام الشاعر رحلة شاقة وطويلة في هذا العالم الانساني الذي يراه قد فقد انسانيته، وبذلك تأتي الرحلة لتكون رمزا لكفاح الانسان ضد كل المغالطات التي لا تتسجم مع موقفه، فالرحلة

(٣) موسى رابعه: قراءة في نونية المثقب العبدى - مجلة جامعة الملك سعود الآداب ٢ - ١٤١٢ ص ٤٦٠

هي بحث عن آثار آفاق جديدة يحاول فيها الشاعر أن يضيء من خلالها جوانب ذاته ويشرح رؤيته التي يؤمن بها. ثم يتحدث المثقّب عن الناقّة عبر لوحة الرحلة^(٤) فيقول:

فسل الهم عنك بذات لوث	عذافرة كمطرقة القيون
إذا قلقت أشد لها سنافا	أمام الزور من قلق الوضين
تصك الجانبين بمشفت	به صوت أبج من الرنين
إذا ما قمت أرحلها بليل	تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذ درأت لها وضيني	أهذا دينه أبدا وديني
أكل الدهر حل وارتحال	أما يبقي عليّ وما يقيني
وما أدري إذا يمت وجها	أريد الخير أيهما يليني
أأخير الذي أنا أبتغيه	أم الشر الذي هو يبتغيني
دعي ماذا علمت سأنتقيه	ولكن بالمغيب نبئيني

تبرز الناقّة في مخيلة الشاعر وسيلة للتطهير من الألم، فهي المخلص من الهموم الناصبة والآلام المبرحة، والمخاوف المتراكمة على ظهرها ينسي الشاعر الذكريات المؤلمة والقلق والسأم (وحضور الهم) تعبير مكثف، وذلك أن الحقيقة الزائفة التي انتهت إليها رحلة الطعائن، تبعث في النفس الهم واليأس والقنوط، وتظهر الناقّة وحدها في الموقف، فهي كاشفة الهم وباعثة السلوي ومطهرة الألم، في اللحظات العصيبة دائما يتجه الإنسان إلى مصادر القوي يحتمي بها ويلوذ بكنفها، عندما يشعر بالضعف والعجز. وإذا كان استحضار الناقّة قد ارتبط بغاية في ذهن الشاعر، وهو الارتحال والانتقال وتجاوز الراهن المليء بالظلم والصدّات، فإن هذه الغاية تتحول في نهاية القصيدة لتصبح جزءا من ذات الشاعر، وفي الأبيات التي وصف الشاعر بها ناقته اشارات واضحة الارتباط بحالته النفسية. ان تفاعل الشاعر مع موضوعه هو السبب الأساسي الذي جعله يستنطق الناقّة، فهو يتوحد مع ناقته في لحظات المشقة والكلام والشكوي من الزمن (أكل الدهر حل وارتحال)، فكأن الشاعر والناقّة التي يتوحد معها يقفان من الزمن موقف المتذمر فالزمن يشكل لهما هما لا يمنحهما الراحة والطمأنينة، بل هو ذلك القضاء المقدّر عليهما، وبذلك

(٤) المصدر السابق: ٤٦٤

يتساوى الشاعر مع ناقته بالاحساس أن الحياة فضاء منتهاه، وأن الانسان عليه أن يدور في ذلك الفضاء حتي النهاية، يقول (موسي ربابعه). وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة يعود الشاعر إلى لب المشكلة الأساسية التي كانت تقلق الشاعر الجاهلي بصورة عامة وهي مشكلة المستقبل الغامض، فالشاعر كما يظهر يبحث عن الخير والسمو، ولكن تجربته القاسية مع بعض الناس جعلته يطل على العالم بأسره، ذلك العالم الذي يحمل وجهين متناقضين، وجهها للخير ووجهها للشر، وتظل هذه الثنائية تلعب دورا مهما بارزا، فالشاعر يعيش بين هذين النقيضين، وبذلك فان منح الشاعر صفة الجهل (وما أدري) و(الغيب) يصبح اشارات جهل الشاعر بالمستقبل، فتجارب الشاعر الجاهلي القاسية مع الزمن قد (حددت كثيرا من مواقفه ووسمت حياته بطابع مميز، فقد عاش الشاعر الجاهلي حاضرا قلقا نتيجة المستقبل الغامض). (٥)

وتحدث الشعراء العبديون عن شبابهم ولهوهم في سياق حديثهم عن شيخوختهم الذي كان يدفعهم اليه غوانيهم ونسائهم، وقد كانت صورة المرأة في هذا الحديث شابة خالدة الشباب تسخر من الشاعر الشيخ وتهزأ من ضعفه وتعرض عنه، فتستثير كلامه عن فتوته الماضية، ذلك مع ان الشاعر يذكر لنا بعض ذكريات شبابه مع هذه الفتاه ذاتها، فكأنه شاخ وشاب رأسه وبقيت حبيبته في صباها خارج نطاق الزمن (٦). يقول عبد الله بن جندب النكري: (٧)

زعم الغواني أن أردن صريمتي	أن قد كبرت وأدبرت حاجاتي
وضحكن مني ساعة وسألنني	مذ كم كذا سنة أخذت قناتي
ماشبت من كبر ولكني امرؤ	أغشى الحروب وما تشيب لداتي

وتأتي قضية الموت في مقدمة مشكلات الانسان الفلسفية التي أرقته منذ أقدم الفلسفات حتي اليوم، وقد قال أفلاطون بأن الفلسفة هي تأمل الموت. وهي عبارة توحى بأن الموت هو الحقيقة الوحيدة التي تثير لدي الفيلسوف شتي ضروب التأمل، فتدفعه إلى أن النظر في أسرار هذا الوجود والبحث عما قد يكون وراء ظواهر الحس. (٨)

(٥) انظر الدراسة السابقة: ٤٦٩ و ٤٧٠

(٦) مصطفى عبد اللطيف: الحياة والموت في الشعر الجاهلي ٢١٢ وزارة الاعلام العراقية - سلسلة الدراسات ١٢٣

(٧) الأصمعيات: الأصمعية ٣٠ ص ١١٤ دار المعارف بمصر.

(٨) زكريا ابراهيم: تأملات وجودية: ٦٦ - الآداب بيروت ١٩٦٣

والشعر وهو نتاج انساني كان لابد أن يكون ذا قرابة حميمة بالفلسفة، ثم ان هذه القرابة تتمثل أيضا فيما يجمع بينهما من الاهتمام المشترك بمصير الانسان، ومواقفه البشرية، وقيمه الأخلاقية، وصراعه. بل ان الفلسفة برغم أنها نتاج عقلي يستند إلى الفهم والتركيب والتأويل لا يخلو من خيال عقلي تصوري، كما أن الشعر برغم كونه نتاجا فنيا قائما على الاحساس والانفعال والتأثير لا يخلو من تفكير ميتا فيزيقي غير مباشر.^(٩)

وفد شغلت قضية الموت تفكير الشاعر العبدى الجاهلي أكثر مما شغلت معاصريه من سائر الشعراء، ولعل يزيد بن الخذاق العبدى أول من عني بتسجيل عادة الجاهليين في دفن موتاهم، ويذكر أبو عمرو بن العلاء أن ما قاله هذا الشاعر في ذم الدنيا هو أول شعر قيل في هذا المعنى، وفي أبيات رثى فيها نفسه فصل الشاعر مراسم الدفن بكاملها من غسل الميت وتكفينه وتشيعه وتأبينه حتي وضعه في لحده واغلاق قبره عليه، والعظة الحكيمة في هذا النص لا تقتصر علي تصوير طقوس الدفن، وانما تظهر منذ البداية في هذا الاستفهام الاستكاري الذي استهل به أبياته، والذي يدل علي عجز الانسان عن الوقاية من مصائب الدهر، ولا سيما الموت الذي لا تدفعه رقية راق ولا وقاية واق، كما تتبدى العظة في ذلك البيت الذي يشير فيه الشاعر إلى اقبال الورثة على تقسيم ماله وانشغالهم عنه بما شقي في جمعه، وها هو ذا يموت دون أن يأخذ منه شيئا. ان احساس الشاعر بالحياة والموت يستبطن النص كله حتى في الجزء الذي يحمل في ظاهره الجمال ويدل على القوة والحيوية والشباب، كترجيل الشعر ولبس الجديد فذلك الترجيل واللباس ليس لحفلة ترفيحية، وانما لحالة تأبين جنائزية، بعد أن صار كطي المخراق (وهو العمامة البالية التي يلعب بها الصبيان). يقول: ^(١٠)

هل للفتى من بنات الدهر من واق	أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلوني وما رجلت من شعث	والبسوني ثيابا غير أخلاق
ورفعوني وقالوا أيما رجل	وأدرجوني كأني طي مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا	ليسندوا في ضريح التراب أطباقي

(٩) انظر لذكريا ابراهيم: مشكلة الفلسفة ٢٠، ١٦٥، ١٧١، ١٦٤، ٣٠٠، ٣٠٨ - مكتبة مصر

(١٠) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٣٨٦/ ١

هون عليك ولا تولع باشفاق
فانما ما لنا للوارث الباقي
كأنني قد راماني الدهر عن عرض
بنا فذات بلا ريش وأفواق

ويبدأ منقذ بن هلال الشني أبياته بالتعجب من ظلم المنية له وحقدتها عليه، وكأنها تنتقم منه أو تتأثر، فقد انتشرت نارها في قومة حتى أكلت الأخضر واليابس، فلا الغني نجا منها بثروته، ولا الفقير سلم منها لعدمه، لقد أدمنت حصدهم ولم تتوقف أو تشبع، والأعجب أن هذه المنية تنتزع أقرب الناس إليه، وأحبهم إلى قلبه، وكأنها تفعل ذلك عن قصد وعمد. ونلاحظ أن كل كلمة من الأبيات تشي بحالة التوتر التي يعانيتها الشاعر، بما تشتمل عليه من تكثيف للمعني، تمثل في مثل لفظة (غشم) الدالة على الظلم ولفظة (شعواء) الدالة على الانتشار الواسع، وغيرهما من الألفاظ الموحية والمعبرة عن حدة المأساة التي أرقت الشاعر العبدى. يقول: (١١)

هل للمنية عندنا جرم	ما غشمها إياي كالغشم
دربت فما تتفك تأكلنا	شعواء مدمنة علي هضم
لا ترتشي مال الغني ولا	تدع الفقير لشدة العدم
ما ان تري أهلي بمغبطة	إلا تخيرهم علي علم
تختار منهم من أضن به	فكأنما تختار عن فهم

وقد يستدلون في مقام البرهنة علي حتمية الموت بمن رحل من أشقائهم وأصدقائهم المحيطين بهم، مستهدفين من ذلك اقناع من يلومهم علي المخاطرة أو الاسراف. يقول مسعود بن سلامة العبدى: (١٢)

أقلي عليّ اللوم لني صائر	إلى جدث تسفي عليه الأعاصر
ألم تعلمي أن قد ترحل اخوتي	جميعا واخواني الذين أعاصر
إذا سار من خلف الفتى وأمامه	وأوحش من حداثة فهو سائر

(١١) البحرى: الحماسة: ١٠٦

(١٢) نفسه: ٢٠٥

وربما استمدوا برهانهم علي نفاذ الموت من الحيوانات القوية الضارية الممتعة في الغابات وأعالي الجبال وأجواز الفضاء، كالأسود والوعول والنسور، كما نري في قول جندل بن أشمط العبدي مصورا جبروت الموت وسلطانه القاهر لكل الأحياء قويهم وضعيفهم اينما حلوا وحيثما تقفوا: (١٣)

لا ينفع الهارب الفرار من الـ	موت اذا ما تقارب الأجل
تغدو المنايا علي أسامة في الـ	خيس عليه الطرفاء والأسل
وتصرع الطائر المدموم في الجو	ويشقي بريّة الوعل

وقد يتخذون من القصور المشيدة ذات الحراس الأشداء دليلا آخر على عجزهم عن التحرر من الموت وعدم النجاة منه بأي حال من الأحوال، وصولا إلى فلسفة المغامرة وترك الحذر، يقول ثعلبة بن عمرو العبدي: (١٤)

ولو كنت في غمدان يحرس بابـه	أراجيل أحبوش وأسود آلف
اذن لأتتني حيث كنت منيتي	يخب بها هاد لاثري قائف
أمن حذر آتي المهالك سادرا	وأية أرض ليس فيها متالف

وقد يلتفتون إلى التاريخ فيستمدون منه الدليل على سرعة الفناء وانقلاب الحال، وربما فعلوا ذلك مع اللاهين والمترفين عليهم يتعظون بذلك، كما صنع نشبة بن عمرو العبدي حين اتخذ من بني النعمان بن المنذر العبرة، على زوال ذوي الشأن والقوة والعدة والكثرة. يقول: (١٥)

يأأيها المحتفي بالدهر يمدحه	لا تأمنن فسادا بعد اصلاح
كم كان عند بني النعمان من جنن	ومن سيوف مباتير وأرماح
ومن جياذ تغالي في شكايمها	مثل القداح دحتها بسطة الراح
بادوا فلم يك أولاهم كآخرهم	وهل يتمم اصلاح باصلاح

(١٣) المصدر السابق: ١٠٠

(١٤) المفضلية ٧٤ ص ٢٨٣

(١٥) البحرني: الحماسه ٢١٥

ويلفت مويك بن قابس العبدى نظر المخدوع بحال المنعمين في هذه الحياة إلى ما يزيل عنه غشاوة الخداع بأن يكل أمره للزمن الهادم للملذات المبيد للأحياء، يقول مصورا حياة الانسان القصيرة الفانية في هذه الصور الحسية: (١٦)

إذا أعجبتك الدهر حال امرىء	فدعه ووكل حاله والليالي
يغيرن ما أبصرت من صالح به	وان لم يكن فيما ترى العين آليا
ألم تر أن الدهر يوم وليلة	وأن الفتى يسعى بحبليه عانيا
يروح ويغدو والمنية قصده	ولا بد يوما أن يلاقي الدواهيا
ضلال لمن يرجو الخلود وقد رأى	صروف الليالي يقتلن الرواسيا

فالدهر يمد الانسان بالحياه عن طريق حبليه (الليل والنهار) وهو يسعى بهما أو فيهما بمشقة وعناء، والموت يتجه إليه عامدا، ولا بد أن يقطع ذلكما الحبلى في يوم من الأيام، إذ لا دوام لأحد مهما كان، فالذي يظن الخلود في ضلال بعيد، وهم يعلمون علم اليقين أن الموت لا رقية له ولا علاج، ويرددون هذا المعنى، فيذكر الممزق العبدى بأنه مهما فعل من الاستعانة بالكهان والأطباء واستخدم التماائم والتعويذات، فلن ينجو من الموت. يقول: (١٧)

ولو كان عندي حازيان وكاهن	وعلق أنحاسا علي المنحس
اذن لأتنتي حيث كنت منيتي	يخب بها هاد إلى معقرس

وهكذا نجد أن شعرهم الكثير هو الذي يتحدث عن قضية الموت، فالموت أمامهم قضية مائلة ويقين قائم لا مفر منه ولا مهرب، وهو مفزع ومخيف، والأيام والليالي باقية ثابتة، لكن نوائبها وصروفها تتغير وتتبدل، فمن صالح إلى طالح، ومن مسرة إلى اساءة، ومن نعيم إلى زوال، والانسان لا يدوم على حال واحدة مهما كانت صولته وسلطانه. وذكر شعراء هذا الاتجاه ما يلحق بالموت من قبور وما يستعان به من وقاية وحماية فالمرء أبدا حذر متربص يفرع إلى الكهنة والراقين ويسرع إلى الرقية، والتيممة ولكن هيهات، فالموت أقوى وأعظم من كل المحصنات، ولم يتطرقوا إلى ما بعد الموت وإلى حياة القبر

(١٦) المصدر السابق: ١٠٠

(١٧) نفسه: ٩٧

وعذاب الانسان. وأغلب الظن أنهم كانوا واقعيين لا يدركون ما يحدث للجسد بعد الانتهاء والموت، فحياتهم جل معتقداتهم، لذلك لم نجد عندهم تعليلا خاصا أو فلسفة معينة ولم يكن لديهم دين واضح يأترون بأمره ويجتنبوه نهيه، فتلك معارفهم ومفاهيمهم.^(١٨)

لقد استطاع شعراء عبد القيس الجاهليون أن يعبروا عن نظراتهم في الحياة والموت تعبيرا صادقا، فذكروا الدهر وهو عندهم يوم وليلة، يفرق بين الأخوان، ويقسم الآجال والأعمار، فتفنّى الأمم والدهر مائل لا يفنى، والزمان قائم يتجدد، وأحداثه تغير من واقع الناس وحياتهم، ولهذا تألموا وتشاءموا وشتّم بعضهم الزمان.^(١٩)

أما موقف شعراء عبد القيس الاسلاميين من قضية الموت والحياة فقد سلك اتجاهها آخر، بسبب التأثير الواضح بالعقيدة الدينية، فقد شمل هذا التأثير جميع الشعراء حتى الذين حاولوا تقليد الجاهليين في بعض المبادئ الفلسفية المتصلة بهذه القضية ككعب العبدى الذي ذهب مذهب طرفة بن العبد في أبياته التي منها:

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي

فإنه يضع علي رأس ما يصله بالحياة. تقوى الله عز وجل ليسلم الناس من لسانه ويده، ثم حبه لحياة الفروسية وقيادة الجيوش الجرارة، وأخيرا ميله لشرب الراح الصافية، يقول:^(٢٠)

ألم ترى كعبا كعب غورين قد قلا	معالي هذا الدهر غير ثمان
فمنهن تقوى الله بالغيب انها	رهينة ما تجني يدي ولساني
ومنهن جري جحفا لجب الوغي	إلى جحفل يوما فيلتقيان
ومنهن شرب الكأس وهي لذيدة	من الخمر لم تمزج بماء شنان

وفي دعوة عبد الحميد الخطي النائم إلى الصحو الباكر للتمتع بجمال الطبيعة ومباهج الحياة نلمس شفافية واتساع نظرة الشاعر العبدى إلى الحياة، فهي لا تقتصر على الاستمتاع

(١٨) عبد الحميد العيني: شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي ١٨٩/١ - رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة القاهرة ١٨٩

(١٩) نفسه: ١٩١/١

(٢٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢١٨/٤ - دار احياء التراث العربي - بيروت.

بالأشياء التي لم يكد الشاعر الجاهلي يتجاوزها، بل تمتد إلى كل شيء جميل في الطبيعة من صباح وشاطيء وربوة وبطحاء وشجر وزهر. يقول: (٢١)

أيها النائم استفق ان ديك الفجر	قد صاح مؤذنا بالصباح
هاتفنا بالنووم هب خفيفا	لا تنم والصباح ملء النواحي
متع العين بالصباح مشاعا	في الشواطىء وفي الربا والبطح
خير أوقاتك التي تتقضي	بين عود يشدو وأقداح راح
وعلي ضفتي غدير طروب	حول زهر غض وخود رداح
كل أبناء آدم لتراب	وسواء ذوو الخنى والصلاح

وهذه الدعوة وإن تناولت ملذات حسية تقليدية كالشراب والنغم والخضرة والوجه الحسن، إلا أن أثر الاسلام يبدو واضحا في كشف الزهاد المزيفين الذين لم يلبسوا الزهد عن قناعة ويقين، وإنما اضطهرهم اليه فشلهم في الحياة وكسلهم وقلة حيلتهم. يقول:

فانفق العمر في اللذائة وانهب	غفلات الزمان والنصاح
وابتعد ما استطعت عن وعظ غر	متقل بالهموم والأتراح
خاب في العيش فاطمأن إلى الزهد	وزهد الضعيف شر سلاح
يبرز الغداة الكعاب بشكل	قامم اللون كالليالي القباح
ولو استطاع نهزة من نعيم	لتردي علي فم المصباح

وتحدث شعراء عبد القيس عن الشيب علي طريقة الجاهليين، إلا أنهم كانوا أبعد نظرا وأكثر عمقا، فالطابع الاسلامي ظاهر في حديثهم القائم علي الجدلية المنطقية والتراكيب القرآنية. ففي قصيدة لابن المقرب نراه يدير في ابيات منها حوارا بينه وبين احدي الحسان، فقد استنكرت منه تعلقه بالنساء وهو في سن الشيخوخة، حيث شاب رأسه وتحول سواده إلى بياض، ولكن الشاعر يرد على استنكارها ردا مؤيدا بالحجة المنطقية القائمة على المغالطة الطريفة، فإذا كان شعر رأسه قد تحول من السواد إلى البياض، فإن اللون الأبيض أفضل عند أكثر الناس من اللون الأسود، كما أن كل الناس متفقون على ان

(٢١) سعود الفرج: شعراء مبدعون من الجزيرة والخليج ٨٥/١ القطيف ط ١٤١٧ هـ

الصبح ببياضة أجمل من الليل بسواده، ولكن هذه الحجة المرتكزة علي المكر والحيلة لم تحقق الهدف، ولم تنطل علي المرأة، التي سخرت من الشاعر وخاطبته بأسلوبه الماكر، ولاعبته بمثل حجته، فاذا كان البياض حسنا في الشعر الأسود، فان السواد حسن في الأسنان البيض. يقول: (٢٢)

وقائلة شبة الملام وراعها	بياض مشيب جللته المسائح
أبعد اشتعال الرأس شيبا تعرض	لوصل الحسان البيض أم أنت مازح
فقلت أليس الصبح أحسن منظرا	وأبهي من الظلماء والليل جانح
فمالت لهزل القول ثم تضاحكت	وقالت لهذا فلتنحك النوائح
إذا شيب رأس المرء مما يزينه	فيا حسن ثغر سودته القوادح

وفي مقدمة غزلية أخرى يتحدث ابن المقرب عن حبه، وهو في سن الشيخوخة وحرصه على كتمانته، تحاشيا لكلام الناس، وعدم تمكنه من ذلك، لقوته وظهور علاماته في نظراته وأنفاسه المتصاعدة، ويقول لنفسه إن اخفائه لحبه يضر بصحته ويحرق قلبه، وأن هذا الاخفاء من قبيل الكبر الذي لا يليق بعاشق، وأن الأولي أن يعلنه ويعترف به. ويقدم الشاعر جملة من الأمثال والحكم ليقنع بها من ينكر عليه حبه ويعيبه عليه، وبعض هذه الأمثال لا يزال حيا علي الألسنة حتى الآن، يقول: (٢٣)

تخفي الصبابة والألحاظ تبديها	وتظهر الزهد بين الناس تمويهها
وتستر الحب كيلا لا يقال صبا	شيخا فتعلنه الأنفاس تنويها
يا عاشقا تلفت في العشق مهجته	كتمانك الحب في الأحشاء يؤذيها
واضرب عن التيه صفحا والغ صحبتته	ما أحق العاشق المستصحب التيهها
فان لحوك فقل كل له شجن	ووجهة هو عن قصد موليها
ولا تلفت إلى قول يزيد ضني	(لا تحرق النار الا رجل واطيها)
(ليس الخلي بيباك للشجي أسّي	ولا يحس الحمي غير حاسيها)

ويتحدث الصلتان العبدى عن أثر السنين في الانسان، وما يكابده في حياته من جهد وعناء، وانشغال بمطالب الحياة اليومية، التي لا تنتهي حتى يأتي الموت فيسلب المرء حياته بكل صورها. يقول الصلتان العبدى: (٢٣)

أشاب الصغير وأفنى الكبير	كر الغداة ومر العشي
إذا ليلة هرات يومها	أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدوا لحاجاتنا	وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته	وتبقي له حاجة ما بقي
ويسلبه الموت أثوابه	ويمنعه الموت ما يشتهي

يقول د. الزير: فالصلتان العبدى يلقي بمسئولية فناء الانسان علي مرور الزمن فالصغير والكبير ليسا سوي ضحية لهذا التكرار والتعاقب الزمني الذي صير الطفل شيخا هرما كبيرا، ويلاحظ أن الصغير يصير كبيرا، وهو حين يصير كبيرا يصير إلى الموت، اذن فالزمن يميت هذا الصغير في الوقت الذي يميت فيه الكبير وحينئذ يصبح (أشاب) يحمل معنى (أفنى) فكأنه يقول (أفنى الصغير وأفنى الكبير)، ونلاحظ أيضا هذه الحركة المتعاقبة في البيت باستعمال الأفعال المتحققة "أشاب - أفنى" ثم اعقابها بالمصدر المفيد للحركة المطلقة "كر - مر" ثم في البيت الثاني "هرأت ليلة يومها" أتى بعد ذلك "يوم فتى". أنه زمن متحرك نشيط فتى مناضل كما يوحي بذلك المصدر "كر" الذي يعبر عن العزم والتصميم علي عرك الانسان. (٢٤) ومن الموضوعات القديمة التي طرقتها تنبيه الغافل المغتر بالدنيا الذي لم يتذوق بعد مرارتها فعاش في نعيمها آمنا من تقلباتها وأذاها. يقول ابن المقرب العيوني محذرا هذه الفنة من حوادث الأيام: (٢٥)

أيدي الحوادث في الأيام والأمم	أمضى من الذكر الصمصامة الخدم
فلا يظن من طالت سلامته	أن المقادير أعطته عري السلم
كل بما تحدث الأيام مرتهن	وكل غاية موجود إلى عدم
من سره الدهر صرفا سوف تمزجه	له تصاريفه من صفوه النقم

(٢٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٥٠٢/١

(٢٤) محمد الزير: الحياة والموت في الشعر الأموي: ١٥٠ - دار امية للنشر والتوزيع - الرياض

(٢٥) ديوانه: ٤٨٣

فلا تغرنك الدنيا وزينتها ولو حببتك بخير الخيل والنعم
يا غافلا لعب الظن الكذوب به خف العواقب واحذر زلة القدم

ويمضي الشاعر في موعظته، فيقدم طائفة من الاستدلالات، يستمدّها من ثقافته التاريخية الواسعة، مذكرا هذا الغافل المترف بما جري للأمم والملوك الغابرين من هلاك رغم قوتهم وسلطانهم. فيقول:

ساد القبائل من عاد ومن ارم
أولاد حمير والسادات من عجم
من جرهم ساكني بحبوحة الحرم
في وائل فسقاها غير محتشم
عقد الرئاسة عن آبائه القدم
سهم المنون على عمد فلم يرم
بكر سقاها بكاسات من النقم
بسطام مد اليه كف مخترم
فوق التراب عقيير الخد والقسم
به الأعاريب واستولت على العجم
بجحدر فارس التحلاق للمم
فيهم بنوه ولما يكثر بهم
بناه والده اذ كان ذا همم
عن رأسه التاج عمدا غير محتشم
منه الحمام فلم يطلب له بدم
أعني كليباً قريع العرب والعجم
عنه المنية اذ جأعت بنو جشم
منه وكان عدي أي معتصم
يتترك لهم من حمى حام ولا حرم
أهل النهي واللهي والعهد والذمم

أين الملوك وأرداف الملوك ومن
وأين طسم وأولاد التبابع من
وأين آل مضاض في قبائلها
أفناهم وأدار الكأس مترعة
أودي ابن مرة هماما وكان له
ومانع الجار جساسا أتيح له
والخوفزان الذي كانت تنوء به
وفارس العرب العرباء ان ذكرت
فابتزّه ملكه غصبا وأنزله
ولم تدع هاننا وهو الذي انتصفت
والحارث بن عباد غاله وسطا
والحارث بن سدوس لم يهب عددا
والجعد مسلمة لم يحمه فدن
وهوذة بن علي حط منتزعا
وشيوخ عجل أبا معدان عاجله
وفارس العرب العربا وسيدها
لم يحمه عدد بحر ولا دفعت
ولم يكن لعدي بعده عصم
وآل كلثوم سادات الأرقام لم
أولئك الغر من سادات قومكما

وهذه شيم الدنيا وعادتها فيمن مضى أو بقي من سائر الأمم

ثم يعرج علي ذكر بعض الأقوياء من المسلمين، فيذكر بطل القادسية المثنى بن حارثة الشيباني وشبيب بن يزيد الشيباني الخارجي الذي هزم جيش الحجاج في مواقع كثيرة، وأولاد مزيد الشيباني ومنهم يزيد بن مزيد كان شجاعا كريما تولى أرمينية وأذربيجان، ومنهم معن بن زائدة الشيباني أحد أجواد العرب وشجعانهم وفصحائهم ولاء المنصور اليمن ثم سجستان، يقول:

وعاقر الفيل يوم القادسية قد	سقاها كأس الردي صرفا بغير قم
وقد أذاق شبيبا في شبيبته	كأس الحتوف بلا سيف ولا سقم
والمزيبين غالتهم غوائله	واجتاحهم مزبد في سيله العرم

ويتناول ابن المقرب قضية الموت على طريقة فرسان الجاهلية، فادراكهم لاحتمية الموت دفعهم للجرأة عليه، فاذا لم يكن تفادي الموت ممكنا، فالخوف منه عبث لا طائل تحته. يقول: (٢٦)

تخوفني ابنة العبدى حتفي	واقحامي المهالك وافتزاعي
فقلت لها وقد أرببت وزادت	رويدك لا شقيت فلن تطاعي
أجفل بالفراق وكل شعب	تصيره المنون إلى انصداع
وأرهب أن أموت وكل حي	سينعاه إلى الأقوام ناع

واذا كانت نظرة الجاهليين إلى الحياة والموت متشائمة في عمومها، فان نظرة الإسلاميين حيال ذلك مختلفة، فقد قدم الاسلام للانسان حلا مرضيا تجاه الحياة وما وراءها، وأشاع في نفسه راحة وطمأنينة، وخلصه من شوائب الطيرة والقلق من المجهول، يقول عبد الله بن سلام العبدى مبيننا أثر الايمان بالله والتسليم بقضائه في تحقيق السكينة والصفاء للنفس الانسانية، وانطلاقها من أسر الأفكار الخاطئة المضللة التي كانت تجتاحها وتتسلط عليها: (٢٧)

(٢٦) ديوانه: ٢٦٧

(٢٧) البصري: الحماسة البصرية: ٢٨/٢

إذا غدوت فلا أغدو عليّ حذر من خيفة الشمس أخشاها ولا زحل
الله يمضي الذي يقضي عليّ فلم أخش البوائق من ثور ومن حمل

ويقول الأعور الشني مبينا أثر الايمان المطلق بالقدر الالهي في تهوين ما يمر علي
المرء من مصائب وخطوب، وما للصبر علي ذلك من جزاء وثواب: (٢٨)

وهون عليك فان الأمور بكف الاله مقاديرها
فليس يأتيك منهيها ولا قاصر عنك مامورها

وحل التفاؤل عبد الشاعر العبدى المسلم محل التشاؤم الجاهلي، فهذا عبد الواحد
الخنيزي العبدى يدعو إلى ترك اليأس والقنوط ليحل محله الابتسام والتفاؤل، فهما خير
معين للانسان في تحقيق طموحاته وآماله، فأسباب الحياة السعيدة لا تنهيا إلا للطموح
الجسور المستبشر الذي يري الصعب سهلا ويحول الليل إلى نهار، بعمله الدؤوب، والشوك
إلى رياض بجده وكده، أما المتشائم الكسول الذي يعيش على الأمانى الكاذبة والأحلام
الزائفة دون أن يتحرك فليس له مكان في هذه الحياة التي لا يصل إلى مدارج الرقي فيها إلا
المغامر المقدم. يقول (٢٩)

تزرع اليأس في طريق مساعيك	وتشكو الزمان والأقدارا
ابتسم للحياة في ظلمة الأحداث	تبصر علي الظلام نهارا
انما هذه الحياة أعدت	لطموح ينازل الأخطارا
ويرى الليل مشرقا بالمساعي	ويرى الشوك روضة معطارا
لا لمن يبصر النهار ظلاما	ويرى الخصب فدفدا وقفارا
وهي ليست لكاسل يشرب الأ	حلام خمرا ويسكن الوهم دارا
يتمني وهل تقيت الأمانى	أو تروى من الصدى أوارا
ليس يرقى مدارج المجد من لم	يركب الصعب سلما مختارا

(٢٨) المصدر السابق : ٢/٢

(٢٩) عبد العلي اليوسف: القطيف، أضواء على شعرها المعاصر ١٩١ - مطابع الفرزدق

أما محمد سعيد الخنيزي فعلي الرغم من رؤيته الواضحة للجانب السلبي من الحياة، وأنها تحمل من الشقاء ألوانا، وأن كل فرد لم يسلم من أذاها، إلا أن هذه النظرة السالبة لا تلبث أن تتحول إلى نظرة ايجابية مبنية علي التفاؤل والابتسام تجاه الأحداث والخطوب، لأن الحياة كلها زائلة زوال الظل. يقول (٣٠)

الليالي لا تبتئس أيها الشا	عر منها ولا تضق بالبلاء
أنت فيها كالزورق التائه المج	داف في عاصف من الأهواء
لا تظل الحياة الا شقيا	انما الكون عالم الأشقياء
أي فرد لم يجرع السم فيها	من كؤوس تفيض بالبرحاء
فابتسم كالزهور كالليلة القمرء	كالفجر مشرق اللآلاء
لا يغرنك معشر قدسوا البو	م وقالوا فيه هزار السماء
انما هذه الضفادع كالاصبا	غ تمحي بالريح دون ذكاء

أما القضايا الجديدة التي عالجها شعراء عبد القيس في هذا الجانب فأهمها قضية النفس، وهي من المسائل الفلسفية التي اهتم بها الفلاسفة المتكلمون من العرب وغيرهم. ومن أصحاب الرأي في هذا الموضوع النظام الذي ذهب إلى أن النفس جسم لطيف متشالك للبدن مداخل فيه، وأن الروح هي جسم وهي النفس (٣١) وقد أخذ كثير من المتكلمين بمذهب النظام فقال امام الحرمين: والأظهر عندنا أن الروح يقصد بها النفس، أجسام لطيفة متشابة للأجسام المحسوسة، أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت متشابة لها، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة في استمرار العادة. (٣٢) وممن أخذ بمذهب النظام أيضا ابن حزم الذي قال ان النفس هي الروح وهما اسمان لمسمى واحد، ومعناهما واحد، وأن النفس عنده جسم طويل عريض عميق ذات مكانة عاقلة مميزة مصرفه للجسد، وهي بخلاف البدن أي الجسد. ويؤكد ابن حزم أن هذا هو مذهب أهل الاسلام والملل المقررة بالميعاد (٣٣)، ويذهب ابن القيم إلى أن رأي جمهور المسلمين هو أن النفس والروح اسمان لمسمى واحد وأن هذا هو مذهب الصحابة. واكد ابن القيم أن النفس جسم لا باعتبار

(٣٠) ديوانه: النغم الجريح: ٩٤ - مكتبة الحياة - بيروت
(٣١) سهير فضل الله: الفلسفة الانسانية في الاسلام ٦٢ - دار النهضة المصرية
(٣٢) نفسه: ٦٣
(٣٣) نفسه ٦٣ و ٦٤.

اللغة وأما المقصود بجسميتها أنها تقبل الصفات والأفعال التي يدل عليها الشرع والعقل والحس والحركة والانتقال والصعود والهبوط والشعور بالعذاب ولأنها تحبس في الجسم. (٣٤)

ومن الفلاسفة من ذهب إلى الاتجاه الروحي القائل بأن النفس ليس بجسم له طول وعرض وعمق ومكان بل هي جوهر روحي، (٣٥) ومنهم من رأي أنها عرض من الأعراض توجد في الجسم، وهي أحد الآلات التي يستعين بها الانسان علي الفعل كالصحة والسلامة وما أشبههما وأنها غير موصوفة بشيء من صفات الجواهر والأجسام (٣٦)، وقد مال الغزالي إلى أن النفس غير الروح وغير البدن، فالروح هو الجاري في العروق والشرابين أي الحرارة الغريزية المنبعثة في العضلات والأعصاب، وهي التي موجودة في البهيمة وبها حياتها، ثم يأتي أمر النفس، وهي التي تفصل بين الآدمي والبهيمة، وهي الجانب العقلي من الانسان. فالحيوان جسم وروح أما الانسان فهو النفس والروح والبدن. (٣٧)

وقد أشار الممزق العبدى إلى النفس المرادفة للروح في قوله: (٣٨)

ألا من بعين قد نأها حميمها وأرقني بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتي همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها

وقد اختلف المسلمون في النفس الانسانية، وهل هي قديمة أم حادثة؟ فالمتكلمون يرون أن النفس حادثة مخلوقة خلقها الله سبحانه وتعالى مثل خلقه لسائر مخلوقاته، لأنه تعالى خالق كل شيء، أما الفلاسفة الاسلاميون فذهبوا مذاهب مختلفة متأثرة بالفكر اليوناني، فقال بعضهم بالفيض، وقال بعضهم بالحدوث، وقال بعضهم أن النفس قديمة وليست حادثة، يقول ابن حزم أن النفس كانت قبل تركيب الجسد منذ أباد الدهور وأنها باقية بعد انحلاله. (٣٩)

(٣٤) المصدر السابق: ٦٣، ٦٤

(٣٥) نفسه: ٦٤

(٣٦) نفسه: ٦٢

(٣٧) نفسه: ٦٧

(٣٨) المرتضى: أماليه ١/ ٣٢٥ - دار الكتابي العربي - بيروت

(٣٩) سهير فضل الله: الفلسفة الإسلامية في الإسلام: ٧١

وقد ناقش ابن القيم هذه المسألة وذكر أن العلماء اختلفوا فيها فزل من زل وضل من ضل، لكن الله سبحانه وتعالى قد هدى أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحق والصواب، فقد اجمعت الرسل عليهم الصلاة والسلام على أن النفس مخلوقة محدثة مصنوعة مدبرة، وهذا القول عندهم معلوم من الدين بالضرورة، وقد سار على هذا الرأي الصحابة والتابعون. (٤٠)

ولعل أكثر شعراء عبد القيس اهتماما بقضية النفس، وخلق الانسان، محمد سعيد الخنيزي. والشاعر حين يتناول مسألة كهذه في شعره يعالجها بوصفه شاعرا لا بوصفه فيلسوفا، فيهتم بالناحية الفنية المستندة إلى العاطفة والخيال، لا بالتنظير والتحليل المعتمدين على العقل المجرد. ففي قصيدة تأملية للشاعر عنوانها (إلى نفسي) يجعل الشاعر موضوع قصيدته - كما يبدو من عنوانها - النفس وخلق الانسان، وهو يري أن الروح والنفس شيء واحد، وأن الحياة الانسانية تكونت عن طريق اتحاد النفس والبدن، وبسبب ذلك الاتحاد أصبحت الروح حبيسة الجسد، وهو يري أن النفس أو الروح غير العقل أو القلب اللذين ارهاقا الروح بالتفكير في مشاغل الحياة وشرورها. يقول: (٤١)

أسرتك الحياة أسر القبور	أنت لولا الحياة مثل الطيور
أجهدتك الحياة بالعقل والقلب	فألقتك في خضم الشرور
بين عقل يحس كل خفي	وفؤاد يجلو خفايا الصدور
فمتى تحطم القيود وينفك	عقال الحياة والتفكير
ومتى ينجلي الظلام عن العين	فتقتل مشرقا البدر
أنت لولا الحياة يا نفس في الطهر	ملاك مصور من نور

وفي قصيدة أخرى بعنوان (روح وهيك) يجري الشاعر الفيلسوف حوارا بين النفس والجسد، وهو حوار يقوم على التأمل الفلسفي، فالهيكل يطرح عدة أسئلة، ويطلب من الروح أن تجيب عنها اجابات شافية، وهذه الأسئلة تدور حول نشأة خلق الانسان وماهية النفس وغيرها من الأسئلة التي حيرت العقول منذ القدم. ان الهيكل يريد الاجابة عن هذه

(٤٠) المصدر السابق: ٧٧

(٤١) ديوانه: النغم الجريح: ٣٥

التساؤلات من عالم اللطف، فلعل فيها ما ينقذه من الضلالات التي يتخبط فيها العقل ويسير على غير هدى، وهو يطلب حلا لهذه الأمور قبل أن يدركه الموت، يقول: (٤٢)

حدثيني يا نفس عن أفق الروح	وكيف الحياة في الأرحام
كيف يا نفس قد هبطت لجسمي	أي يوم من فجرك البسام
أي يوم هبطت فيه إلى الأرض	حنان كهمة الأنسام
انت ماذا في عالم الروح شخص	أم خيال مجنح الأحلام
حدثيني فأنني ظامئ القلب	لعل الحديث يطفى أوامي
حدثيني فأنني أتلقى	كل ما تنطقينه باحترام
أنقذيني من حيرتي غرق العقل	وتاهت أنواره في الظلام
أرسلني النور كي يضيء طريقي	فلعلي أراك قبل حمامي

ثم ينتقل الشاعر إلى الروح فتدل بفضلها علي الهيكل، فلولاهما لكان مثل الحجر الأصم، فهو السبب الأول فيما تتعرض له من سقم وبلاء وتعب ونصب، ولولاه لكانت مثل الطيور السابحة في الفضاء العريض، وهي نور من رحمة الله لهذا الجسم الخامد الذي ما ان حلت فيه حتي دبب فيه الحياة، وصار قادرا على السعي والحركة، مسترشدا في ذلك بسنا العقل وهده، والشاعر يضمن شعره رأيه في وجود الروح قبل اتصالها بالهيكل، من خلال اعترافها الصريح بأنها لا تذكر أمر الحياة التي عاشتها قبل حلولها في جسم الانسان، وأنها كانت اذ ذاك تتمتع بالطلاقة والطهر والنقاء، وهي تتمني لو أطلق سراحها منه لتعود حرة تسرح في السماء مثل الكواكب والنجوم السيارة. يقول:

أيها الهيكل الذي ان تجرد	ت من الروح كنت كالأحجار
أنت يا هيكلي إلى الخطب و	الأحداث مرمي وفتكة الأقدار
أنت أصل الشقاء والسقم للرو	ح ولولاك كنت كالأطيوار
أنا نور من رحمة الله للجسم	وسر الاشرار في الأقمار
جئت للجسم فانتشي وتخطي	سائرا في مدارج الأخطار
ليس يدري الطريق كان ظلما	أم صباحا لولا سنا الأفكار

على الروح في الفضاء العاري
بسجن الآلام والأضرار
وترتد للسما كالدراري

أنا لم أذكر الحياة التي مرت
غير أنني كنت الطليقة والآن
فمتي تطلق النفوس من الجسم

وتمضى الروح في مخاطبتها للهيكل، مجيبة عن تساؤلاته عن أصلها وحقيقتها، بأنها لا تعرف من ذلك شيئاً سوى أنها فيض من نور الله على الجسم، أما كيف جاءت وكيف كانت قبل ذلك، فلا علم لها بشيء من ذلك، وكل ما تعرفه أنها حلت في الجسم بأمر من الله دون أن يكون لها رأي أو اختيار، سواء في ذلك النزول أم المفارقة، فكل شيء رهين بالقضاء والقدر، ولولا العقل لأصبحت في ضلال بعيد عن نور الايمان. يقول:

عن الروح في الفضاء السعيد
أم شذا عابقاً بكل الورود
أعرف الروح فيض باري الوجود
تعالى إلى أقاصي الحدود
وكيف الحياة فوق الصعيد
وسأمضي رغماً لدنيا اللحود
أسيراً أنوء تحت القيود
أنا في الكون مرهق كالعبيد
ضللت الطريق للمعبود

أيها الهيكل الذي يسأل الروح
لست أدري أكانت الروح نوراً
لست أدري ما كهنها غير أنني
أنا فيض من السماء علي الجسم
أنا لم أدر كيف جئت إلى الجسم
جئت للجسم مكرها لا اختياراً
أنا رهن القضاء أمشي بكفيه
لم أخير في يوم موتي وبعثي
أنا أعمى لولا بصيص من العقل

ثم يأتي دور الهيكل فيطلب من النفس أو الروح أن تحدثه عن قضية الموت، لأن العقل لا يستطيع أن يقدم الحل والجواب، ويعرض رأيه في هذه الدنيا وغربتها فيها وزواله، وهل هو من أهل السعادة أم الشقاء، وهو يعلن أنه أعمى حائر في هذه الدنيا، ويقرر أن هذه النفس سر من الأسرار العميقة، بل سر الوجود كله. يقول:

أن أري الصبح مشرق الأضواء
يتمشي في حيرة عمياء
كاشفاً عن حقيقة بيضاء
كون يطوي في لحظة كالرداء

حدثيني فإنني أتمني
حدثيني فالعقل زاد ظلاماً
حدثيني أن استطعت حديثاً
حدثيني عن الممات وكيف الـ

مرء فيها مصيره للفناء
أنا كالظهر زائل بالمساء
أم أنا في غد من الأشقياء
حائر في الحياة كالظلماء
أنت كل الحياة في الأشياء
أنت سر الظلام سر الضياء

هي دنيا الشقاء مهما تعالى الد
أنا في هذه الحياة غريب
لست أدري أكنت فيها سعيدا
أنا أعمى لم أدرك كيف طريقي
أنت سر يا نفس جد عميق
أنت سر حامت عقول عليه

وأخيرا يعطي الكلام للروح فتخاطب الهيكل معاتبة آياه علي الحاحه في السؤال عنها وعن عالمها المليء بالأسرار، معرية أمامه حقيقته بكل صراحة ووضوح، ومدلة بأثرها فيه، ومقرة في النهاية بأن سرها وسر كل شيء عند خالق الكون تعالى. يقول:

بحوثا عن عالم الأرواح
بحياة الأرواح والأشباح
يتلاشى لدي هبوب الرياح
مرهق بالخطوب والأتراح
كنت بعضا من هذه الألواح
منه كالزيت للمصباح
سم كالصبح في الربا والبطاح
ت وسر الأتراح والأفراح
ن والنور فالق الاصباح

أيها الهيكل الذي أجهد العقل
أجهد العقل بالبحوث ليحظى
لست مهما بلغت غير سحاب
أنت ما أنت ؟ أنت طين حقير
أنت لولا سنا العقول وروح
إنما الروح قوة يستمد الجسم
أنا نور يسري بذرات هذا الجـ
لست أدري سر الحياة ولا المو
ذاك صنع الخلاق مبدع هذا الكو

وفي قصيدة أخرى لسعيد الخنيزي وهي بعنوان (من أنت) يناجي فيها الشاعر نفسه مناجاة تأملية يصور من خلالها تقلبات النفس وأطوارها الغريبة المتناقضة، فهي ملاك حيناً وحيناً آخر شيطان، وتارة ضحوة وتارة حزينة، وأحيانا فيلسوفة حزينة وأحيانا أخرى ملكة، ومرة ثائرة ومرة ثانية هادئة. وهكذا يجسد الشاعر خلجات النفس وأحوالها المتباينة يقول (٤٣)

من أنت يا نفسي ملاك طاهر؟	أم أنت شيطان شقي قاهر
اني أراك مع الظلام ضحوة	فكأنك الصبح الطروب الزاهر
وأراك في الصبح الجميل حزينة	فكأنك الليل الدجي الكافر
وأراك أحيانا نبيا ملهما	توحي الشعور فتستقر خواطر
صور تحرك قلب شعب جامد	فتصيخ أذان لها ومشاعر
وأراك في دنيا الخيال مليكة	في عشك الفضي ملك باهر
وأراك في أفق اضطراب ثائر	فكأنك البحر الخضم الهادر
أفلت من سجن الهموم وقيدها	وسموت بالشعر الذي هو طائر
اني أراك من التناقض صورة	حار اللبيب بها وצל الشاعر

يقول د. محمد عويس: ولم تتطور تجربة من تجاربهم مثل تجربتهم في الحياة والموت اذ تظهر فيها الطوابع الاسلامية سواء من النواحي العقيدية حيث الايمان والبعث والنشور، أو من الناحية التصويرية حيث التوسع في التدليل علي هذه الحقيقة بصور مستحدثة. (٤٤)

ثانيا

قضية العلاقات الاجتماعية

أفرزت العلاقات الاجتماعية طائفة من الحكم تقمص جلها جلباب العتاب والشكوي،
ولبس بعضها مسح النصح والمدح. وقد أبرز شعراء عبد القيس ما للاخوان من دور هام
في حياة الانسان، ويبدو هذا الدور أكثر أهمية في الشدائد والملمات، ويبين هرم بن حيان
العبدى الفرق بين حال المرء حينما يقف أمام الأعداء مع اخوته، وحاله حين يواجه
الخصوم وحيدا، يقول : (١)

أراني متى أغضب من الناس ذا ثري له أخوة يشدد عليّ بهم معا
ولا يجد المكسور ما دام واحدا وعادي ذوي الأضغان للضيم مدفا

ويقول المنقّب العبدى مبينا دور الجماعة في حماية الفرد ووقوفهم بجانبه في الخير
والشر (٢)

وليس أخونا عند شر يخافه ولا عند خير ان رجاه بواحد
إذا قيل من للمعضلات أجابه عظام اللهى منا طوال السواعد

ولهذا الشاعر مذهب خاص في الصداقة، فهو لا يقر الوسطية فيها، فاما صداقة خالصة
واما عداوة ظاهرة، وهو قادر على قطع الصديق الذي لا يوافقه، حتى ان شماله لو خالفت
يمينه لقطعها، يقول : (٣)

فاما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غثي من سميني
والا فاطرحني واتخذني عدوا أتقيك وتتقيني
فاني لو تخالفني شمالي خلافاك ما وصلتُ بها يميني
اذن لقطعتها ولقلت بيني كذلك أجتوي من يجتويني

ويوضح عبد الصمد بن المعدل طبيعة النفس الانسانية في ميلها إلى من يميل إليها،
ونفورها ممن ينفر منها، مشيرا إلى أن الكيس هو الذي يرعى ود الصديق وينميه بتبادل

(١) حماسة البحتري : ١٠٦

(٢) ديوانه : ٢٦٧

(٣) نفسه : ٢١١

الود والمحافظة على الأسرار وسائر الحقوق، يقول (٤)

هي النفس تجزي الود بالود أهله	وان سمتها الهجران فالهجر دينها
إذا ما خليلت منها حباله	فأهون مفقود عليها حبيبها
لبنس معار الود من لا يربه	ومستودع الأسرار من لا يصونها

وفي تجربة شخصية له مع صديق قاطع، بين له منهجه القائم على المعاملة بالمثل، وأن كلا منهما يجد في الناس العوض والبديل. يقول : (٥)

صرفت هواك فانصرفا	ولم ترع الذي سلفا
وبنت فلم أمت كلفا	عليك ولم تمت أسفا
كلانا واجد في الناس	ممن مله خلفا

وهناك فتتان من الناس يعلن عبد الصمد بن المعذل ترفعه عن صحبتها، وهما فئة المغتابين الذي يصفهم بالحمق لكثرة اغتيابهم له، ويقرر عدم مبالاته بهم واحتقاره لهم. يقول (٦)

قد هجرنا مجلس الغيب	به هجران الثقال
ألفته عصابة نوكي	لقليل ولقال
رب من يشجيه أمري	وهو لم يخطر ببال
قلبه ملآن مني	وفؤادي منه خال

والفئة الثانية فئة الحمقى الحقيقيين الذين يري الشاعر رفع الحرج عنهم، وعدم مطالبتهم بتقديم الأعذار، لأن تصرفاتهم لا تعرف القصد والاعتدال، فلا فائدة من معاتبهم أو تأنيبهم. يقول : (٧)

عذرك عندي بك مبسوط	والذنب عن مثلك محطوط
ليس بمسحوط فعال امرئ	كل الذي يفعل مسخوط

(٤) شعر عبد الصمد بن المعذل : ١٧٧ - مكتبة الأندلس - بغداد

(٥) نفسه: ١٢٩

(٦) نفسه : ١٥٦

(٧) نفسه : ١٦٦

قد كان حظا لك مسترجحا لو كان في أمرك تخليط

وفي أبيات أخرى يعبر الشاعر عن مشاعره القوية تجاه الفئة التي يحبها، وهو يري أن فراقه لمن يحب يتساوى في مرارته مع الموت الزؤام، يقول : (٨)

الموت عندي والفرا	ق كلاهما ما لا يطاق
يتعاونان على النفو	س فذا الحسام وذا السياق
لو لم يكن هذا كذا	ما قيل موت أو فراق

أما أبو بكر الخالدي فإن تجربته مع هذا الصنف الملول من الأصدقاء جعلته يعتقد ندرة الخل الوفي، وإن كان الشاعر لا يخلي نفسه من المسؤولية في ذلك، ويعزوها إلى الإفراط في التذلل لذلك الصديق الجافي حتى هان عليه. يقول : (٩)

وأخ رخصت عليه حتى ملني	والمرء ملول اذا ما يرخص
يا ليتته إذ باع ودي باعه	فيمن يزيد عليه لا من ينقص
ما في زمانك من يعز وجوده	ان رمته إلا صديق مخلص

أما تجربة الشاعر الذاتية المخفقة في مجال الصداقة فانه يعزوها إلى الجفاء المفاجيء لذلك الصديق، الذي لا مبرر له سوي ظلمه، وملله، على الرغم من أن صداقتهما كانت نموذجا يحتذي به في القوة والصفاء، ولكن الشاعر لا يندهش من هذا التغير، معللا ذلك بتحول الأشياء إلى أضدادها، كتحول الخمر من الراح أو المدام إلى الخل، يقول : (١٠)

وأخ جفا ظلما ومل وطالما	فقننا الأنام مودة ونداما
فسلوت عنه وقلت ليس بمنكر	للدهر أن جعل الكرام لناما
فالخمر وهي الراح ربتما غدت	خلا وكانت قبل ذاك مداما

ولأبي سعيد الخالدي تجربة فاشلة مع صديق، وهي تكشف صدق مشاعر الشاعر وصراحته في عواطفه، فهذا الصديق غدر بالصداقة وخانها حتى حول صفاها إلى كدر،

(٨) المصدر السابق : ١٨٣
(٩) ديوان الخالدين : ٦٥/١ - مجمع اللغة العربية بدمشق
(١٠) نفسه : ٩٣

ومع ذلك فإن الشاعر لم يألوا جهدا في تقويمه، ولكن دون جدوي، ولهذا يعلن له بكل وضوح أن علاقتهما الرثة لم يعد يمسكها سوى التكلف والمصانعة، يقول: (١١)

وتأمرني بالصبر والقلب كلما	تفاضيته صبرا تفاضيت معسرا
فلما رأيت الغدر من شأنك اغتدى	غدير التصافي بيننا متكدرا
فوالله ما أهـواك إلا تكلفا	ولا أشتكي الهجران إلا تخمرا

وقد أدت تجارب الشاعر الفاشلة في ميدان الصداقة إلى سوء الظن بالناس، والتشدد في الدعوة إلى الحذر من الصديق على وجه الخصوص، رغم عدم اطمئنانه إلى نتيجة هذا التحوط، وكأنه يدعو إلى نبذ الصداقة على الاطلاق، بعد أن تكشفت له حقيقة الناس. يقول (١٢)

كن من صديقك لا من غيره حذرا	ان كان ينجيك منه شدة الحذر
ما أطمئن إلى خل فأخبره	الا تكشف لي عن لؤم مختبر

وفي عتاب أحمد بن المعذل صديقه عبد الله بن سوار يوضح الشاعر منهجه في الصداقة فهو لا يرضي من صديقه الا أن يكون مثله في رعاية حقوق المودة والحفاظ على حرمتها، ويرى فيما سوى ذلك انتقاصا لحقه ومساسا بكرامته، يستدعي اعلان الغضب والاحتجاج، وان لم يفعل ذلك فما هو بشيء، يقول : (١٣)

أمن حق المودة أن نقضي	ذمامكم ولا تقضوا الذماما
لقد قال الحكيم مقال صدق	رآه الأولون لهم اماما
إذا أكرمتكم وأهنتموني	ولم أغضب لأذلكم فذاما ؟

ويستمد أحمد بن المعذل من تجربته الشخصية في علاقته بأخيه عبد الصمد المضطربة حكمة مفادها أن لعداوة القريب أربع نتائج سيئة هي أنها تفسد العقل وتنقص الدين وتؤذى النفس وتتهك الجسد. ثم يقدم الاستدلال الطبي على تحول القريب الذي يفترض فيه النفع

(١١) المصدر السابق : ١٢٧ / ٢

(١٢) نفسه : ١٣٠ / ٢

(١٣) ابن منظور: مختار الأغاني - ١٣٧ / ٥ - الدار المصرية للتأليف والترجمة.

إلى عدو يجلب الضرر بتحول الدواء إلى داء. حيث لا أمل في الشفاء ولا الالتئام في الجراح. يقول : (١٤)

عداوة ذي القربي تميق ذوي النهى وتوثم ذا التقوي وتؤذي وتتعب
إذا ما أتاك الداء من قبل الدوا أتاك بأمر صدعه ليس يرأب

أما على بن المقرب العيوني فإن علاقته المتوترة بأقاربه أنتجت زخما من الحكم في إطار معاتبته لهم، وشكواه منهم. ففي داليته التي عاتب فيها ابن عمه الأمير فضل بن محمد والتي مطلعها : (١٥)

تجاف عن العتبي فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما أنت واجد

يبدي الشاعر تعجبه من مسالمة البعداء له في الوقت الذي يكيد له الأقربون، ويحذر من بث الشكوي لأي أحد، لأن الناس لا يخرجون عن اثنين، اما حاسد حقوق، أو معاند لجوج.

ويستمد الشاعر من البيئة الطبيعية المثل الذي يقوى به وجهة نظره في اختيار النوع المريح من الناس، فمنهل الماء المشوب بالشوائب تعافه النفس الكريمة، حفاظا على صحة الجسد، وربما تركه الانسان وهو ظمآن دون أن يبيل صداه بقطرة من مائه الكدر الغزير الكثير، كذلك فان الصحة النفسية تقتضى الرحيل عن القوم الذين لا يجني مخالطهم منهم سوى الأذية والنكد، يقول :

إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فواعجا ان سالمك الأبعاد
ولا تشك أحداث الليالي إلى امرئ فذا الناس اما حاسد أو معاند
وعد عن الماء الذي ليس ورده بصاف فما تعمى عليك الموارد
وكم منهل طامي النواحي وردته على ظمأ وانصعت والريق جامد
فلا تحسبن كل المياه شريعة يبيل الصدي منها وتوكي المزود
فكم مات في البحر المحيط أخو ظما بغلته والموج جـار وراكـد
وان وطن ساءتك أخلاق أهله فدعه فما يغضي على النقص ماجد
فبت حبال الوصل ممن توده إذا لم يرد كل الذي أنت وارد

(١٤) الصفدي : الوافي بالوفيات : ٣٣٠/٨
(١٥) ديوانه : ١٤٠ - مكتبة التعاون الثقافي بالاحساء

وفي هذه القصيدة يمدح الشاعر فتية من قيس بأبيات منها قوله :

هم الناس لا يدري الخنى أين دارهم ولا عرفت جيرانهم ما الشدائد

ويعاتب بعضهم عتاباً رقيقاً يمتح من قلب سمح صفوح، ويستمد من التاريخ والمنطق
المبرر لمن أساء إليه منهم. يقول:

فإن ساعني منهم على القرب معشر وأصبح من تلقائهم ما أكابد
فقد باعت الأسباط قبلي أخاهم ببخس وكل منهم فيه زاهد
وقد يخطئ الرأي السديد ذوو النهى مرارا وتنبو الباترات البوارد

ويعاتب ابن المقرب بني عمه حكام البحرين على اقصائهم له وتقريب من لا يعرف،
ويعاتبهم على اختيارهم بعدة تشبيهات، يتخذها وسيلة للاقناع، فهؤلاء المقربون تارة
كالعمي المضيعين لمن يهتدي بهم، وتارة كالمعز التي تحتاج إلى من يرعاها بدلا من أن
تكون الراعية لغيرها، وهم أحيانا كالسيف المصنوع من الرصاص الرخو الذي يعد عذق
النخيل أقوى منه وأمضى، وأحيانا أخرى هم كالقط الذي يتخذ للصيد بدلا من الكلب، ثم
يعلن تدمره من طول مداراته لهؤلاء اللئام، معتبرا ذلك سفها وحمقا، ويستمد من واقعه
المؤلم وسط هؤلاء القوم طائفة من الحكم تحث كلها على رفض الذل والجور وترك الإقامة
في دار الهوان، وتردفة ثقافته بما يسليه عن حاله مع قومه. يقول : (١٦)

فليت اخلائي الذين أدخرتهم جلاء لهما لا علي ولا ليا
لقد قدموا (هي بن بي) وأخروا بني المجد من أيام عاد وعاديا
لقد ضل من يبغي من العمي هاديا وقد ضل من يرجو من المعز راعيا
ومن يتخذ سيفاً يكون غراره رصاصا يجد سيف العراجين ماضيا
ومن يجعل السنور كلبا لصيده يرى عاويات الليل أسدا عواديا
وطالت مداراتي اللئام وانما سفاه لمثلي أن يكون المداريا
ومن لم يفارق منزل الضيم لم يزل يروح ويغدو موجع القلب باكيا
ومن يثو في دار الهوان يعش بها أخا مضض لا يبرح الدهر شاكيا

فان عقلت قومي لسانی بأرضها
فقد ضیعت قبلي رباب بنیها
فلیس بمعقول اذا كنت نائیا
وما كنت أدري (لابن أفصی) مساویا
وفي میمة لابن المقرب مطلعها: (١٧)

قم فاشدد العیس للترحال معتزما وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما

تظهر سياسة الشاعر المتشددة في معاملة الناس، فهو من أنصار مبدأ القوة القائم على المقولة الشائعة (إذا لم تكن ذنباً أكلتك الذئاب) ولعل مرد هذا التوجه المتطرف يرجع إلى ظروف الشاعر الخاصة وبيئته، فقد اضطهد الرجل وظلم من بني عمه أمراء - البحرين في القرن السادس الهجري - فتعدت نفسيته من الناس وصار مفرط الحساسية، وعاش في عصر مضطرب انقلبت فيه كثير من القيم والموازين، فجاءت حكمه في كثير من الأحيان تدعو إلى الصرامة والحدة والتحفظ، وتتطوي على حساسية وشعور بالعزة والكرامة إلى درجة مبالغ فيها أحياناً. وفي هذه القصيدة نراه يدعو صراحة إلى ترك موادعة الناس ومعاملتهم بالقسوة للنجاة من أذاهم، وأن الرجل النابه يجابه من ينتقصه بمنتهى العنف والحزم، حتى لو اضطر لشهر السلاح وأطراف الرماح. وهذا الموقف يذكرنا بما نسب إلى أجداده بني عبد القيس فقد قيل عنهم أنهم كانوا في الجاهلية إذا شتموا لطموا وإذا لطموا قتلوا من لطمهم، ويكرر هذا المعنى بأسلوب المقابل فيذكر أن الدنيء والعاجز هما اللذان يقبلان الذل، وأن الكريم هو الذي يعتبر الذل عاراً ويرى الشرارة الضئيلة منه مثل القصر في عظمها، ويواصل ابن المقرب سلسلة حكمه الداعية إلى القوة فيري أن الملك والأمجاد لا ينهضان إلا على أساس البأس والشدة، وأن من يعتلي سدة الملك والقيادة لا بد وأن يكون قوياً فالبيوت لا تقوم إلا على أعمدة قوية، والعدو لا يخضع إلا بالسيف، ومن حكم بالسيف في عدوه استحق أن تحتفل به الألسنة والأقلام. ثم ينتقل الشاعر إلى معاني أخرى حكيمية، كاستشارة أهل الثقة. وحيث أن بني عمه الأمراء العيونيين صادروا أمواله وكانت سياستهم ممالئة أعدائهم بالمال، فقد انتقدهم في هذه السياسة ورأى أن البخل مع هؤلاء الأعداء الحساد أفضل من الكرم، لأن المال الذي سيذهب إليهم يقويهم ويطمعهم، ثم يحذر الشاعر

من الاستهانة بذوي الشأن وأصحاب النفوس الكبيرة، ويلتمس من التاريخ الشاهد على تحذيره، ويعود ويؤكد أن أسرة الانسان هم الحصن الحقيقي له وانه لا يستغني عنها مهما كان قويا أو سخيا، كعمرو بن معد يكرب المعروف بشجاعته، وهرم بن سنان المعروف بجوده، ثم يدعو إلى الحفاظ على كرامة الصديق وعدم المساس بها، ويحذر الحاكم من طاعة النساء والخدام. يقول :

منهم ومن عاث فيهم بالأذي سلما
إذا رأي الشر تغلي قدره وجما
لو لم يجد غير أطراف القنا عصما
بشفرة الضيم لم يحسس لها ألما
شرارة منه الا خالها أطما
بالباس نقره الأعداء فانهدمما
ليس البغاث يساوي أجد لا قطما
لا خروعا جعلت يوما ولا عنما
من حكم السيف في أعدائه حكما
للمجد حق له أن يرعف القلما
لا يصدر القوم من لا يورد العلما
تمسي وتصبح في اعدائه ديما
أبرهم بك من أغرى ومن شتما
كمودع الذئب في برية غنما
وسامها السخف أدمي كفه ندما
جساس هل كان الا أن حمي فرمي
لو كان في البأس عمرا والندى هرما
قلن تري غير جار الذل مهتضما
أطاع في أمره النسوان والخداما

من سالم الناس لم تسلم مقاتله
لا يقبل الضيم الا عاجز ضرع
وذو النباهة لا يرضى بمنقصه
وذو الدناءة لو مزقت جلده
ومن راي الضيم عارا لم تمر به
وكل مجد اذا لم يين محتده
لا يضبط الأمر من في عوده خور
وللبیوت سطاغات تقوم بها
ما كل ساع إلى العلياء يدركها
من أرعف السيف من هام العدى غضبا
لا تطلب الرأي إلا من أخي ثقة
ولا يعد كريما من مواهبه
والبخل خير من الاحسان في نفر
وواضع الجود في أعداء نعمته
من استخف بأرباب العلا سفها
الا فسل عن كليب كيف جدله
ولا يعز الفتى الا بأسرته
لا تعرض بالهون في خل تعاشره
وأخر الناس سعيا رب مملكة

وفي لامية ابن المقرب التي استهلها بقوله: (١٨)

أميم لا تنكري حلي ومرتجلي

ان الفتى لم يزل كلا على الأبل

يحاول الشاعر أن يعزي نفسه، ويبرر لها كثرة أسفاره وارتحاله عن وطنه، مستمدا الحكمة والعزاء من التشبيهات والأمثال التي يتخذ منها دليلا وشاهدا يؤيد به رأيه ومسلكه. فهو لا يقنع الا بالعلاقة السليمة القائمة على الصدق والاخلاص، فالماء المشوب بالأكدار لا يرده ولا يشرب منه، وهو لا يتكلف الإقامة في بلاده وبين قومه، لأن جوهر السيف لا يظهر الا عندما يخرج من غمده، وحده لا يؤثر الا بعد أن يسيل من جفنه، وتنقل الفتى يجلب له العزة والشهرة، فالقمر لا يصير بدرا كاملا الا بتنقله من منزل إلى آخر، وفضل الرجل لا يبين في أهله لأن العود في أرضه نوع من الحطب، وهو لا يرغب في العودة إلى وطنه، لأن من وجد الماء مرا أول مرة لا يكرره مرة ثانية. وقد أحسن كثيرا لقومه الا أن ذلك ذهب هباء منثورا، فكان حاله كحال من يغرس نباتا في أرض صخرية صلبة لا تنبت، وان الصديق المؤذي لآخوانه هو شر الأخلاء، لأن الذي لا يبطن إلا الحقد والغل لا خير فيه، وقد كان في حالة الغنى باذلا، وفي حالة الفقر عفيفا، وهو يتمني لو كلن بنو عمه أوفياء معه شأن الكرام، ولكن سلوته في نفورهم منه أن الجعل وهو الدويبة التي تعيش في الروث يغمي عليها عند قربها من الورد. يقول :

لا أشرب الماء ما لم يصف مورده
تكلفيني مقاما بين أظهركم
ما دامت البيض في الأجفان مغمدة
وفي التقل عز للفتي وعلا
والمندل الرطب في أوطانه حطب
ان أترك العود في أمر اغتنائكم
كم قد غرست من الاحسان عندكم
شر الأخلاء من تسري عقارب
أثرى زمانا فلم يذمه سائله
ما ضرركم لو وفيتم فالكريم اذا
ان يمس مقتكم حظي فحق لكم
ان يخف ما بينكم فضلي فلا عجب

ولا أقول لمعوج الوصال صل
وليس يبدو فرند السيف في الخل
فما يبين لها في الهام من عمل
لم يكمل البدر لولا كثرة النقل
وقد يقوم في الأسفار بالجمال
فنهلة الطرف مجزاة عن العلل
لو يثمر الغرس في صفواء من جبل
لا خير في آدام يطوي على نغل
وقل مالا فلم يضرع ولم يسأل
حال اللئيم وفي طبعا ولم يحل
الورد من قربه يغمي على الجعل
لا يستطيع شعاع الشمس ذو السبل

ويسجن عبد الله بن الجارود في حبس الامام على بتهمة التصرف في المال العام، فيشفع له صمصمه بن صوحان، ويقبل الامام على الشفاعة فيه، شريطة أن يحلف ابن الجارود على براءته من التهمة، ثم يخرج من السجن بعد أداء القسم، وينشئ الأعور الشني أبياتا حول هذه المناسبة يستشف منها أن ابن الجارود أساء معاملته لابن صوحان ولم يصن جميله، فيقول محذرا من هذه الفئة : (١٩)

ألا سألت بني الجارود أي فتى	عند الشفاعة والباب ابن صوحانا
هل كان الا كام أرضعت ولدا	عقت فلم تجز بالاحسان احسانا
لا تأمنن امرءا خان امرءا أبدا	ان من الناس ذا وجهين خوانا

ويدعو السكوني العبدى - وهو من شعراء القرن السادس الهجري - إلى الحذر الشديد من أهل زمانه والابتعاد عنهم معللا دعوته تلك بعجمتهم، وضياح الأديب فيهم، وتقديرهم للغنى، وإن كان جاهلا، فهم كالبهائم التي لا تميز بين الغث والسمين، وطبيعي من هؤلاء ألا يتذوقوا الشعر، وأن يهجروا ناظمه هجرا غير جميل، يقول : (٢٠)

خذ الحذر من أهل هذا الزمان	وكن ممعنا منهم في الهرب
فاني رأيتهم في عمي	لجهلهم بكلام العرب
يرون غنيهم عالما	ولا يعبأون بأهل الأدب
فمثل البهائم لا يعرفون	ما الفرق بين الحصي والذهب
إذا نظم الشعر في مثلهم	فصيح بكى شعره وأنتحب

وتتصح أم النحيف العبدية ابنها سعد رغم عصيانه لها بتزوج امرأته التي سرعان ما ندم على الزواج بها، تتصح الأم ولدها ألا يفكر في طلاقها، وتدعوه إلى مسامحتها، والعفو عنها، وأن يصبر على حمقها وطيشها، فلعل الأيام تخلصه منها فيرتاح. تقول : (٢١)

لعمرى لقد أخلفت ظني وسوءتني	فحزت بعصيانى الندامة فاصبر
ولا تك مطلقا ملولا وسامح	القرينة وافعل فعل حر مشهر
فقد حزت بالورهاء أخبث خبثة	فدع عنك ما قد قلت يا سعد واحذر

(١٩) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٦٣٩/٢ - دار المعارف بمصر
(٢٠) عماد الدين الأصفهاني : تكملة خريدة القصر : ٨٨٥ - قسم شعراء العراق - مطبوعات المجمع العراقي
(٢١) أبو تمام : الحماسة : ٣٧٨/٢ - مطبعة محمد على صبيح الكتبي

تربص بها الأيام عل صروفها سترمي بها في جاحم متسعر

ويمدح أبو بكر الخالدي الوزير المهلبى بإكرامه للشعراء على مديحهم له، وكأنهم المستفيدون الوحيدون من علم الكيمياء الذي يحول الأشياء من حال إلى حال، فالشعراء يعطون الممدوح قصائدهم في قراطيس، فتتحول إلى أكياس مليئة بالدنانير. فيقول : (٢٢)

وتيقن الشعراء أن رجاءهم	في مأمن بك من وقوع الباس
ما صح علم الكيمياء لغيرهم	فيمن عرفنا من جميع الناس
تعطيهم الأموال في بدر اذا	حملوا الكلام اليك في قرطاس

وربما جمع أحد الناس من الفضائل وطيب الخصال، ما يبعث على الحسد، ويخاطب أبو البحر الخطي ممدوحه بقوله : إنك جمعت في شخصك كل الفضائل والمكرمات، ولم تترك للآخرين شيئا منها، فهلا تنازلت عن بعضها لهم، لتذهب السخيمة من نفوسهم مع أنك لن تصل إلى رضاهم، لأن المعالي والأمجاد لا توهب، وانما تكتسب بالجد والكفاح. يقول: (٢٣)

حنانيك هب للقوم شيئا من العلا	تطب أنفس حرى عليك تغضبا
ولست بمرضيهم فما كانت العلا	لتعطي ولا كان الفخار ليوهبا

وفي موضع آخر يشير الشاعر إلى أن الحسد علامة على علو قدر المحسود، وأن عيون الحساد تدل الناس على فضائل المحسودين. يقول : (٢٤)

لا زلت محسودا على ما فيك من	مجد وما قدر أمرئ لم يحسد
ان العلا أفق متي استجليتها	ألفيت أنجمها عيون الحسد

ويتناول ابن عبد الأعلى العبدى معني الشماته، وموقفه من الشامتين حين رأوه شديد الحزن على موت صديقه أيوب بن سليمان بن عبد الملك، وأظهروا الشماته والفرح

(٢٢) ديوان الخالدين : ٦٤

(٢٣) ديوانه : ١٠ - مطبعة الحيدري بطهران ط ١٣٧٣

(٢٤) نفسه : ٢٩

والسخرية به، فنراه يرد عليهم رداً حكيماً يبين سنة الله في خلقه، وأن كل إنسان معرض لما
مر على الشاعر من تجربة مرة، سيتجرعها من يعيش منهم، أو يتجرعها أحببتهم بفقدهم،
يقول: (٢٥)

ولقد أقول لذي الشماتة إذا رأي	جزعي من يذق الحوادث يجزع
أبشر فقد قرع الحوادث مروتني	وافرح بمروتك التي لم تقرر
ان عشت تفجع بالأحبة كلهم	أو يفجعوا بك ان بهم لم تفجع

ثالثاً

قضية القيم الأخلاقية

قضية الأخلاق وان كانت في عمومها وليدة العلاقات الاجتماعية ومتصلة بها، إلا أن لها خصوصيتها التي تجعلنا نفردها بحيز مستقل. وقد صال شعراء عبد القيس في هذا المجال وجالوا. ومع أن هذه الحكمة تدور في مجملها حول مكارم الأخلاق، إلا أنها تتفرع إلى معاني جزئية تناولها شعراء عبد القيس، بطريق الإيجاب حيناً، وبطريق السلب حيناً آخر، فتحدثوا عن الوفاء بالوعد وعن تجنب الغيبة، وعن عزة النفس وعن الجار والرفيق وعن الصفح والحلم وعن صيانة الأمانة وعن حفظ السر وعن الكف عن الظلم وعن السخاء وعن الطموح وعن العلم المدمر وعن قضية الأخلاق وعن الشجاعة.

وقد بين حكيم بن جبلة مكانة ذوي الأخلاق العالية، والخسارة الكبرى التي يمني المجتمع حين يفقدهم، وأن خسارة الدرهم والدينار لا تعد شيئاً بالقياس إلى فقد أهل العلم والحكم وذوي العفاف والجود. يقول في رثائه للامام علي : (١)

ليس الرزية بالدينار نفقده بل الرزية فقد العلم والحكم

و ان أشرف من أودي الزمان به أهل العفاف وأهل الجود والكرم

ويشير ابن المقرب العيوني إلى أن قيمة المرء تكمن فيما يقدمه بنفسه من عمل محمود، لا فيما قدمه أباه وأجداده من محامد. يقول (٢)

فلا تتكل يا فضل في الفضل والندي على سالف أسداه جد ووالد

فلا حمد الا بالذي يفعل الفتى ولو كثرت في أوليه المحامد

ويكشف المتقرب العبدى عن اهتمام شديد بالوفاء بالوعد حين يدعو إلى عدم التسرع في وعد أحد الا بشيء مؤكد التحقيق، لما في خلف الوعد من عيب وقبح، يقول : (٣)

لا تقولن اذا ما لم ترد أن تتم الوعد في شيء نعم

حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم

ان لا بعد نعم فاحشة فبلا فابدأ اذا خفت الندم

فاذا قلت نعم فاصبر لها بنجاح الوعد ان الخلف ذم

(١) العقد الثمين : ٧٢

(٢) ديوانه : ١٤٨

(٣) ديوانه : ٢٢٧

ثم نراه يفخر باكرامه لجاره، ورعايته لحقه، وتجنبه الغيبة الذميمة، لأنه يعتقد أن من يتخلق بهذه الصفة شر الناس، وهو ذو الوجهين الذي يخاطب الآخرين بلسان معسول، ويغتابهم بلسان مسموم. يقول : (٤)

ان عر فان الفتى الحق كرم	أكرم الجار وأرعي حقه
في لحوم الناس كالسبع الضرم	لا تراني رائعا في مجلس
حين يلقاني وان غبت شتم	ان شر الناس من يكشر لي

ويتخذ الشاعر من السفهاء موقفا يدل على سمو وحلم وتحضر، فهو يتظاهر بعدم سماعه الكلمة السيئة، ويصبر على أذاها، ويرتفع عن الرد على قائلها لكي يبقى على حسن العلاقة معه وان كان ظالما. يقول : (٥)

عنه أذناني وما بي من صمم	و كلام سيء قد وقرت
جاهل أني كما كان زعم	فتعزيت خشاة أن يري
ذي الخنا أبقي وإن كان ظلم	و لبعض الصفح والاعراض عن

ويقف الأعور الموقف ذاته من صاحب الكلمة الخبيثة مع اختلاف يسير، وهو أنها اذا وقعت من صديق فإنه يرد عليها بكلمة طيبة تتضمن معنى العتاب، ثم يتركه أملا في عودته إلى الرشd والاعتذار، فإذا ما صنع ذلك، غفر له الاساءة وصفا له، ولم يتعاهد غرته ليوقع به، كما يصنع اللنام، أما اذا صدرت الكلمة السئية ممن لا تربطه بهم رابطة فإنه لا يرد عليهم احتقارا لهم. يقول : (٦)

بسالمة العينين طالبة عذرا	وعوراء جاءت من أخ فرددتها
ولم أغتفرها أورث بيننا غمرا	ولو أنه إذ قالها قلت مثلها
لعل غدا يبدي لمنتظر أمرا	فأعرضت عنه وانتظرت به غدا
ولم أتخذ ما فات من حلمه قمرا	وقلت له عد بالأخوة بيننا
لأدفع ما قالوا منحتمهم حقرا	إذا صحبتني من أناس قوارص

(٤) المصدر السابق : ٢٩٩

(٥) نفسه : ٢٣٠

(٦) البحترى : الحماسة : ١٧١

ويرى الأعور الشني أن الأخلاق تورث عندما يشير إلى ما ورثه عن أبيه وجده من صفات سامية، كالتجمل والتعفف في حالة الفقر، وعدم الجشع والبطر في حالة الغني، يقول: (٧)

وجدت أبي قد أورثه أبوه	خلالا قد تعد من المعالي
فأكرم ما تكون علي نفسي	إذا ما قل في الأزمات مالي
فتحسن سيرتي وأصون عرضي	ويجمل عند أهل الرأي حالي
فان نلت الغني لم أغل فيه	ولم أخصص بجفوتي الموالي

وبفخر ببعض خصال النبيلة كإكرام الجار وابن العم ومناصرتهما، والوفاء بالوعد، يقول:

لقد علمت عميرة أن جاري	إذا ضن المثمر من عيالي
واني لا أضن على ابن عمي	بنصري في الخطوب ولا نوالي
ولست بقائل قولاً لأحظى	بوعد لا يصدقه فعالي

وبفخر عمرو بن أسوى العبدى بوفائه للصديق، وثباته الدائم على عهد الصداقة، فهو لا ينساه أبد الدهر، ولا ينسى واجباته نحوه، وهو يكرم رفقته، يقول: (٨)

وما أنا بالناسي الخليل ولا الذي	تغير ان طال الزمان خلائقه
ولست بمنان على ما أوده	ببر ولا مستخدم من أرافقه
ويتمدح نفيل بن مرة العبدى بتحليه بحفظه للأمانه، ورعايته لها، في كل حال، فيقول (٩)	
و ان أمانتي لا يجتويها	خليل في زيال واجتماع
سأرها وان هو غاب عني	لكل أمانة بالغيب راعي
ويوصي ابنه أن يرث عنه هذه الصفة النبيلة، لكي يحظى بحسن السمع. يقول (١٠)	

بني استمع مني هديت وصاتيا	ولا تك عنها مدة الدهر ساهيا
إذا ما امرؤ أسدي اليك أمانة	فأوف بها ان مت سميت وافيّا

(٧) الخالديان : المختار من شعر بشار ١٩١ - لجنة التأليف والترجمة والنشر

(٨) البحترى الحماسة ٦٧

(٩) نفسه : ٧٤

(١٠) نفسه : ٧٤

كما يوصي الصلتان العبدى ابنه بحفظ السر، وعدم اشراك ثالث فيه، حتى لا يظهر وينتشر. يقول : (١١)

ألم تر لقمان أوصي ابنه	وأوصيت عمرا ونعم الوصي
بني غدا خبء نجوي الرجال	فكن عند سر ك خبء النجي
و سر ك ما كان عند امريء	وسر الثلاثة غير الخفي

وفي موضع آخر يدعو الشاعر إلى مواجهة الأمور بالحزم والقوة، ويغلوا في ذلك حين يدعو إلى الظلم في سبيل الانتقام، وهو في هذا الغلو يصدر عن خلق جاهلي، على الرغم من أنه يعيش في العصر الاسلامي. يقول : (١٢)

اغش الأمور بحزمها	حتى تكون الأحزما
واظلم فلست بمدر ك ال	أوتار حتى تظلما

ويوصي يموت بن المزرع ابنه المهلهل بالسعي في طلب العلم، والارتحال اليه في أي مكان، وعدم الانشغال عنه بأي شيء كمنصب أو جاه أو مال، وان وجود بعلمه على الآخرين، ولا يبخل عليهم بشيء منه، متخذاً من أبيه القدوة والمثل، مفاخراً بنشر أبيه للعلوم وافادة الناس منها، فذلك لا ينازعه فيه منازع. يقول (١٣)

فجب في الأرض وابغ بها علوما	ولا تلتفتك عن هذا الد سوت
وقل بالعلم كان أبي جوادا	يقال ومن أبوك فقل يموت
يقر لك الأبعاد والأداني	بعلم ليس يجحده البهوت

ولم تنس الأم ابنتها ليلة هدايتها، فنراها تقدم لها الوصية التي تعينها على النجاح في حياتها الزوجية، كالتلطف في مخاطبة الزوج، وتجنب أي سبب يؤدي إلى اثاره غضبه مهما كان يسيراً، لأن أول الشر يكون صغيراً ثم يكبر. كما تحذر الأم ابنتها من التجسس على زوجها، لما في ذلك من خطر على العلاقة الزوجية. تقول (١٤)

(١١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٥٠٢/١ - دار المارف - مصر
(١٢) أحمد قيش : مجمع الحكم والأمثال : ١٠١ - دار الجيل - بيروت
(١٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٥٨/٤ - دار صادر - بيروت
(١٤) الوشاء : القاضل في صفة الأدب الكامل : ٩٠/٢ - منشورات وزارة الاعلام العراقية

لا تجهري بالقول للبلع ولا تغريه بالشر اذا ما أقبل
 فأول الشر يكون جلا محتقرا ثم يكون معضلا
 ولا تبثن عليه نجا فتكتشي من أمره ما جهلا

وتحذر أم النحيف العبدية ابنها من الظلم، ونتائجه الوخيمة التي تعود على صاحبه بالويل والشر، وأن يحافظ على نقاء عرضه، حتى لا يتعرض للذم والانتقاص، تقول (١٥)

حذار بني البغي لا تقر بنة حذار فإين البغي وخم عواقبه
 وعرضك لا تذهب بعرضك أنني وجدت مضيع العرض تلحي طبائعه
 وكم قد رأينا الدهر غادرا باغيا بمنزلة ضاقت عليه مطالعه

ويرجع السكوني العبدى فعل الشر إلى الجهل، واقتراف الظلم إلى نقص العقل، ويدعو إلى القناعة وعدم الشره، لأن العمر قصير. يقول (١٦)

طلاب الشر من فعل الجهول وحسن الذكر بالفعل الجميل
 وإن الظلم شيء ما دعانا اليه غير نقصان العقول
 ألا فاقنع من الدنيا بقوت فانك هالك عما قليل

ويعلن مسلم بن عياض العبدى رفضه التام لظلم بني عمه البكرين لقبيلته عبد القيس، وذلك بانكار مآثرهم وأمجادهم السالفة، أو الاستهانة بها، ويذكرهم بسبقهم للإسلام، ووفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، ومشاركتهم في الفتوحات، ورئاستهم للبحرين وغيرها، يقول (١٧)

بني عمنا لا تظلمونا فانتنا اذا ما ظلمنا لا نقر لظالما
 فان تدعوا فيما مضى أو تبخلوا مكارمنا نخلف سواها مكارمنا
 وفدنا فبايعنا الرسول عليكم وسنا الأمور واحتملنا العظائما

ومن مظاهر التعلق بالعدل عند الجاهلي أنه لا يغيب عن ذهن المحارب أحيانا، فهو يزعم أن حربه كانت عادلة وأنه أخذ بها حقا من حقوقه. يقول المنقّب العبدى (١٨)

(١٥) المرزباني: أشعار النساء : ٩٠ - تحقيق سامي العاني وهلال ناجي

(١٦) العماد الأصفهانى : تكملة خريدة القصر : ٨٥٧ - قسم شعراء العراق

(١٧) ابن حجر : الإصابة : ٨٩/٦

(١٨) ديوانه : ٢٥٣

ونحمي عن الثغر المخوف ويتقي بغارتنا كيد العدا وضيوهما

وقد عرف عرب الجاهلية الحق وهو عند حكمائهم قيمة لا ينبغي التلاعب بها، بأن يشتط صاحبه ويغالي، وأن يحتال الذي عليه الحق ليبطله ويلغيه كما يبطل اللغز اذا كشف عن غموضه. وقد جاء استعمال الحق بمعنى الواجب من حيث أن الواجب حق على الانسان لغيره، وهو بهذا الاستعمال في قول المتنقب (١٩)

أكرم الجار وأرعي حقه إن عرفان القتي الحق كرم

والحق بهذا المعني يتسع حتى يشمل مثلهم التي مجدوها من كرم ووفاء وحمل للمكارم وغيرها. يقول يزيد الشني (٢٠)

ذريني أسير في البلاد لعلي
أفيد غني فيه لذي الحق محمل
أليس كبيراً أن تلم ملة
وليس علينا في الحقوق معول

ومن معاني الحق عندهم الصدق. يقول المتنقب (٢١)

فأما أن تكون أخي بحق
فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني
عدوا أتقيك وتتقيني

ويعبر المحضغ القيسي عن كرمه المتمثل في تقديم لحوم وألبان ابله للضيفان، دفاعاً عن حسبه وعن شرف آبائه، شأن كرام الناس، ويقرر أن هذا الصنيع يتمشي مع أخلاقه الطبيعية، وأنه مهما حاول أن يعدل عن هذا السلوك الحميد فلن يستطيع، لأن الانسان أسير طباعه. يقول (٢٢)

إذا هي لم تمنع برسل لحومها
من السيف لاقت حده وهو قاطع
ندافع عن أحسابنا بلحومها
وألبانها ان الكريم يدافع
و من يقتترف خلقاً سوي خلق نفسه
يدعه وترجعه إليه الرواجع

وتفخر شاعرة عبديّة بشجاعة بني قومها من عبد القيس، وصبرهم على مواجهة الموت، رغم امكانهم الفرار، وأعدارهم في ذلك لكثرة عدوهم. تقول (٢٣)

(١٩) مصطفى عبد الطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٣١ منشورات وزارة الاعلام العراقية

(٢٠) المرزباتي : معجم الشعراء : ٤٨١

(٢١) ديوانه : ٢١١

(٢٢) المرزوقي : شرح الحماسة الهامش : ١٦٩٣

(٢٣) البحتري : الحماسة : ٣٧

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة
ولم يبتغوا من رهبة الموت سلما
ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

والمتقّب العبدى لا يزهد فى المال شاكاً فى قيمته، ولكنه يحب المال، ويريد الانتفاع به
قبل ذهابه، بالجدود به على ذوى الحقوق، وانفاقه فى سبيل العرض الذى يراه أهم شىء فى
الحياة. يقول (٢٤)

أجعل المال لعرضى جنة
يجعل المال عطايا جمة
ان خير المال ما أدى النعم
ان بذل المال فى العرض أمم
لا يبالي طيب النفس به
عطب المال إذا العرض سلم

ويصدر الصلتان العبدى فى كرمه العميم عن خلق اسلامى قائم على التوكل على الله
والثقة التامة بتكفله بالرزق. يقول فى رده على زوجته أمامه، حين أكثرت من لومه على
الانفاق (٢٥)

قالت أمامه ما تبقي دراهمنا
إننا إذا اجتمعنا يوما دراهمنا
وما بنا سرف فيها ولا خرق
ظلت إلى طرق الخيرات تستبق
سيب الذى بالغنى من عنده نثق
ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق
ان يفن ما عندنا فالله يرزقنا

ويذهب عبد الصمد بن المعذل فى الجود إلى أقصى غاياته عندما لا يجد لنفسه عذرا
لطارق أو عان، وهو يملك ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها. يقول (٢٦)

زعمت عاذلتى أنى لما
كلفتنى عذرة الباخل اذ
حفظ البخل من المال مضيع
طرق الطارق والناس هجوع
ليس لى عذر وعندي بلغة
إنما العذر لمن لا يستطيع

(٢٤) ديوانه : ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٣

(٢٥) الخالديان : الأشباه والنظائر ٨٣/١ و ٨٤

(٢٦) ديوانه : ١١٩

ويصدر هذا الشاعر العباسي المسلم في كرمه عن خلق جاهلي، يقوم على الرغبة في طيب الذكر، وحسن الأحداث، وبذل المال لتطويق الأعناق بالمنن، إلا أنه لا يبطل مكارمه بالمن والأذى، مبررا مسلكه السخي بسرعة الزوال والفناء، يقول (٢٧)

أعاذلتي أقصري	أبغ جدتي بالمنن
ذريني أجد بالثرا	حمدا فنعم الثمن
أري الناس أحداث	فكوني حديثا حسن
أمن على المجتدي	وما أتبع المن من
كان لم يزل ما أتى	وما قد مضى لم يكن
وكل امرئ بالردى	إلى أمد مرتين

ويشكو المعذل بن غيلان العبدى من عدم قدرته على معونة ذوي الحاجات من قرابته وبني رحمه، ويتمني لو استطاع بلوغ هذه المكرامات، والأعمال الصالحة، عن طريق اليسر والغنى. يقول (٢٨)

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى	أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خلة في أخوة وقرابة	وذي رحم ما كان مثلي يضيعها
فلو ساعدتني في المكارم قدرة	لفاض عليهم بالنوال ربيعها

وهو كلف بالمعالي يميل إليها حيث تكون، وربما فضل من أجلها الفقر على الغنى، حين يقترن الأول بالصبر والتعفف، ويقترن الثاني بالشح والبطر، يقول (٢٩)

ولست بميال إلى جانب الغنى	إذا كانت العلياء في جانب الفقر
واني لصبار على ما ينوبني	وحسبك أن الله أثنى على الصبر

وينهج أبو عثمان الخالدي المنهج ذاته من ناحية سروره بالفقر خشية الكبر والبطر الذي قد يصاحب الغنى، معللا ذلك بأن الإنسان قد يفضل العمى على العور الباعث على التشاؤم، وهو لا يري في الفقر عارا، كما لا يعيب العين بأن تكون بلا حور. يقول (٣٠)

(٢٧) المصدر السابق : ١٧٦

(٢٨) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ١٤٦٣/٤ - تهذيب ابن واصل الحموي - شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة

(٢٩) نفسه : ١٤٦٤

(٣٠) ديوان الخالدين : ١٣٠/٢

لقد فرحت بما عانيت من عدم خوف القبيحين من كبر ومن بطر
وربما ابتهج الأعمى بحالته لأنه قد نجا من طيرة العور
لا عار يلحقني أني بلا نسب وأي عار على عين بلا حور

وليس معني ذلك حب الشاعر العبدى لحياة الفقر والفاقة، بل ربما كان على النقيض من ذلك، فهو يكره هذه الحياة أشد الكره، وقد يؤثر الموت عليها، ولا سيما حين تضطر صاحبها إلى ذل الحاجة، فإذا لم يكن من الفقر بد، فالصبر هو رداؤه الأمل. يقول يحيى العبدى^(٣١)

وللموت خير من حياة زهيدة وللنعم خير من عطاء مكر
فعش مثريا أو مقترا من عطية تمن والا فاسأل الله واصبر

والصبر الذي يعنيه الشاعر هو الجميل الايجابي أي الذي يأتي بعد أن يستنفد الانسان كل ما لديه من حيلة وقوة. وينصح أبو بكر الخالدي من يعثر به حظه أن يلجأ إلى الترحال في طلب المال والغنى، وأن يقتحم الصعاب في سبيل ذلك، وألا يركن إلى الأحلام المضللة والأمانى الكاذبة، فانهما لا يحققان شيئا. يقول^(٣٢)

ان خالك الدهر فكن عاندا بالبيد والظلماء والعيس
ولا تكن عبد المني فالمني رؤوس أموال المفاليس

لكن شاعر عبد القيس لا يتفق مع من يري أن الفضل محصور في الغنى، وأن الفاضل الممجد هو مجرد الغنى. يقول الصلتان العبدى^(٣٣)

إذا قلت يوما لمن قد تري أروني السري أروك الغنى!

وهو كثير الاعتزاز بنفسه والحفاظ على كرامته، ويتمدح الأعور الشني بأنه لا يرتزق بشعره، ولا يتكسب به، لكي لا يكون تابعا ذليلا لممدوحه، وعبدا لاحسانه عليه، بل لا يقف على باب عليه حاجب. يقول^(٣٤)

(٣١) المرزباني : الشعر والشعراء : ٤٤٩

(٣٢) ديوان الخالدين : ٦٣/١

(٣٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٥٠٢/١

(٣٤) الخالديان : الأشباه والنظائر : ٢٣/٢

يا أم عقبة إني أيما رجل إذا النفوس أدرعن الرعب والرهبا
لا أمدح المرء أبغي فضل نائله ولا أظل أداجييه إذا غضبا
ولا يراني على باب أراقبه أبغى الدخول إذا ما بابه حجا

وينحو ابن المقرب العيوني المنحي ذاته، فيعلن ترفعه عن مدح التكسب، ويذكر مبررات ذلك، المتمثلة في محتده الكريم، وجذوره العريقة، ثم نفسه الممتلئة شجاعة وعزة. يقول (٣٥)

ولست بمادح سفساف قوم وإن قالوا له مال ركام
أبي لي ذاك أني من قروم صهاميم تسيم ولا تسام
ونفس لا تريع لو رد سوء ولو بلغ الفناء بها الحيام

ويدعو أبو المياح العبدى إلى الترحل عن دار الهوان، وعدم الاستسلام للهموم والأحزان. يقول (٣٦)

إذا خفت من دار هوان فولها سواك وعن دار الأذى فتحول
ولا تك ممن يغلق الهم بابه عليه بمغلاق من العجز مثقل

ويضرب ابن المقرب العبدى على هذا الوتر ضرباً متتابعاً، فيدعو بالهلاك على من يرضى بالذل، وهو يعلم أن الموت أت لا محالة، لا يفرق بين القاعد والقائم، وبين الجبان والشجاع، فالكل ميت سواء في الحرب أم في السلم، والذليل لا يتمتع بلذة السيادة، ولا يتذوق طعم الفوز والنجاح، كما تذوقها وحازها حسان بن أسعد الحميري الذي انتهى بجيوشه إلى سمرقند، وامتلك دمشق، وعاد إلى اليمن، ماراً بالحجاز، فقصده مكة وكسا الكعبة، وقاوم الوثنية في اليمن، أفلا يكون مثل هذا الملك العربي الجاهلي العظيم القدوة والمثل في الإباء والعزة والطموح، أما الذي يعيش كل حياته على المرارة والمصائب فإنه يحيا في غصة ونكد حتى لو كان مخلداً فإنه سوف يخلد في الشقاء، وليس أشق على الكريم من أن يقع تحت امرأة لئيم عاش في خير ذلك الكريم حتى شبع فتمرد عليه وأنكر فضله. يقول (٣٧)

(٣٥) ديوانه : ٥٦٧
(٣٦) البصري: الحماسة ٢٣/٢.
(٣٧) ديوانه : ١٤٩

عدمت الفتى لا ينكر الضيم والردي
ولا عاش من يرضى الدنيا أهل رأي
وهل مات من خوض الردي قبل موته
وهل ساد راض مرتع الذل مرتعا
وهل عز بالأعداء من قبل تبع
وهل طاب عيش بالمدارة أو صفا
وأشقى بنى الدنيا كريم يسومه

على خطأ يغتاله أو تعمدا
جباناً على مر الليالي مخلدا
فتى لوطيس الحرب ما زال مفندا
وهل فاز راض مورد الذل موردا
ملك تمطي الملك كهلا وأمردا
لو أن المداري راح بالخذ وأغتدى
لئيم اذا ما نال شبعاً تمردا

ويدعو ابن المقرب إلى الطموح، فيرى أن الفقر يعرض صاحبه إلى نيل الأعداء
وكراهية الأقرباء، وأن هذا الفقر لا يحالف إلا القاعد العاجز عن السعي والحركة، وأن
الغنى لا يتاح إلا لمن يخوض الأهوال ويركب الصعب، فالسيف مهما كان حاداً ماضياً لا
يفعل فعله إلا اذا خرج من غمده، والأسد لا يدرك فريسته إلا اذا ترك غابته، والبدر لم
يشرف ويفضل على سائر النجوم إلا بتقلعه. يقول (٣٨)

إذا المرء لم يملك من المال ثروة
و من يجعل العجز المطية لم يزل
فقم واركب الأهوال جدا فطالما
فما يقطع الصمصام إلا اذا انتحي
و ما دام ليث الغاب في الغاب كامنا
كذا البدر لولا سيره وانتقاله

رمته عداه واجتوته أقرابه
يمر عليه الدهر والفقر صاحبه
أفاد الغنى بالمركب الصعب راكبه
عن الغمد لو كانت حدادا مضاربه
فإن حراماً أن تدمي مخالبه
عن النقص لا استعلت عليه كواكبه

وفي موضع آخر يشير إلى أن المطالب لا تنال بالتمني، وإنما بالسعي والكفاح وأن
على الإنسان أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح. يقول (٣٩)

واتركاني من أباطيل المني
وابذلا في العز مجهود كما
انما تدرك غايات المني
فهو بحر ليس يروي منه صاد
لا يلام المرء بعد الاجتهاد
بمسير أو طعان أو جلاذ

(٣٨) ديوانه : ٥٤

(٣٩) نفسه : ١٧٦

رابعاً

قضية الشؤون السياسية

القضية السياسية من القضايا الهامة التي لقيت عناية مبكرة من شعراء عبد القيس، وترددت أصداؤها في شعرهم منذ العصر الجاهلي. وللمتقرب العبدى قصيدة ميمية بلغت تسعة عشر بيتاً، أنشأها بعد غزو النعمان بن المنذر لقبيلته، ولكن الشاعر ارتفع فوق الجراح، رغم أن ضربة النعمان كانت قاسية، وأن مصاب العبديين كان أليماً. فلم يثر ثورة الشننين ولم يهاجم الملوك، وإنما راح يداوي الجراح ويرأب الصدع، ويتخذ من الصبر ومكارم الأخلاق سبيلاً، يدفع عن قبيلته استمرار السوء والأذى، فإذا أصاب العبديون هذا الخطب الجلل فإنهم كانوا يحمون ديارهم، ويردون غارات أعدائهم. هذا هو موضوعها الأساسي^(١) وفيها يقول منكراً على بعض جماعته انهزامهم النفسى، وداعياً إلى التماسك والثقة بالنفس عبر هذا الفخر القبلى والشخصى، حيث كان جده سيداً خطيراً حكيماً، وكان يقال له المصلح لصلحه بين بكر وتغلب من ربيعة، وبين عوف وعامر من عبد القيس:^(٢)

أرى بدعا مستحدثات تربيـني	يجوز بها مستضعف وحليمها
فان تك أموال أصيبت وحولت	ديار فقد كنا بدار نقيمها
ونحمي عن الثغر المخوف ويتقى	بغارتنا كيد العدا وضومها
صبرنا لها حتى تفرج بأسنا	وفننا لنا أسلابها وعظيمها
نعد لأيام الحفاظ مكارمها	فعالا وأعراضا صحيحا أديمها
أبي أصلح الحيين بكرا وتغلبا	وقد أرعشت بكر وخف حلومها

وتنتهي نونية المتقرب العبدى - على الأرجح - إلى اللون السياسى، ففاطمة التى خاطبها الشاعر فى قوله :

أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألتك أن تبيني

(١) المعينى : شعراء عبد القيس فى العصر الجاهلى (قسم الدراسة) : ١٧٧
(٢) ديوانه : ٢٥٣

ليست امرأة كأي امرأة تأتي في مقدمات القصائد الجاهلية، وإنما هي امرأة متميزة، وتميزها نابع من ارتباط وثيق بشخصية أخرى في القصيدة، وهي شخصية عمرو بن هند، وقد احتوي البيت الأخير في القصيدة على قرينة أساسية تبرز ارتباط مقدمة القصيدة بخاتمتها، وقد تمثل هذا في مخاطبة الشاعر للمرأة من جديد، وذلك من خلال قوله: (٣)

دعي ماذا علمت سأثقيه ولكن بالمغيب نبئيني

وحين نجمع بين أبيات مقدمة القصيدة، وخاتمتها، فنقرأها على النحو التالي :

دعي ماذا علمت سأثقيه	ولكن بالغيب نبئيني
فلا تعدي مواعيد كاذبات	تمر بها رياح الصيف دوني
فاني لو تخالفني شمالي	خلافك ما وصلت بها يميني
إذن لقطععتها ولقلت بيني	كذلك أجتوي من يجتويني
إلى عمرو ومن عمرو أنتني	أخي النجدات والحلم الرصين
فإما أن تكون أخي بحق	فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني	عدوا أنقيك وتنقيني

نشعر بقوة التواشح بين معاني الأبيات، وتكشف هذه الأبيات عن علاقة متوترة بين الشاعر ومخاطبيه، فهو يريد التمتع بقرب الحبيب ويشعر بالقلق لزوال هذه المتعة برحيله، ويعاتبه بشدة على مخالفته له، ويتخذ من الصور الحسية القوية أداة للتعبير عن حدة انفعاله وتوتره، فمواعيد الحبيب الكاذبة تشبه رياح الصيف في سمومها وأذاها، وشدة مخالفة فاطمة للشاعر، تبلغ به من الضيق والحدة مبلغ من يرغب في التخلص من بعض أعضائه، لو عاندته، ولم تطاوعه على ما يريد، وعمرو بن هند الملك حيث أنه صاحب شجاعه في القتال، وسرعة في الاغاثة، كما أنه صاحب حلم ثابت محكم، يطلب منه الشاعر أن يكون على بينة من حقيقة علاقة كل منهما بالآخر، فإذا أن يكون صحيح الاخاء لتسود صلاتهما المودة الصافية، أو يكون صريح العداوة ليتخذ كل منهما حذره من الآخر.

(٣) موسي رباعه: قراءه في نونية المثقوب العبدى ص ٤٦٨ - مجلة جامعة الملك سعود المجلد الرابع - الآداب

ويكشف كل من أسلوب النداء وأسلوب النهي الذي افتتح به الشاعر البيت الثاني عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر نتيجة لقرار فاطمة بالانفصال عنه، ويبدو أن الشاعر كان شغوفاً بالبحث عن الود والصفاء، ولكن هذا لم يتحقق له، ولذلك تتعمق الهوة بين الشاعر وفاطمة، كلما مضى في مخاطبتها، ولذلك فهو يأمرها وينهاها عن أن تكون مواعيد باطلة وكاذبة. ويرفض أن يكون شخصاً هامشياً. ويبرز صوت الذات الشاعرة لمواجهة هذه الأزمة المتمثلة في كذب مواعيد فاطمة وزيفها، ولقد جاء هذا الصوت حاداً أو غاضباً لمواجهة موقف فاطمة السلبي، ولذلك يؤكد الشاعر (فبني) الانفصال عن فاطمة، ويضرب لذلك مثلاً فيه نوع من الاستحالة، ويصور الشاعر كيف أن بعض جسمه يلفظ بعضه الآخر، وحدة مثل هذه الصورة تنبئ عن طبيعة النفس الهائجة، ومن هنا فقد جاءت هذه الصورة لتعكس وضعا نفسياً متأزماً، وهذا التأزم سببته أزمة نفسية ضاغطة وملحة على الشاعر. إن الصورة التي اختارها الشاعر لتكون على هذه الشاكلة تثير انفعالا عنيفاً ينسجم مع حالة الشاعر النفسية، إن موقف فاطمة الذي يراه الشاعر سلبياً قد جعل احساسه بضرورة الانفصال عن فاطمة يتنامى بصورة لافتة، وهذا يظهر في قوله "ولقلت بيني" و"كذلك اجتوى من يجتويني" وإن مقولة الشاعر "كذلك أجتوى من يجتويني" تبرز موقف الشاعر من الآخر، وهو موقف يجسد ضرورة المعاملة بالمثل وهذا موقف عظيم يكشف عن طريقته في معاملة الآخرين، كذلك يبرز رؤية يمكن لها أن تستمر في وعي الإنسان في كل زمان ومكان، وإن الذي حدا بالشاعر إلى أن يؤكد هذه الرؤية هو العالم النقيض والمضاد الذي يعيشه، فالعالم الراهن المتمثل في فاطمة هو عالم لا يوفر الانسجام والطمأنينة، بل إنه يبعث على القلق والتوتر. كما أن الهزة العنيفة التي أحدثتها المعاناة النفسية العميقة الناتجة عن علاقة الشاعر بعمر بن هند دعت الشاعر إلى انتقاء بعض الكلمات التي تعبر عن العنف، فوقع كلمة "فاطرحني" يحمل بين ثناياه معني عنيفة يتساوى مع ذلك العنف الذي افتتح به الشاعر القصيدة، كما أن قوله "أتقيك وتتقيني" يتلاقى من جديد مع قوله "كذلك أجتوى من يجتويني" وبذلك يكون الشاعر قد رسم مبدأ عظيماً للتعامل مع الآخرين، وهو مبدأ يسعى إلى تحقيق الأخوة والمحبة^(٤). ويذكر ابن قتيبة أن عمرو المعني هو عمرو بن هند، أما الأصمعي فقد قال أراه غير الملك لأنه لم يكن ليخاطبه بمثل هذا الكلام.

(٤) انظر الدراسة السابقة.

ولكنني أرجح القول الأول وذلك للأسباب التالية :

- ١ - ما ذكر من قوة صلة الشاعر بعمر بن هند، ومذائحه المتعددة له .
 - ٢ - مكانة الشاعر بين قبيلته كزعيم فكري لها، وكبير لشعرائها وتاريخه المجيد فيها حيث كان جده يلقب بالمصلح، وكان مجال فخر الشعراء، وكان المثقب يرأس وفودها عند الكبراء والملوك.
 - ٣ - ما عرف عن الجاهليين من صرامة وصراحة في علاقاتهم الشخصية
 - ٤ - لم يكن الفارق بين ملوك عرب الجاهلية بالحدة التي كانت موجودة عند الأمم الأخرى.
 - ٥ - وصف الشاعر للملك بأخي النجدات، والحلم الرصين، وهما صفتان تليق بالملوك .
- وعن نونية المثقب العبدى هذه يقول أبو عمرو بن العلاء : لو كان الشعر مثل هذا الواجب على الناس أن يتعلموه. (٥)

وليزيد بن خذاق الشني أبيات سياسية وجهها للنعمان بن المنذر، وبين فيها أن قلب الانسان لا يتسع لحب أحد وكرهه في وقت واحد، ضاربا المثل الحسي على ذلك بغمد السيف الذي لا يجتمع فيه اثنان، ويوضح الشاعر للملك أنهم أقوى مما يظن، وأن غزوه لهم ليس هينا، ويخترع مثلا حسيا لذلك، فهم ليسوا لقمة يسهل التهامها، كاللحم المنشور على حصير والمكشوف أمام كل أحد، ويبين للملك أن طريق الحق واضح المنهاج، وإن الأولي أن يسلكه ويسير على هداه. يقول : (٦)

لن تجمعوا ودي ومعتبتي	أو يجمع السيفان في غمد
أحسبتنا لحما على وضم	أم خلتنا في البأس لا نجدي
و لقد اضاء لك الطريق وانهجت	سبل المسالك والهدي يعدي

ويعاتب الجمال العبدى قبيلته عبد القيس حين خالفت نصيحته، وأسلمت قيادها لأحمق جبان، فكانت النتيجة أن حاقت بها الهزيمة والذل، وهرب القائد الرعديد على حصانه الضخم السريع. يقول مشيرا إلى أثر الحكمة القائلة (لا رأي لمن لا يطاع) في تفويت فرص النجاح والتفوق : (٧)

(٥) النويري : نهاية الأرب : ٩/٣ - دار الكتب المصرية

(٦) المفضليات : المفضلية ٧٨ - دار المعارف - مصر

(٧) ابن الشجري : حماسته : ١٩٦/١ - منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٠.

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها	وما خير نصح قيل لا يتقبل
قلو أن قومي طاوعوني لأصبحوا	بمنزلة فيه عن الشر مزحل
ولكن قومي طاوعوا أمر عاجز	جبان اذا ما صار للحرب قسطل
فأوردتهم حتى اذا اختلف القنا	تولي به نهـد المراكـل هـيكل

ولأنس بن مساحق أبيات في الحكمة السياسية وجهها إلى خليله راشد الذي تربطه به صلة نسب قديم وقوي، وفيها بين أن صغير الشر يقود إلى كبيره، وأن العزيز اذا جانب الحكمة يصبح ذليلاً، وأن سياسة الحزم تقرض عليه أن يوجه تهديده للأعداء الأبعدين، ويصوب اليهم رؤوس رماحه، بدلا من أصدقائه الذين تجمعهم به أصره الدم والنسب، إذا أراد أن يحتفظ بمكانته كسيد وزعيم في قومه. يقول منذرا : (٨)

ألا أبلغا خلتي راشدا	وصنوي قديما اذا ما اتصل
بأن الدقيق يهيج الجليل	وأن العزيز اذا شاء ذل
و أن الحزامة أن تصرفوا	لحي سوانا صدور الأسـل
فان كنت سيدنا سدتنا	وان كنت للخال فاذهب فخل

أما في عصري صدر الاسلام والأموي فاننا لا نكاد نقع على شعر لعبد القيس في الحكمة السياسية، الا في القليل النادر، ومن أمثله قول الأعور الشني يحرض الامام علي على حرب خصمه بعد أن فرغ من معركة الجمل، يقول ناصحا ومشيرا عبر هذه الصورة الحسية القوية : (٩)

أيهذا الامام قد خبت الحرب	وتمت بذلك النعماء
وفرغنا من حرب من نكث	العهد وبالشام حية صماء
تنفث السم ما لمن نهشته	- فارمها قبل أن تعض - شفاء

ويعد ابن المقرب العيوني فارس الحلبة في هذا الميدان، فقد تمثلت حكمته السياسية في عتابه لقومه ونصحه لهم، وقد بلغت أبياته في ذلك أربعمئة وسبعين بيتا جاء أكثرها في ثنايا قصائد المدح، ولا سيما في مدائحه في أمراء أسـرته باستثناء الأمير محمد بن أبي

(٨) المعيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ٩٥ - قسم الدراسة.

(٩) الدينوري : الأخبار الطوال : ١٤٤ ط حنفي

الحسين. وتعود هذه الكثرة إلى مكانة ابن المقرب بين قومه، وما خصه الله به من تعقل وفصاحة وحكمة وحس مرهف، يضاف إليها الظروف الصعبة التي كانت تمر بها دولتهم. ومع كل هذا وذاك فقد اندفع ابن المقرب إلى هذا الميدان، وسمح لنفسه بأن ينصب نفسه شفيقا يحدد الداء ويصف الدواء على حد تعبير د. أحمد الخطيب، وعلى الرغم من محاولات الحكام المستمرة بهدف ابعاده وحجبه عن الظهور على مسرح الأحداث السياسية، إلا أنه لم يألوا جهدا في الزج بنفسه في معترك الأحداث السياسية منتقدا سياستهم عاتبا عليهم، فاتحا أعينهم على الحقيقة المرة من حولهم، واضعا أيديهم على موضع ضعفهم. فمن قصيدة له يمدح فيها أمير الاحساء أبا منصور على بن محمد، يقول ناصحا : (١٠)

أيها أبا المنصور يقظة ثائر	بطل لعلياه يغار ويغضب
لا تركزن إلى العدو ولا تطع	أراء من في حبل غيرك يحطب
وأعص الذليل اذا أشار ولا تثق	في الكائنات بكل من تستصحب
وأعلم بأن الناس قد جربتهم	فاذا صحيح الود منهم عقرب
وأقبل نصيحة ماجد باعدته	عنكم لضعف الرأي وهو الأقرب

وقد عاتب في شعره بعض أمراء بيته الذي أبعدوه وأسلموا مقاليد الأمور إلى حثالات الناس من أتباعهم وحاشيتهم، الأمر الذي عاد بأوخم العواقب، وكان سببا من أسباب سقوط دولتهم فيما بعد، فقد عمل هؤلاء على هدم الدولة العيونية، ونسج الدسائس والمؤامرات لهذه الغاية، مع أنهم كانوا أصحاب الحظوة فيها والمستفيدين منها، ولكنهم مع ذلك لم يصونوها بل جعلوها هدفا للأعداء ونهبا للطامعين من البدو والأجلاف الضاربين حواليتها، وكان هؤلاء الخونة قد اتفقوا مع المغيرين على توزيع أملاك الدولة عليهم وحسنوا للحكام المغفلين قبول ذلك بحجة دفع شرهم والنجاة منهم. وقد حاول ابن المقرب تنبيه قومه ونصحهم، ولكن لم يسمعوا له، أو يقبلوا نصيحته، ظنا منهم أنه يطمع في الحكم وينافسهم عليه، فعملوا على مضايقته واستولوا على أمواله، وحبسوه وقد سجل ابن المقرب ذلك في قوله : (١١)

(١٠) ديوانه : ٩٠

(١١) نفسه : ٤٥

ومما شجاني يا لقومي فعبرتي
تضاعن أملاك أبوها اذا اعتزت
أبي أن يلم الدهر فيما يلمه
أطاعت مقالات المعادي وعرها
قأنحت على أرحامها بشفارها
ولو قبلت نصحي وأصغت لدعوتي
لداويت كلماها وأبرأت داءها
وقدت إلى الليث السنبدي ولم أنم
ولكن لأمر أخروني وقدموا
تصيب وما تدري وتخطي وما درت
فيا صفقة الخسران فيما تبدلوا
وهل قيسست الخيل العرباب بعانة
لذا طمعت فينا البلايا وأصبحت
وشالت لنا أذنانها مقذحرة

لدي كل حين لا يجف انسكا بها
أبي ونصابي حين أعزي نصابها
عصا بينها أو أن يرجي أعتابها
تملقها في لفظها واختلابها
وأوهن عظم الأقربين أصطلابها
وأنجح فاشي دعوة مستجابها
فلم يتحلم بعد صرح اهبابها
على الغمر حتى يصبح الفيل لابها
زعانف لا ينهي العدو احتسابها
وتغدوا وفي حبل العدو احتطابها
وهل يتساوى تبرها وترابها
كداوية لا يلحق الضب جابها
تمر علينا كالشرات كلابها
وعهدي بها تسطوا عليها ذئابها

ويضع ابن المقرب أمام قومه طائفة من الحكم والنصائح الكفيلة في حالة التطبيق بتحقيق القوة والغلبة والانتصار، مركزا على أهمية الاعتماد على النفس في مواجهة الخصوم والأعداء، وإنجاز الأهبة المادية والمعنوية الكافية لمجابهتهم. يقول : (١٢)

ومن يعط خصما درعه وحسامه	وسابغة فليلبس الذل مشملا
ومن ملك الأعداء تدبير أمره	فذاك الذي يدعي العديم المثكلا
ومن رام طول العمر بالذل والغبا	راي الموت مرأى عاجلا ومؤجلا
ومن لم تكن أنصاره من رجاله	أخيف وأضحى بالجنايات مبسلا ^(٣)
ومن لم يقدم للأمور مقدما	أضاع وأبدى للمرامين مقتلا

ولا يخفي ما لمن الشرطية المكررة من تأثير ايقاعي ونفسي جميل وقوي .

(١٢) ديوانه : ٣٦٩
(*) أبسله : أسلمه للهلكة.

وحذر ابن المقرب زعماء الاحساء من الوشاة وما يزينونه لهم بهدف ابعاد النابيهين من
أبناء قومهم. ففي قصيدة له يمدح أبن أبي جروان. يقول ناصحا اياه بخفض الجناح لقومه
ورعايته لحقهم قبل فوات الأوان (١٣)

أهلكت قومك في رضا الواشي بها	ما أقرب الواشين منك وأبعدا
فاستبق قومك للخطوب ولا تكن	سيفا عليهم بالهلاك مجردا
فألن لذي القربى جنابك لينه	لعدوك استشري عليك وعربدا
و أعرف على حام لسام فضله	لتكون في بعض الأمور مسددا
فلتندمن ولات حين ندامة	تغني ومن سقي المدامة غردا

وفي خطابه للأمير محمد الفضلي - حاكم البلاد - نراه ينصحه برعاية جنده واعدادهم
بكل أسباب القوة ليكونوا قادرين على حماية الوطن، فيقول : (١٤)

و جندك رشهم ما استطعت ولا تكن	وان غفلوا عن ربهم متغافلا
فما الجند الا جنة يتقى بها	غوائل مولي أو عدوا مصاولا

ولم يزل الشاعر يلح على قومه أن يأخذوا بسياسة الحزم والقوة مع أعدائهم، وألا
يرضخوا لتهديداتهم حتى لا يطمعوا فيهم. يقول : (١٥)

و من أعجب الأشياء والدهر كله	عجائب يأتي فذها وتوامها
إذا نحن زدنا من عطايا قبيلة	لكف أذاها زاد منا انتقامها
هي النار ان شبهتها وعطاونا	لها حطب ما زاد زاد اضطرابها
فيا ضيعة المسعي وكم من صنعة	غدت ضلة لم يبق الا ملامها

فهو يعرف جيدا أن سياسة الحكام المتهاونة مع هؤلاء الطامعين هي مصدر البلاء،
وأن الحكمة هي في الوقوف بصلاية في وجه الأعداء، فيقول : (١٦)

(١٣) ديوانه : ١٦٩

(١٤) نفسه : ٤٠٤

(١٥) نفسه : ٤٦٤

(١٦) نفسه : ٣١٨

لكم يوم بأس يصدم الجهل بالجهل
وأنتم اذا كوثرتهم عدد النمل
عبيدكم سوق الأحيمرة الهزل

ألا يا لقومي من ربعة هل أرى
إلام تقاسون الهوان مذلة
يسوقكم كرها إلى ما يسؤكم

وظل ابن المقرب ينفخ في روح قومه الخامدة، وبيعت في نفوسهم الحمية، لينهضوا
من جديد للدفاع عن ملكهم، ويعجب كيف كانوا يواجهون الصعاب والشدائد بعزيمة
وثبات ثم يصبحون عاجزين عن حماية أنفسهم وكرامتهم. يقول : (١٧)

ودمع المآقي قد تداعت حوامله
ونكثرت ليان(*) العلى ونماطله
تعدي فأنسى عاجل الشر أجله
ويضعف عن حمل الظلامة كاهله
مقام وزاد المرء لابد آكله
وأموالنا شيء من الخير نأمله

أقول لرهط من سراة بني أبي
إلام بني الأعمام نفضي على القذى
هل الشر الا ما ترون وربما
وهل يحمل العزم الثقيل أخو العلى
وما بعد سلب المال والعز فاعلموا
ولا بعد تحكيم العدا في نفوسنا

ويشتد الشاعر في عتابه لأصحاب السلطة من بني قومه على اتخاذهم الأعداء
والأرذال أخلاء ومستشارين، وكأنهم في عمي عن حقيقة هؤلاء الذين يظهرون الود
ويضمرون الحقد، ويحذرهم بشدة من هذه الفئة السرطانية، ضاربا التشبيهات والأمثال،
لتوعيتهم والتدبير بتصرفاتهم الخرقاء التي أرقست مضجعه، لما تحمل في طياتها من ويل
ودمار، مظهرا اشمئزازه من الحياة في ظل هذه الظروف المأساوية المحزنة التي يصبح
فيها الأذال والدخلاء المقربين والمشاركين في اتخاذ القرار السياسي، مكررا
ومؤكدًا أن الدواء النافع والحل الحاسم هو إعلان الحرب على الفساد والمفسدين،
يقول : (١٨)

بمسير أو طعان أو جلاذ
مضمر البغضاء مبد للوداد
هل يلاقي الليث سرح من نقاد(**)

أنما تدرك غايات المني
أعمي غالكم أم ناصح
فهبوا ناصحكم رام الوفا

(١٧) ديوانه : ٣٣٧

(*) ليان العلى : مطله.

(١٨) نفسه : ١٧٦

(**) سرح من نقاد : جنس من الغنم قبيح الشكل.

واللبيب الحر لا يخذعه
والقديم العتق لا يوفي به
جئت يا موت فان شئت فذر
قبح الله حياة قرنت
و اذا قربك لم تنفع به
يا نديمي اتركناي و اذهب
أحذار الموت أبقي هكذا
ان تري شخصي لأمر ساكنا
رب ذي هم تراه مطرقا
يا جفوني طلقي عنك الكري
لأقيمن لأبناء الوغى
ان يكن عزا والا فردي
لا يطيب العز ما لم تجنه

لمعان الآل عن حفظ المزاد
باسل الغارب من نسل الكداد (*)
ليس عيش الذل يوما من مرادي
بشفا الضيم واشمات الأعادي
في حمي قومك فاذن ببيعاد
ليس وادي الذل للحر بوادي
لا ومجري الماء رزقا للعباد
فلعمري ان قلبي في طراد
وهو في أطراقه حية واد
أنما طيب الكري بعد السهاد
سوق اقدام وطعن وجلاد
لست من دون شبيب ومصاد
باللدان السمر والبيض الحداد

فلقد أنسته هموم قومه السياسية همومه الشخصية المؤلمة، وهو يري الأخطار تهدد الدولة العيونية من كل جانب، وشقي بهذه الهموم الوطنية، فأخذ يبكي مجد بلاده ودولته، وعزة أهله وقومه. يقول :

كنت قبل اليوم أبكي بشجي
ثم قد أصبحت أبكي ناسيا
زوبعت في جوها عاصفة
ما نجا من نارها غير امرئ

هم نفسي وطريفي وتلاذي
شجوا أخواني ورهطي وبلادي
ذات أعصار تضاهي ريح عاد
عاد منها بمضل غير هادي

وحين آلت سلطة البلاد إلى مقدم بن غرير، وهو رجل قد عاش في البداية، ولم يكن ذا دراية بأمور السياسة، ولا علم بأحوال أهل المدن، فضعفت السلطة في البحرين، وساء تدبيرها، خاصة بعد أن صارت بطانة الحاكم من أهل الخدع والمكر، وممن ليسوا من أهل الشرف وأرباب الدولة، ولا ذوي القرابة، فصار أمير البلاد لعبة في أيدي هؤلاء الأوغاد

(*) الكداد : فحل تنسب إليه الحمر.

الذين أتاحوا للبدو فرص الاستيلاء على أموال الناس، وبث الذعر في النفوس، وبلغ من نفوذ هؤلاء السفلة أن أخرجوا أهل الشرف والفضل من البلاد، واعتنوا بذهاب آل ابراهيم العيونيين، فأتى الشاعر الحاكم السوري مقدم بن غرير، قائلا هذه القصيدة قبل خروجه ولامه في ذلك، وقبح عليه ذلك الفعل، بعد أن سأله : ما ذنب هؤلاء الرجال الذين قبضت عليهم، فقال والله ما قبضت عليهم، وإنما قبض عليهم أصحابي فلان وفلان وعدهم، وقال مالي قدرة على مخالفتهم، فقال هذه القصيدة عند وصوله القطيف وبعث بها إلى أبي على ابراهيم بن عبد الله بن غرير بن ابراهيم بن أبي جروان، وكان يومئذ من رؤساء الاحساء. وقد استهل الشاعر قصيدته التي بلغت مائة وأربعة أبيات بقوله : (١٩)

كم بالنهوض إلى العلا تعداني ناما فما لكما بذلك يدان

وقد خاطب الشاعر في القسم الأول منها رجال عبد القيس، وأشار عن طريق " كم " الخيرية إلى الحاجة الكثيرة إلى دعوة القوم إلى رفض الواقع المؤلم الذي يعيشونه، ذلك الواقع الملىء بألوان الهوان والذلة وأصناف الظلم، ونراه يشتد في خطابه لهم عليهم يتحركون ويغيرون من حالهم السىء، فقد استخدم ألفاظا قاسية تعبر عن حالة التوتر والغضب التي يعيشها بسبب سكوتهم على الضيم، ودعا عليهم بالتعاسة والتكل ان لم يتحركوا، وسخر من جمودهم وعدم احساسهم. يقول :

أرجال عبد القيس كم أدعوكم	في كل حين للعلا وأوان
فتراكم موتي فأسكت ام تري	خلقت رؤوسكم بلا آذان
كم ذا تسامون الهوان وأنتم	خضع الرقاب تطامن الخصيان
تعسا عبيد الظالمين ولا لعاً (*)	لكم فليس هجانكم بهجان
أصبحتم غرضا تناضله العدا	بمذريات البغي والعدوان
متهدفين لكل رام بالأذي	يرميكم كتهدف الحيطان
ما منكم شخص يروع وأنه	ليري سهام الموت رأي عيان
لله دركما لقد أحرزتما	طبع الجماد وصورة الحيوان
تكلتكما الأعداء تكلأ عاجلا	يا غصة الأخوان والجيران

(١٩) ديوانه : ٦٣٢ و ٦٣٣.
(*) لالعا : دعاء عليهم ألا يقالوا من عشرتهم.

وأخذ يلومهم بشدة على تنافرهم، وانقسامهم، وخروج بعضهم على بعض، مبينا لهم أنهم بهذا التناذب والتدابير انما يهدمون بيوتهم بأيديهم، وبمكنون عدوهم منهم، يقول مقابلا بين حالهم مع أنفسهم، وحالهم مع الأعداء، ناعيا عليهم هذه السياسة الفاشلة.

القوم تأكلكم ويأكل بعضكم	بعضا كأنكم من الحيتان
من عز منكم كان اكبر همه	شق العصا وتذكر الأضغان
وتضافر المتضددون وكلكم	بادي القطيعة ظاهر الخدلان
ما منكم الا مردد زفرة	ومطيل عض أنامل وبنان
أكرامكم لمهينكم وهوانكم	لمعزكم في السر والاعلان
لم يغضب البدوي الا قلتم	سدوه كي يرضي بمال فلان
شيدتم عز العدى وتركتكم	بنيان عزكم بلا أركان

وبعد أن شخص ابن المقرب داءهم، فيما سبق، نجده يحدد لهم العلاج، وهو بعث الحمية واليقظة فيهم، وترك الحسد والتنافس بينهم، وتحكيم ميزان العدل في معاملاتهم، ورأب صدع الشقاق والنزاع، وأن يتداركوا إصلاح ما فسد في علاقتهم، ويلموا شعثهم ويوحدوا صفوفهم، أمام العدو المشترك. يقول :

أيه بقايا عبد القيس انه	لا خير في ماض بكف جبان
لا تسقطن من هامكم وأنوفكم	هم الرجال وغيره الفتیان
واستيقظوا فالسيل قد بلغ الزبي	وعلت غواربه على القریان
وذروا التحاسد والتنافس بينكم	فكلاهما نزع من الشيطان
واستعملوا الانصاف واعصوا كاشحا	لفسادكم يسعي بكل لسان
وتداركوا اصلاح ما أفسدتم	ما دمتم منه على الأمكان
فتحدثوا في لم شعنكم فما السا	عي بفرقة قومه بمعان

ويمضي في وصف الدواء الناجح لقومه بعد أن وضع أيديهم على الداء، فيدعوهم إلى انتهاز سياسة حازمة مع العدو، تقوم على وحدة الصف والهدف، ومواجهة العدو بالسيف، مؤكدا بالقسم أن سياسة المصانعة مع هؤلاء الأعداء البداية الجهله، لا تجلب لهم إلا الشقاء والتعاسة فإما أن يستخدموا كل ما لديهم من قوة في حماية البلاد التي صارت لهم منذ

هاجروا إليها من تهامة، أو يرحلوا عنها قبل أن تصبح نساؤهم سبيا في أيدي عدوهم،
ويصبحوا هم تحت رحمته وامرته، فيلقون منه مثلما لقي بنو العياش والعريان من
القرامطة. يقول :

قد بان عجزكم وكلكم يد	عنهم لدار معرة وهوان
واقصوا رجالا كلهم في كلكم	وبواركم تجري بغير عنان
وأحموا دياركم التي عرفت بكم	من حين مقتل عامر الضحيان
أولا فإن الرأي أن تترحلوا	عنها لدار معرة وهوان
من قبل داهية يقول لها الفتى	منكم متي يومي فما أشقاني
لا تحسبوا شر العدو تكفه	عنكم مصانعة وحمل جفان
و الله لا كف الأعادي عنكم	من دون سلب معاجز النسوان
لم يبق مال تتقون به العدى	لرببعة فيها ولا قحطان
انني لأخشي أن تلاقوا مثلما	لاقى بنو العياش والعريان
كرهوا الجلاء عن الديار فأهلكوا	بالسيف عن عرض وبالنيران

ثم يخاطب الشاعر في القسم الأخير من القصيدة أبا على ابراهيم بن عبد الله الجرواني،
فيطلب منه أن يتدارك أمر السلطة المتداعية قبل انهيارها، ويثير فيه نخوته العربية
وطبعه الأصيل، ويرسم له السياسة الناجحة، والمنهج السوي، كالعطف على أفراد العشيرة
والصفح عن مسيئهم ومكافأة محسنهم، ونبذ الوشاية بينهم، والحذر من صنائع المدخولين.
ويطلب الشاعر من مخاطبه أن يولي بني مرة رعاية خاصة، فيواسي فقيرهم، ويفك
أسيرهم، وينصف مظلومهم، وينهي نصائحه برجاء أخذ الممدوح بها وتنفيذها، لأنه الأمل
المتبقي لحفظ السلطة قبل أن تخرج من أيديهم إلى غير رجعة. يقول :

أبلغ هديت أبا على ذا العلي	عني السلام وقل له ببيان
أتراك ترضي أن يحدث جاهل	أو عالم من نازح أو دان
فيقول كان خراب دار ربعة	بعد العمار بنو أبي جروان
يأبي لك الطبع الكريم ونخوة	عربية شهدت بها الثقلان
اعطف على أحياء قومك واحتمل	ذنب المسيء وكاف بالاحسان
واعمل لما يحيي العشيرة واطرح	قول الوشاة فكل شيء فان

واحذر أصحاب النصائح واحترس	منهم فكلهم أخو كيسان
واستبق مرة للعدو فمرة	في الانتساب ومالك أخوان
وارفع خسيصة من تشكي منهم	غبنا وكن لأبرهم والعاني
فلأنت لو أنصفت عين زماننا	يابسا عليّ وعين كل زمان
ودع احتجابك بالأمير فانه	مالا يجوز على ذوي الأذهان
واعلم بأن الرشيد لو حاولته	في طاعتي والغى في عصياني
والرأي عندي ما تقول وما ترى	لا ما رأي قلبي وقال لساني

ويوجه ابن المقرب إلى قومه نصيحته الداعية إلى القوة، ومحاربة الخصوم بقلوب متعطشة إلى دماء العدو تعطش الابل التي أظمنت خمس ليال، فهم يتدافعون إلى المعركة تدافع الابل للشرب بعد هذا الظمأ، وهو تدافع ينسيها فصلانها ويعرضها للهلاك. ويدعو الشاعر فرسان قومه إلى اقتحام الحرب ودخولها عنوة بدون تريث، ففي ذلك ما يضمن حسمها لصالحهم، ثم يحذرهم من الاعتماد على العدو أو الاطمئنان اليه مهما كان شأنه، لأن حبال الأعداء رثة ضعيفة سرعان ما تنقطع بأيدي من يتمسك بها، فيسقط في الهاوية. يقول : (٢٠)

ردوا الحرب ورد الظامئات حياضها	خوامس يغتال الفصال ازحامها
وخوضوا لظاها باقتحام فإنما	يكشف غماء الحروب اقتحامها
ولا تركنوا يوما إلى ذي عداوة	وان قيل هذا عقدها ونظامها
فان عري الأعداء قد تعلمونها	سريع بأيدي الماسكين انفصالها

ويكرر ابن المقرب تحذيره لقومه بالألا يستمعوا إلى نصيح صاحب المداجي الذي يظهر الصداقة ويضمّر العداوة، وأن يكونوا على مستوي من النباهة واليقظة ترضي الصديق الغاضب، وتغضب العدو الراضي ويبدو أكثر لينا معهم فيقول انه لن يذمهم، وان لم يأخذوا بنصحه، لكنه يعزي نفسه أمامهم بأن كثيرين من الناصحين المخلصين عدوا في نظر الناس خونه، وكثيرين من الغادرين حسبوا في أعين الناس أوفياء. يقول :

ألم يأن أن تعصوا النصيح المداجيا
فترضى أذا سخط وتسخط راضيا
وفي السهو شرعا قد أجازوا لتلافيا
فلست لكم فيما تحبون لاحيا
وكم غادر قد عد في الناس وافيها

ألا يا لقومي من على بن عبدل
أما حان منكم يقظة وانتباهة
يقام بها كل امرئ في مقامه
فان أنتم لم تقبلوها نصيحة
فكم ناصح قد عد في الناس خائنا

ويبدو أن ابن المقرب قد سئم من نصحهم بعد أن علم ألا فائدة من ورائه، ولكنه يناشدهم في نصائحه الأخيرة ألا يغتروا بالناصح الذي يضرهم لهم العداوة، وأن يميزوا بين الصادق المخلص، وبين المنافق الغادر. وكان من نتائج عدم اصغاء قومه لنصائحه ازدياد ضعفهم، وفي المقابل زاد طمع الأعراب فيهم، وزاد استخفافهم بالسلطة الواهنة، فقد حدث في أيام الأمير أبي القاسم بن محمد العيوني أن قتل رجاله قاطع طريق من بني عقيل، فجاءه بنو عقيل مطالبين بدمه امعانا منهم في اذلال القيادة الواهية التي استجابت لمطالبهم بتأثير من بطانتهم الفاسدة، وما ان يسمع ابن المقرب بما جري حتى يهب إلى الأمير معاتبا وناصحا في قصيدة قوية جاء فيها :

وكم يعترينا ضيمها واهتضامها
بنات الوغي يتلو الروابي قتامها
خوامس يغتال الفصال ازدحامها

اللي كم مداراة العدى واحترامها
أما حان يا فرعي ربيعة أن أري
ردوا الحرب ورد الظامئات حياضها

ويشير الشاعر في دهشة إلى المفارقة العجيبة في دولة الورق التي بلغ من وهنها أن تدفع دية المجرمين والأنذال، ولا تأخذ دية للصالحين الشرفاء، يقول :

على ذا ويدني في حمانا مقامها
فتلغي لقد خبنا وفازت سهامها

فواسواتا ان كان يودى قتيلاها
ويقتل بالغدر الصريح كرامنا

ويبدو أن اليأس من صلاح قومه قد أخذ يترجح عنده على الأمل، بعد أن بح صوته من كثرة النصح، ولكنهم لم يصغوا اليه ولم يعيروه اهتماما. يقول :

قفاك فأعيا كل شيء رجوعها
وهون فخفاض المباني رفوعها
لذاك فرفاع البرايا وضوعها

وان دوللة ولت قفاها فولها
ولا تتعبن في نصح من غاب رشده
لعل ذري تهوي فتعلو أسافل

ولما يئس ابن المقرب من صلاحهم، طالبهم أن يجيبوه ولو بوعد كاذب. يقول (٢١)

يا ساكني الخط والأجزاء من هجر	هل انتظاركم شيئا سوي العطب
بححت مما أناديكم وأندبكم	لخير منقلب عن شر منقلب
فسكتوني بقول لا تقون به	قد صرت أرضي بوعد منكم كذب

وأخيرا بعد أن يبلغ به اليأس كل مبلغ، يعلن آهاته وحسراته على ضياع كل نصائحه التي تنم عن حبه لهم وخوفه عليهم، وكم كان يتمني لو عرفوا قدره وقدر أمثاله من قومه، اذن لتغير الحال، وهو في النهاية يدعو الله بالفرج أو بتعجيل الأجل قبل أن يري زوال دولته. يقول (٢٢) :

فأه لقومي لو أطعت لديهم	دروا ان فيهم حازم الرأي فيصلا
لقد كنت لا أرضي الدنية فيهم	ولا يزدهيني عنهم من تعجلا
ولكن اذا ما الأمر حُمّ انتهاؤه	أقام مقام ألا ضبط السورد خيطلا
وأقمن شيء بالهلاك مدينة	تريك نبيه القدر من كان أخملا
فيا رب لا صبرا عليّ ذا ولا بقا	فسق فرجا أو لا قموتا معجلا

ومن حكم ابن المقرب الذي قيل أن الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله كان يردها قوله:

وغير على الملك من لعب الرجال به فالملك ليس بثبات على اللعب

يقول الخطيب : اذن فالنصح عند ابن المقرب ليس مجموعة من النصائح السلوكية والخلقية، يكيلها إلى سامعيه في تقريرية ممجوجة، ولكن النصح عنده رصد لمظاهر الانحلال والضعف في مجتمعه، وعرض للحلول الممكنة لرأب الصدع وتلاحم الصفوف، وان كنا نري في نصحه لأبناء عمومته وعتابه لهم موقفا وطنيا يستحق عليه الثناء والتقدير، فهذا لا يمنع أن نري في عتابه ونصحه شيئا أبعد كان يرمي اليه ابن المقرب يجعلنا ننثني فيه على دهائه وولعه بالسياسة، فالنصح عنده كان أشبه ما يكون بتعرية لحكامهم والنفاذ إلى الحياة السياسية، وكأنه كان يقوم بدور المعارضة السياسية لنظام حكمهم، فيحاول اشارة

(٢١) ديوانه : ٧٥

(٢٢) المصدر السابق : ٣٧٠ - الخيطل : الكلب أو السنور .

الناس ضدهم بكشف مساوئهم، وإن بدا لهم في صورة الناصح الشفيق، ويبرر هذا موقف أبناء عمومته منه الذي لم يتغير مع تعاور العديد منهم على إمارة الاحساء والقطيف، كما يبرره موقف الشاعر العنيد في أن يظل قريباً من مسرح الأحداث، مترصدا لأخطائهم، غير عابئ بما يناله من ضيمهم وانكارهم لحقه وقدره، وكأنه كان يتحين الفرصة للوثوب إلى السلطة بعد أن هب النفوس للثورة. ثم يقول هذا الباحث: ومما نعجب له أن شاعرنا قد التزم بقضية قومه طوال حياته على الرغم مما ناله منهم من أذى ومهانة، ولكنه ظل على أصالته فلم تزعزعه النائبات ولم تحركه قيد أنمله عن مبدئه، فبقي يدافع عن عشيرته وقومه حتى وافته منيته وصدر في نصحه وعتابه عن معاناة حقيقية وتجربة صادقة وطموح لا يكل، وهو في هذا الميدان فارس سباق، وقلما نجد في العصور الأدبية السابقة من كانت له مثل هذه المواقف المشرفة من الالتزام بقضايا مجتمعه. (٢٣)

(٢٣) أحمد الخطيب: شعر علي بن المقرب العيوني ص: ١٥٠

خامسا

قضية الايمان والزهد

كانت نظرة الجاهلي إلى المستقبل الغامض تشكل هاجسا مزعجا له على الدوام، بسبب غياب الرؤية الواضحة المبنية على الايمان الصحيح، مما جعله نهبا لوساوس الطيرة والفأل التي تشيعها في نفسه معتقداته الجاهلية المرتكزة على التشاؤم والخوف من المجهول، اذ يشعر الانسان الجاهلي أن له نصيبا معيناً من الخير والشر، وأنه يختلف في ذلك عن يقية الناس، فـ"المتقّب العبدى" يحس أن الشر يطارده أينما توجه ولا يمنعه هذا الاحساس من أن يتبين استحالة معرفة المستقبل^(١)، حيث يقول :

و ما أدري إذا يمت وجهها أريد الخير أيهما يليني
الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني

يقول د. مصطفى عبد اللطيف : وقد عرف عن الجاهليين منذ القدم ايمانهم العميق بالقدر، ويحتمل أن اثبات القدر كان نتيجة تفكيرهم في الموت بالدرجة الأولى. فمما نلاحظه في ألفاظ الموت عندهم أن كثيرا منها هو اشارة إلى الشيء الواجب كالحتم والمنية والحمام، أو الوقت المحدد كالأجل واليوم، ولكن هذا لم يمنعهم من أن يعلقوا بالقدر أشياء أخرى، وهم غالبا يذكرون القدر والدهر في حالات اليأس والقنوط ويذكرون ارادة الله في حالات التأمل الهاديء، كما نري في قول "ثعلبه بن عمرو العبدى" :^(٢)

عتاد امرىء في الحرب لا واهن القوي ولا هو عما يقدر الله صارف
ولقد كان حكماء العبديين على معرفة بالله، وآية ذلك تردد ذكره في شعرهم، كما نري في قول " المتقّب العبدى " :^(٣)

وأيقنت ان شاء الاله بأنه سيبلغني أجلاها وقصيدها
ويقول :^(٤)

فلو علم الله الجبال ظلمنه أتاه بأمراس الجبال يقودها

(١) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٠٣

(٢) نفسه : ٩٨

(٣) ديوانه : ١٠١

(٤) نفسه : ١٠٤

ويقول أيضا : (٥)

على الوعاع أفراسي وعيسى

لحي الرحمن اقواما أضاعوا

ويقول " ثعلبه بن عمرو العبدي " : (٦)

وأقسمت ان نلته لا يؤوب

فأقسم بالله لا يأتلي

فالألفاظ يقدر الله، ان شاء الاله، علم الله، الرحمن، فأقسم بالله، كلها ألفاظ اسلامية ويعلل د. المعيني ذلك بوجود الموحدين بينهم، وبأن منهم من كان على دين المسيح، ثم يقول: فلا نستغرب أن يذكر شعراء عبد القيس هذه الألفاظ مادام مجتمع الجاهلية قد عرفها، ولا غرو أن تكون تلك الألفاظ ملامح في رؤيا العبديين إلى تعاليم ومفاهيم قريبة من تعاليم الاسلام، ولقد رأينا كثيرا من الحكماء من رجالات عبد القيس أمثال "رناب الشني" و"الأشج العبدي" و"الجارود" وكلهم نظر بفكره وحكمته نظرة أوسع وأشمل من بقية العبديين الجاهليين إلى الله والطريق إلى تعاليمه. (٧)

وهناك ألفاظ أخرى تحمل طابع الإصلاح الديني يمكن عن طريق دراستها التعرف على آثار الدين في الجاهلية، ومنها البر والتقوي والجزاء والتأله والفجور والاثم، ومن أهم الكلمات ذات المدلول الديني عندهم، الفجور وهو يقابل البر، والاثم وهو الذنب، وعلاقته واضحة بالدين (٨)، يقول " يزيد بن الخذاق العبدي " : (٩)

على مالنا ليقسمن خموسا

تحلل أبيت اللعن من قول آثم

ويقول "سويد بن الخذاق العبدي " في الجزاء : (١٠)

بنا وأخاه غدره وأثاما

جزى الله قابوس بن هند بفعله

ويقول أيضا "المتقّب العبدي" : (١١)

وجزاه الله من عبد كفر

فجزاه الله من ذي نعمة

(٥) المصدر السابق : ٢٧٦

(٦) المفضليات : المفضلية ٦١ ص ٢٥٤

(٧) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ١٩٠ - قسم الدراسة

(٨) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ص ١٣٦ و ١٤٠.

(٩) المفضليات : المفضلية ٧٩ ص ٢٩٨

(١٠) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٣٧٨

(١١) ديوانه : ٧٨

ولكن ورود هذه الألفاظ وغيرها في شعر العبديين، وثقافتهم الجاهلية لم تكن من العمق ووضوح الرؤية بحيث تجعلهم على درجة عالية من القناعة والاطمئنان، وهذا ما دفعهم إلى سرعة الاستجابة لدعوة الاسلام والمبادرة إلى اعتناقه فور علمهم بظهوره، ووقوفهم على حقيقته، حيث وجدوا فيه الحل الأمثل لأمر دينهم ودنياهم. وقد بدأت قصة اسلام عبد القيس بالفادتين اللتين قاموا بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ومكة أو قبلهما بقليل، وقد سجلوا في شعرهم هاتين الحادثتين الهامتين، فما هو ذا "الجارود العبدى" يسطر رحلة اسلامه واسلام قومه أمام الرسول في أبيات يشير فيها إلى المسافات الطويلة الشاقة التي قطعوها بين البحرين ومكة خوفا من يوم الحشر الأعظم وأهواله الشداد، وطلبا للاسلام الذي جاء به رسول الله مبشرا بنور الاله وبرهانه وبره ونعمته، متمنيا من الرسول أن يكون حظهم من ذلك النعيم المقيم جزيلا. حيث يقول : (١٢)

يا نبي الهدى أتتك رجال	قطعت فدفا وآلا
وطوت نحوك الصحاح تهوي	لا تعد الكلال فيك كلالا
وطوتها العتاق تجمح فيها	بكمات كأنجم تتللا
تبتغي دفع بأس يوم عظيم	هائل أوجع القلوب وهالا
ومزارا المحشر الخلق طرا	وفراقا لمن تمادي ضلالا
نحو نور من الاله وبرها	ن وبر ونعمة أن تنالا
خصك الله يابن أمانة الخير	بها اذ أتت سجالا سجالا
فاجعل الحظ منك يا حجة الله	جزيلا لاحظ خلف أحالا

وفي أبيات أخرى يعلن "الجارود" ايمانه ويؤكد حنيفيته، ويخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بأمين الله على كل ما أوحى به اليه من بين جميع الناس، حيث يقول: (١٣)

شهدت رسول الله حقا وسامحت	بنات فؤادي بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عني رسالة	بأنى حنيف حيث كنت من الأرض
و أنت أمين الله في كل وحيه	على الوحي من بين الغضيضة والغض

(١٢) ابن سيد الناس : عيون الأثر : ٢٣٥/٢ - مكتبة المعارف بالرياض

(١٣) الصفدي : الوافي بالوفيات : ٢٦/١١

وهذا شاعر من عبد القيس يذكر دعاء الرسول لهم، ويشير إلى وفادتهم الأولى على النبي، ويعدد بعض رجالهم كـ "صحار العبدى" المشهور ببلاغته، و"أشج" الذي وصفه الرسول بالحلم والأناة، و"زيد بن صوحان" الذي بشر النبي بدخوله الجنة وأن يده تسبقه إليها، فقطعت يده اليسرى في معركة جلولاء. ثم يذكر الشاعر أن الرسول هو شهيدهم يوم الحساب وأن لهم البراءة من عذاب جهنم، فصاروا خير الناس بعد قریش. يقول: (١٤)

منا صحار والأشج كلاهما	حقا بصدق قاله المتكلم
سبقا الوفود إلى النبي فهبلا	بالخير فوق الناجيات الرسم
في عصابة من عبد قيس أوجفوا	طوعا إليه وحدهم لم يكلم
فاذكر بني الجاورد إن محلهم	من عبد قيس في المكان الأعظم
وكفي يزيد حين يذكر فضله	طوبى لذلك من طريق مكرم
ذاك الذي سبقت لطاعة ربه	منه الشمال إلى الجنان الأنعم
فدعا النبي لهم هنالك دعوة	مقبولة بين المقام وزمزم
فمحمد يوم الحساب شهيدنا	ولنا البراءة من عذاب جهنم
فأولاك قومي إن سألت مخبري	في الناس طرا مثلم لم يعلم
إلا قریشا لا أحاشي غيرهم	لهم الفضائل في الكتاب المحكم

ويدعو الأعور الشني إلى أخذ الأمور بالهون وعدم القلق منها أو تهويلها، مستندا في ذلك إلى الايمان المطلق بقضاء الله وقدره، فما شاء الله كائن لا محالة، وما لم يشأ لن يكون أبدا. يقول: (١٥)

و هون عليك فان الأمور	بكف الاله مقاديرها
فليس بأتيك منهيها	ولا قاصر عنك مأمورها

ويسجل "عبد الله بن سلام العبدى" ايمانه بالقضاء والقدر، هذا الايمان الذي يجعله يغدو ويروح في اطمئنان وأمان، فيقول مشيرا إلى رفضه لما يعتقده الجاهليون من تأثير الطوالع على الانسان: (١٦)

(١٤) علي الخطيب: تاريخ من دفن بالعراق من الصحابة: ١٩٠ و ١٩١

(١٥) علي البصري: الحماسة: ٢/٢ - عالم الكتب - بيروت

(١٦) نفسه: ٢٨/٢

إذا غَدوت فلا أغدو على حذر من خيفة الشمس أخشاها ولا زحل
الله يمضي الذي يقضي علي فلم أخش البوائق من ثور ومن حمل

وبيّن "جمال العبدى" أن الحكمة والرشاد في تقوي الله وخشيته، وينظر إلى بعض الآثار الجاهلية نظرة اسلامية حين يدعو إلى عدم التطير عند الاقدام على أمر، يقول: (١٧)

أعزم على تقوي الاله اذا عزمتم تكن رشيدا
لا تصرفنك الطير ان كانت نحوسا أو سعودا

وقد ظهرت في العصر الأموي فرق اسلامية من خوارج كـ "النجدية" أتباع "تجدة الحنفي"، و"الأزارقة" أتباع "نافع بن الأزرق"، و"الحرورية" نسبة إلى حروراء، فرقت الأمة الاسلامية إلى شيع وأحزاب، ويعني "الصلتان العبدى" على المسلمين هذه التفرقة، داعيا إياهم إلى الاعتصام بحبل الاسلام المتين، يقول (١٨)

أري أمة شهرت سيفها وقد زيد في كنها الأصبحي
بنجدية وحرورية وأزرق يدعو إلى أزرق
فملتنا أننا مسلمون على دين صديقنا والنبي

ورغم ما يشتمل عليه مذهب الخوارج من غلو ممقوت، فقد عرف أكثر أصحابه بكثرة عبادتهم، وقوة ترابطهم، وشدة بسالتهم، وفي رثاء "زياد الأعسم" لـ "داود العبدى" وتأيينه له، يشير الشاعر إلى صفاته الدينية من حب للشهادة وزهد في الدنيا، ومداومة على الصوم، يقول لائما نفسه على نسيان الموت : (١٩)

فان يك داود مضي لسبيله فقد كان ذا شوق إلى الله تاليا
وقد كان ذا أهل ومال وغبطة وكان لما يفني من العيش قاليا
كان الفتى داود لم يك فيكم ولم نره يوما من الصوم باليا
أقيم على الدنيا كأنني لا أري زوالا لها وأحسب العيش باقيا

(١٧) مجمع الحكم والأمثال : ٥٠

(١٨) نالينوك تاريخ الآداب العربية: ٢٦٩ دار المعارف بمصر

(١٩) احسان عباس: ديوان شعر الخوارج : ٢٠٧ - دار الشروق - بيروت ١٤٠٢

ولعل " السكوني العبدى " أكثر شعراء عبد القيس دعوة للزهد، إلا أن هذه الدعوة جاءت مشوبة بشيء من التشاؤم. ففي مقطوعة له يناجي نفسه طالبا، منها الكف عن الفرح بطول البقاء، لما يترتب على ذلك من التعرض للمزيد من الأذى والبلاء، مذكرا نفسه بحتمية الموت الذي فيه النجاة من كل ما يؤدي إلى الهلاك والدمار في الآخرة. فيقول (٢٠)

يا نفس لا تفرحي بعيش طال	ففي طوله أذاك
واذكري الموت فهو حتم	ما منه منجى إذا أتاك
لا خير للمرء في حياة	تورده مورد الهلاك

وفي مقطوعة ثانية يتمنى الشاعر لو كان جمادا أو لم يخلق قط إذن لاستراح من هموم الحياة والخوف الدائم من الموت. فيقول : (٢١)

ليتنى اذ خلقت كنت جمادا	فاقد الروح ليس يغذوه قوت
لم تزدني الحياة شيئا سوي	الهم وكرب الممات حتى أموت

وفي مقطوعة ثالثة يعبر عن تدمره من الحياة ويذمها لما تتطوي عليه من قبيح الغدر وكثرة القلق، ومن الآفات التي لا ينفع معها حذر العاقل. يقول : (٢٢)

ألا ان دنيانا لدار ذميمة	قبيحة فعل غير مأمونة الغدر
يحاذر فيها ذو الحجا ويخافها	وأفاتها تأتيه من حيث لا يدري

وهذه الحالة الزهدية جاءت مصحوبة في بعض الأحيان بنظرة سوداوية إلى الناس، فهم في رأيه كثيرون الظلم والغفلة، شديدا حرص على المال، قليلو التورع عن ارتكاب المعاصي والآثام. يقول (٢٣)

تفكر في أمور الناس وانظر	إلى أحوالهم في كل حال
فأنك لن تري الا ظلوما	شديد الحرص في طلب المحال
رأوا أمدا بعيدا فاستاموا	إلى الأيام جهلا والليالي
عجبت من اجتراحهم المعاصي	أما يخشون نقمة ذي الجلال

(٢٠) العماد الأصفهاني : تكملة خريدة القصر : ٨٥٦

(٢١) نفسه

(٢٢) نفسه : ٨٥٧

(٢٣) نفسه ٨٥٨

وتتصاعد هذه النزعة التشاؤمية نحو الناس في أبيات أخرى للشاعر، فالخير منقطع عند الناس، والشر طبع فيهم، وقد كانوا في الجاهلية بغاة، وزادوا بغيا بعد اسلامهم، على الرغم من علمهم بما أعد الله للظالمين من عقوبة، وقد تركوا ما يرغب فيه الدين من احسان وما يحرمه من مظالم، وهو يري أن هؤلاء الناس لو كف بعضهم عن ظلم بعض لما وجد فقير بينهم، ويكرر تذكيرهم بمصير الظالمين بعد البعث، وهو الدخول في النار حيث يقول: (٢٤)

والشر طبع في الوري متقدم	والخير كل الناس عنه محجم
واشتد ذاك البغي لما أسلموا	كانوا بغاة قبل بعث محمد
فيه العقوبة بل عليه أقدموا	لم ينههم اسلامهم عن مآثم
فيه وأموا الظلم وهو محرم	عدلوا عن الاحسان وهو مرغ
أمسي على الدنيا فقير معدم	لو عف بعض الناس عن بعض لما
في البعث مأوي الظالمين جهنم	أتراهم لا يعلمون بأنهم

ويحذر "أبو البحر الخطي" الناس من الانهماك في الدنيا والتهالك عليها، لأن الحياة الأخرى أجدر بالرعاية، فهي ذات عطاء لا ينتهي، يناله التقى الخاشع، والتائب المنيب، أما من يتمادي في غيه وضلاله فليس له الا شديد الحساب ووبيل العقاب. يقول الشاعر متكئاً على صيغة الطلب الارشادية : (٢٥)

يا عبـيد الدنيا رويدا فان	الحظ مما تعطيكموه زهيدا
وحياء من ربكم فكم السيد	يعفو وكم تسىء العبيد
وحذارا من موقف تخرس الأ	لسن فيه فذو البيان بليد
واشتروا هذه النفوس من النـ	ار فما ان على العذاب جليد

ولعل الشاعر العبدى "محمد سعيد الخنيزي" أكثر تفاؤلا من سابقه، فهو يجد في رحمة الله نورا يبدد ظلام الحياة وبابا ينجيه من كدرها وآثامها، فيقول : (٢٦)

(٢٤) نفسه

(٢٥) ديوانه : ٣٥

(٢٦) ديوانه شمس بلا أفق : ١٠١ الدار العالمية للطباعة والنشر ط ١٤٠٦

ان تضيق يا رب دنيا	ي بما فيها رحاب
و تراعت كظلام الليل	ل أفق واكتئاب
انما رحمتك السمح	ء كانت لي باب
قد أطلت فوق الدنيا	ي على ليلى شهاب

وفي قصيدة ثانية عنوانها (الرجعي) يشير إلى معاني الدين السامية، ودعوته الدائمة إلى الألفة والجماعة، وما يحققه لأفراده من نعم وشعور بالأمان. يقول (٢٧)

انما الدين جديد ساطع مثل الشهاب
نظم الأفراد في الجمع على مر الزمان
فهم تحت ظلال في نعيم وأمان

ومبادئ الاسلام الداعية إلى السلام والعدل والمساواة اسعدت الناس في دنياهم وأخراهم، وهم يجدون في الصلاة نورا للقلوب وراحة للنفوس، يقول في قصيدته (في ظلال عكاظ) : (٢٨)

عبد قيس تطل من كوة الأم	س وتزجي الخطي إلى العرفان
فمبادئ الاسلام دنيا سلام	وحياة مخضوضرات الجنان
و دساتيره إلى الناس عدل	وسواء قاصيهم والداني
أسعد الناس في الحياة وفي	الأخري نبي بطاعة الرحمن
فالتها ليل في المآذن أنوار	صلاة للمسلم الانسان

ولد "الخنيزي" قصيدة بعنوان (إلى الشباب) وفيها يبحث مشكلة الضياع والحيرة الفكرية التي مرت بالشباب في الستينات من هذا القرن، نتيجة الأفكار المستوردة التي اجتاحت العالم العربي، والشاعر في هذه القصيدة يشخص المشكلة، ويلخص العلاج، حيث يقول داعياً إلى العودة إلى الدين، ومنذدا بـ "ماركس" زعيم الشيوعية، وعفلق زعيم حزب البعث، اللذين منيت أفكارهما بالخيبة والاحقاق على أرض الواقع : (٢٩)

(٢٧) ديوانه : مدينة الدراري : ١٥١ - مطابع الرضا بالدمام ط ١٤١٤

(٢٨) نفسه : ١١٩

(٢٩) نفسه : ١٠٥

حائر الفكر شريد الخاطر
فهو في موج عتي هادر
وخطي وسط الظلام العاكر
بشعارات بريق ساحر
قد أبادت أمة في حاضر
تبصروا الدين كفجر سافر
نظم الحاضر مثل الغابر
في اشتراكية حزب فاجر

يا شباباً تائها في دربه
ليس يدري أين يرسو شاطئا
في دروب مدلهمات مشي
بين أفكار قباح بطنت
تدعي السلم ولكن سلمها
ارفعوا البرقع عن أبصاركم
هو في المال نظام عادل
أين منه ماركس أو عفلق

وفي قصيدة أخرى بعنوان (إلى قلعة القطيف) يشير الشاعر إلى المدارس المهمة
بعلوم الدين الاسلامي، المستمدة من أضواء الهدى المحمدي. يقول : (٣٠)

كالنهر يجري في الربى الخضراء
أنواره من هذه الأرجاء
مثل الشهاب يضيء في الظلماء
كالجدول الرقراق في الصحراء

منك المدارس نبع فكر دافق
والعلم ينبوع السما تدفقت
وأفاد فيك العلم بحثاً قيماً
قبساته من هدى آل محمد

ويدعو عبد الحميد الخطي ربه أن يظهر قلبه ولسانه من الهواجس المنكرة،
والخواطر الآثمة، وأن يجعل وجدانه عامراً بالايمان والتقوى، ويعصم لسانه من قول الشعر
البعيد عن الحكمة المرشدة إلى نور الله، وحمي الدين القويم : (٣١)

عن خاطر نكر وعن بهتان
اضرم به نار الهوى الروحاني
واعمره بالتقوى وبالايمان
تهدي المضل إلى حمى الرحمن

يا رب أنزه خاطري ولساني
و امسح فؤادي عن غرام آثم
و اجعل فؤادي يا الهي معبدا
و احم القريض عليّ الا حكمة

(٣٠) المصدر السابق : ٤٩

(٣١) سعود الفرج : شعراء مبدعون : ٧٧

الفصل الثالث

خصائص حكمة عبد القبس

أولا

القطعة الحكيمة

لعلنا لا نبالغ اذا فلنا أن أكثر شعراء عبد القيس استعملوا حكمتهم في شكل مقطعات، وبخاصة ما كان قديما من هذه الحكم، وما انتجوه في العصر الجاهلي، والاسلامي، والأموي، وبداية العصر العباسي. ويمكن تعليل مجيء الحكمة بكثرة في شكل مقطعه، بأن أكثر حكمتهم كانت ثمرة التجربة الذاتية، ويتسم عرضهم لخلاصة تجاربهم الذاتية بالايجاز الشديد. فكل حكمة مستنبطة من تجاربهم يعرضها الشاعر في أقل عدد من الكلمات، وبأكبر قدر من التركيز، امعانا في الوصول إلى أعلى قدر من التأثير الوجداني، بأقل عدد من الحروف والكلمات. (١)

فالحكمة عندهم هي خلاصة تجربة انسانية تصاغ في الشعر بشكل خاص يتسم بالايجاز الشديد، مع دقة التعبير وشموله لمضمون التجربة، وهي أشبه بسهام تصوب بدقة إلى أهدافها يطلقها الشاعر من جعبته التي لا تنفذ سهامها (٢)، كما نري في قول جمال العبدى يدعو إلى مقابلة الأمور الصعبة المخيفة بالقوة والشدة، إلى أن تلين وتتيسر، ويستمد دعوته من خلال تجربته الناجحة يقول : (٣)

إذا خفت في أمر عليك صعوبة	فأصعب به حتى تذل مراكبه
وامر على مكروهه قد ركبته	فكان بحمد الله خيرا عواقبه

وقد حاول بعض الدارسين أن يربط بين المقطوعة ودرجة الانفعال، وبين المقطوعة والغرض التي قيلت فيه، فالشعر اذا قيل وقت الانفعال النفسي فإنه يكون في صورة أبيات قصيرة، وعندما يتناول خبرا أو يروي حادثة مختصرة أو يقول حكمة فإنه يكون أقرب إلى الايجاز والقصر، وعندما يريد أن يبرهن على قدرته الشعرية يعتمد إلى التنقيح والاطالة. (٤)

(١) محمد عويس : الحكمة في الشعر العربي ٣٦/١ - مكتبة الطليعة بأسبوط

(٢) نفسه : ٣٢

(٣) البحترى : الحماسة : ٤٠

(٤) أنيس ابراهيم : موسيقى الشعر : ١٧٧

ومن الاحتمالات القائمة في أمر هذه المقطوعات كذلك عدم وجود شعر غزلي عند العبديين باستثناء غزل المثقّب، ومعروف أن الغزل كان يحتل مقدمة القصيدة الجاهلية التي كانت تستغرق جزءا كبيرا منها في حالات كثيرة وتنقلها من شكل المقطوعة إلى صورة القصيدة .

ومن تلك الاحتمالات أيضا في المقطوعة الحكيمة حياة فرسان الحرب في عبد القيس فسرعة القتال تستدعي سرعة القول وإيصال المعلومات بأوجز عبارة وأقصر طريق، فالجمال العبدى يتحدث عن شجاعته وقومه أمام أعدائه فيعلن أن السيف والرمح صديقان له يشهدان بطولاته ويعينانه على صولاته الحربية، وأعداؤه لابد مهزومون إذا سدد طعنه رمحه إلى صدورهم وضربة سيفه في رقابهم. (٥)

السيف والرمح لي خدنان قد شهدا
اني شجاع فما داناني الأسد
إذا شددت على قوم هزمتهم
ببأس ذكري فلا يبق ليهم مدد

والصبر والشجاعة توأمان لا ينفصلان، وإذا رزق المرء بهما، وصارا خلقا فيه، لم يزعجه شيء ووفر لنفسه العزة والكرامة، يقول جمال العبدى أيضا : (٦)

لا النائبات لهذا الدهر تقلقني
والصبر مني على ما نابني خلق
ان الكريم صبور كيف انصرفت
به الصروف اذا ما اخلق الفرق

ويتبع هذا الاحتمال أن بعضا من حكمهم كان مرتجلا، وما كان وليد لحظته ومناسبته حريا بأن يكون قصيرا، فهذا أبو هفان - مثلا - يستقبله في الطريق أحمد بن ثوابه، وكان الشاعر على حمار، فيقول له أحمد يا أبا هفان تركب حمير الكرا، فيجبه أبو هفان بهذه المقطوعة القصيرة المؤلفة من بيتين : (٧)

ركبت حمير الكرا
لأن ذوي المكرمات
لقلة من يُعترى
قد غُيبوا في الثرى

(٥) عبد الحميد العيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي ٢١٦، رسالة ماجستير بآداب القاهرة

(٦) البحتري، الحماسة : ١٢٨

(٧) أبو هفان : أخبار أبي نواس، تحقيق عبد الستار فراج، مقدمة المحقق ص ١١ - دار مصر للطباعة

وقد أضافت المرأة إلى هذا الرصيد عددا من المقطوعات، والمعروف أن المرأة عموما ليست من أصحاب المطولات الشعرية. وقد وردت بعض حكمهم في صورة وصايا خلقية وتوجيهات تربوية، ومن شأنها أن تكون واضحة ومركزة تركيزا شديدا، على الرغم من أنها تصاغ في اطار نصائح فردية الا أنها تأخذ طابع التعبير عن الجماعة، لأنها تجارب تعالج أمورا عامة. ^(٨) فهذه امرأة من صباح توصي ابنتها ليلة زواجها بهذه الوصية الموجزة. ^(٩)

لا تهجري في القول للبعل ولا	تغريه بالشر اذا ما أقبل
فأول الشر يكون جلا	محترقا ثم يكون معضلا
ولا تبثن عليه نجلا	فتظهري من أمره ما جهلا

ويوصي نفيل بن مره ابنه بحفظ الأمانة بلهجة تدل على اهتمام شديد بها واحساس قوي بعظمها. ^(٩)

بني استمع مني هديت وصاتيا	ولا تك عنها مدة الدهر ساهيا
اذا ما امرو أسدي اليك أمانة	فأوف بها ان مت سميت وافيا

ثم ان موضوع هذه المقطوعات لم تصاغ غالبا في الموضوعات الموروثة من مدح وهجاء وغيرهما، تلك الموضوعات التي استقرت صورها، وتكاملت أجزاؤها، وتمثلت تقاليدها، وانما صاغوه في موضوعات ذاتية، ألصق اتصالا بحياتهم، وأدل تعبيراً عن غاياتهم. ^(١٠)

ومن تلك الأسباب أن طائفة من حكمهم صدرت عن شعراء غير محترفين فيهم الفقهاء، والمحدثون واللغويون، وغيرهم ممن لم يكن الشعر وسيلتهم التعبيرية الأولى، فعلى سبيل المثال كان أحمد بن المعذل فقيها كبيرا الا أنه كان يمارس النظم على سبيل التظرف أو التلطف أو التخفف، فرويت له عدة مقطعات حكميه صغيره وشعر في أخيه عبد الصمد الذي لم تكن صلته به على ما يرام. ومما روي له من ذلك قوله ^(١١)

(٨) الوشاء: الفاضل في صفة الألب الكامل ٩٠/٢ منشورات وزارة الاعلام العراقية

(٩) البحترى ك الحماسة ٧٤

(١٠) حسين عطوان: شعر الصعاليك في العصر الأموي ١٥١ - دار المعارف مصر.

(١١) الصفدي: الوافي بالوفيات: ١٨٥ / ٨.

ظنه أن قد هجاني واجتهد
ما درى أني أخو عبد الصمد

قال لي أنت أخو الكلب وفي
أحمد الله تعالى أنه

ومن أسباب غلبة المقطوعات في الموروث الحكمي لشعر عبد القيس، ضياع قسم كبير منه، يدل على ذلك ما جاء في ديوان الخالدين الذي جمعه د. سامي الدهان، ففيه إشارة إلى ذكر قصيدة لأبي بكر الخالدي لم يحصل المحقق إلا على أربعة أبيات منها. وهي التي أولها :

أيدت ملك معز دولة هاشم فزمانه عرس من الأعراس

ومما يتصل بذلك أن بعض المصادر لم تهتم برواية القصيدة بكاملها، بل اقتصرت على قطعة منها، ومن أمثلة ذلك أبيات للصارم الديكشي العبدي رواها الهمام العبدي في خريدة القصر، جاء فيها قوله ساخرا من شاربِي الخمر : (١٢)

لا تبذل الخمرة للأحمق	فتظهر الحمق به ان سقي
لا يحمل الخمر وسطواتها	الا غلام شائب المفرق
مكبرك الذقن عريض القفا	ذو هامة صلعاء كالمطرق
ابن ثمانين فما فوقها	محذك لا يشتكى ما لقي
إذا رأي الكف تواطي لها	تواطىء البر الزكي التقى

قال : وهي طويلة مضحكة فيها وصايا وأمثال

وعند ترجمة المرزباني للصلتان العبدي، يقول : وله القصيدة التي يوصي بها ابنه، وهي طويلة حسنة كثيرة الأمثال منها : (١٣)

ألم تر لقمان أوصي ابنه	وأوصيت عمرا ونعم الموصي
أشباب الصغير وأفني الكبير	كر الغداة ومر العشي

(١٢) العماد الأصفهاني : الخريدة : ٧٣٥/٤ و ٧٣٦
(١٣) معجم الشعراء : ٢٢٩ - دار الكتب العلمية - بيروت

أتي بعد ذلك يوم فتني
وحاجة من عاش لا تنقضي
وتبقي له حاجة ما بقي

إذا ليلة هرات يومها
نروح ونغدوا حاجتنا
تموت مع المرء حاجاته

وأطول ما وقفنا عليه من هذه القصيدة ما نجده في كتاب الشعر والشعراء، حيث بلغت في هذا الكتاب اثني عشر بيتاً، بعضها أضافه المحقق من كتابي خزانة الأدب ومعاهد التنقيص. (١٤)

ولا شك في أن نظام المقطعة ساعد في شيوع الحكمة، لقرب مأخذها وسهولة تناولها ويسر نظمها. وقد اختلفت مقطعاتهم في مضمونها كما اختلفت في شكلها، فمن حيث المضمون فقد شملت كل خواطرهم، وخطراتهم الفلسفية إلا أن فكرة الحياة والموت احتلت حيزاً أكبر من اهتمامهم ومساحة أوسع من تفكيرهم، ولا سيما شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، وهم الذين عاشوا في البحرين بحدودها القديمة، وهذه البيئة كانت معروفة منذ القدم بخصبها وثرواتها الزراعية والبحرية والتجارية. ولعل في هذا العامل البيئي ما يفسر الوقفات الطويلة لهؤلاء الشعراء عند مسألة الموت، فإن من شأن البيئة الخصبة الثرية أن تزرع في نفوس سكانها التعلق الشديد بالحياة وحب البقاء للتمتع بنعيم الحياة والاستمتاع بخيرات البيئة، فليس كثرة الحديث عن الموت كرها منهم للحياة ورغبة في التخلص منها، بل على العكس من ذلك، فإن هاجس القلق من الموت والخوف من نزوله بهم هو الذي يدفعهم إلى ذكره وتصوير سلطانه القاهر لكل الأحياء، يقول أحدهم: (١٥)

على كل ما تحوي البلاد من الأنس
لكنك جديراً أن أخاف على نفسي

ألم تر أن الدهر يأتي بصرفه
ولو لم يمت ممن نري غير واحد

ثم أن حياتهم الهائلة الرخية أتاحت لهم فرصة أكبر للتأمل والنظر في هذه القضية بعين التبصر والاعتبار للحد من غطرسة المال وسرف الترف، وهذا ماثل فيما مر بنا من أشعارهم، رأيناها في قول أحدهم :

(١٤) ابن قتيبة : ٥٠٠/١ - دار المعارف - مصر

(١٥) البحتري : الحماسة : ١٠٠

لا تأمن فسادا بعد اصلاح

يا أيها المحتفي بالدهر يمدحه

ويقول الآخر :

فدعه ووكل حاله والليالي

إذا أعجبتك الدهر حال من أمري

والفساد والصلاح مصطلحان يقابلان الفناء والدوام، ويدلان على التطور العقلي لديهم. فهم اذن حين يذكرون الموت فانما يذكرونه على سبيل العظة، فههدفهم من ذلك أخلاقي، وهو عدم البطر والكبر والغفلة، ولا يتعارض بحال مع حبهم للحياة. فحتي الذين شاخوا منهم لم نسمع منهم ما يشير إلى ضيقهم بالحياة وتأففهم منها رغم علو سنهم وشيوختهم، فعمرو بن ثعلبة العبدى عاش مائتي سنة، وقال في ذلك حين كبر وهان على أهله ما يفيد دفاعه عن حياته في هذه المرحلة المتأخرة من العمر. يقول : (١٦)

شيبى ففيتها جنف وازورار

فليس بالشيب على المرء عار

تهزأت عرسى واستكرت

لا تكثري هزء ولا تعجبي

وسويد بن خذاق العبدى عاش أيضا مائتي عام، ومع ذلك لم يبد تأففه من الحياة مع أنه بلغ من الكبر عتيا. ورمى الدهر كل عضو منه بسهم على حد قوله : (١٧)

رمى الدهر منى كل عضو بأزعرا

فتاة بني من كان أزمان تبعا

كبرت وطال العمر حتى كأنما

غنمت بعيري شيخ من سئلت به

وقد تحدثوا في مقطعاتهم عن الدهر، وهو عند القسم الأكبر ممن كان يقول به العرب هو القدر، وهو لا يتعارض مع ايمان هذه الجماعة سواء كانوا من أهل الكتاب أم من المشركين، وفهم، الدهر على هذا النحو شائع في الشعر الجاهلي، فالدهر هو الزمان المعروف (١٨). ويكاد أسامة بن ربيعة يعرفه تعريفا دقيقا. يقول : (١٩)

(١٦) السجستاني : المعمرون والوصايا ٥٤٢ ، عيسى البابي الحلبي

(١٧) نفسه : ٤٠

(١٨) مصطفى عبد الطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ٨٩

(١٩) البحتري : الحماسة : ٩٤

الدهر يومان ليل لا خفاء به وذو حجل تري أقرانه جددا
لا يبليان ويبلي ما سواهما من قبلنا أفنيا الأموال والولدا

وهم يرون أن هذه القوة الهائلة للدهر آتية من امتداده واستمراره، فهم لا يرون له حدودا. ولا يتصورون مثل هذه الحدود، وهم يذهبون في معني امتداد الدهر، إلى غير نهاية حين يذكرون تقسيمات الزمن، ويعبرون عن ذلك بعبارات موجزة^(٢٠) يقول أحدهم: (٢١)

و من حولة الأيام والدهر أننا لنا غنم مقصورة ولنا بقر

ولهذا الرأي في الدهر تظلموا منه، وهم ينسبون إلى الدهر عامة ما يكرهون من فرقة أو فقر أو موت، يقول توبة بن المضرس : (٢٢)

رأت أخوتي بعد اختلاف تفرقوا فلم يبق إلا واحد منهم شفر
تقسّمهم ريب المنون كأنما على الدهر فيهم أن يفرقهم نذر

ويبدو أن الشاعر العبدى الجاهلي أصبح من سواه نظرة إلى الأجل، وحين نقارن بين قول زهير بن أبي سلمى :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
و بين قول الشاعر العبدى : (٢٣)

لو كنت في أعلى عماية يافعا مع العصم دوني صخرها وجنودها
اذن لأتّني حيث كنت منيتي يحث بها هاد إلى بقودها

نجد زهيراً يجعل المنية ناقية عمياء تميت من تخططه بشكل عشوائي دون قصد أو تحديد، بينما الآخر يجعل لناقة المنية قائداً يوجهها إلى من تريد أن تخططه، وهذا التصور أقرب إلى التفكير الديني الصحيح .

(٢٠) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي: ٤٩ و ٩٥.

(٢١) أو عبيده : مجاز القرآن ٣٣/١

(٢٢) أسامة بن منقذ : المنازل والديار : ٤٥١

(٢٣) البحترى : الحماسة : ١٠٠

يقول د. المعيني : (وشعراء عبد القيس لم يتعمقوا في نظرتهم إلى الحياة والموت ولم يفلسوا لنا آراءهم وعقائدهم، وإنما اكتفوا بذكر الموت والحديث عن الدهر) ^(٢٤). ولكن هذه النظرة إلى الموت لدى الشعراء الجاهليين لم تكن ساذجة ولا وليدة الاستجابة الغريزية بقول د. عبد الرحمن بدوي (والشعور بمشكلة الموت لا يتحقق لدى الإنسان إلا عندما يشعر بشخصيته وذاته المستقلة عن الآخرين شعورا قويا، طالما أن الموت هو قضية شخصية صرفه بالنسبة له من حيث، أنيته ولهذا نجد أنه كلما كان الشعور بالشخصية أقوى وأرجح كان الإنسان أقدر على ادراك الموت، وبالتالي على أن يكون الموت عنده مشكلة، ولهذا أيضا لا يمكن أن يكون مشكلة بالنسبة إلى من يكون ضعيف الشعور بالشخصية، والنتيجة لهذا هي أن البدائي والساذج نظرا إلى ضعف شعورهما بالشخصية لا يمكن أن يصير الموت بالنسبة لهما مشكلة، واللحظة التي يبدأ فيها الموت بأن يكون مشكلة بالنسبة إلى إنسان ما، هي اللحظة التي تؤذن بأن هذا الإنسان قد بلغ درجة قوية من الشعور بالشخصية. وبالتالي قد بدأ يتحضر. ولهذا نجد أن التفكير في الموت يقترب به دائما ميلاد حضارة جديدة، فإن ما يصدق على روح الأفراد يصدق كذلك على روح الحضارات). ^(٢٥)

ومن الحق أن هذه الأفكار لم تأخذ عند الشاعر الجاهلي شكل المعتقد المؤسس على ادراك حقيقي لمعنى الحياة، وما بعد الحياة من حساب وعقاب، فالشاعر الجاهلي لم ينفذ في أغلب الأحوال إلى هذه الحقيقة، ولم يكشف في معظم شعره عن إيمان بما بعد الموت من بعث ونشور وحساب وعقاب، فهذا لم يظهر بشكل صريح ومباشر عند الشاعر الجاهلي، لسبب بسيط وهو أنه لم يكن لديه معتقد ديني ينير له طريق الهداية والفلاح بمقتضى شريعة سماوية منزلة تنظم له أفكاره ومشاعره الدينية بشكل متكامل يوضح له حقيقة الخلق والخالق عز وجل، ومن ثم جاءت أفكاره عن الحياة الدنيا منطلقة من وحي تجاربه وتجارب قومه الذاتية ^(٢٦). وإذا كانت مسألة الحياة والموت قد أخذت من شعراء عبد القيس الجاهليين جل تفكيرهم، فليس معنى ذلك أنهم لم يتعرضوا في مقطعاتهم لأمر آخر. فقد شغلت مسألة الأخلاق والسلوك جانبا من اهتمامهم، فعبروا عنها في شعرهم تعبيراً يدل على قدر كبير من التهذيب والتحضر، فهذا عمرو بن أسوأ العبدي يتحدث عن آداب الرفقة وأخلاقيات الصحبة، فهو وفي لصديقه لا ينساه أبد الدهر ولا ينسي واجباته نحوه وهو يبهره بلا من ويكرم رفقته، مما يشير إلى اعلائه لمكانة الصديق وتأدبه بآداب التعامل. يقول: ^(٢٧)

(٢٤) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي ١٩١/١

(٢٥) انظر لعبد الرحمن بدوي : الموت والعقوبة ص ٧، ٨

(٢٦) محمد عويس : الحكمة في الشعر العربي ٥٠/١

(٢٧) البحتري : الحماسة : ٦٧

وما أنا بالناسي الخليل ولا الذي تغير إن طال الزمان خلائقه
ولست بمنان على ما أوده ببر ولا مستخدم من أرافقه

ولا غرو أن نجد لشاعر عبدي مثل هذا التقدير للصدقة، فقد قام توبة بن المضرس
العبدي بقتل خاله ثارا لصديقه معتذرا لأمه بقوله : (٢٨)

بكت جزعا أمي رميلة أن رأيت دما من أخيها في المهند باقيا
فقلت لها لا تجزعي ان طارقا خليلي الذي كان الخليل المصافيا

وأغلب مواعظ شعراء الجاهلية تستند إلى نظرة جبرية متشائمة، يفسرون بها أغلب
مشاكلهم، وظواهر الحياة التي تستوقفهم. ونجد في شعر عبد القيس الجاهلي أثرا لهذه
النظرة، فهم أحيانا يربطون ربطا كاملا بين حالة الانسان المادية وبين الحظ الذي وجد معه
من غير حول له ولا قوة. يقول سويد بن خدّاق : (٢٩)

وليس الغني والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاط قسمت وجود

وبهذه الجبرية عللوا اختلاف الأفراد في أخلاقهم، فمنهم من يزعم أنها طبيعة راسخة لا
يمكن أن تتبدل، يقول الممزق العبدي (٣٠)

ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه لنيم ولن يستطيعه متكرم
كما أن ماء المزن ما ذيق سائغ زلال وماء البحر يلفظه الفم

ومنهم من يردها إلى الارث والقسمة. يقول الأعور الشني : (٣١)

وجدت أبي قد أورثه أبوه خلالا قد تعد من المعالي

غير أن الشاعر العبدي لم ينظر إلى الظلم الذي ينزله به سواه على أنه قدر محتوم،
ولذلك نراه يرفض هذا الظلم ولا يقر به. يقول مسلم بن عياض : (٣٢)

(٢٨) عز الدين السيد : التكرير بين المثير والتأثير ١٦٩ - دار الطباعة المحمدية بالأزهر

(٢٩) المعيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ٦٠ / ٢

(٣٠) نفسه : ٣٣ / ٢

(٣١) القالي : الأمالي ٢٠٨ / ٢ - دار الفكر - بيروت

(٣٢) ابن حجر : الإصابة ٤١٧ / ١١

إذا ما ظلمنا لا نفر لظالما

بني عمنّا لا تظلمونا فإننا

وقد جاء الخير والشر بمعناهما الأخلاقي في الشعر الجاهلي، وهذا المعني تابع للمعني المادي، فالخير بالمعني الخلقي هو صنع ما ينفع الناس ويسعدهم، فالقول بأن شيئا خيرا من آخر يعني وجود مقياس أو مثل أعلي يرجع اليه القائل^(٣٣)، يقول المتنبي العبدى : (٣٤)

ولا عند خير ان رجاه بواحد

و ليس أخونا عند شر يخافه

والشاعر العبدى رغم قربيه من الحياة المدنية منذ الجاهلية الا أن منطق العصر الجاهلي الموغل في الصراحة ظل يسيطر عليه، فهو لا يعرف المجاملة والنفاق كما عرفها في العصور التالية، فان أحب أظهر حبه وان كره أعلن كراهيته، ويقدم المتنبي العبدى مثلا لهذا في هذه الصورة الحسية الحادة للعداء العميق المتبادل بينه وبين ابي رباح، فلو ذبحا على حجر واحد لافترقت دماؤهما، ولم يختلط بعضهما ببعض من شدة الشنان، يقول مشيرا إلى البادى منهما في هذا العداء السافر : (٣٥)

على طول التهاجر منذ حين

لعمرك انني وأبا رباح

يراني دونه وأراه دوني

ليبغضني وأبغضه وأيضا

جرى الدميان بالخبر اليقين

فلو أنا على حجر ذبحنا

ويزعم بعض العرب أن دم المتباغضين لا يمتزج، وأن دم الجبان يجمد، ودم الشجاع

يسيل . (*)

(٣٣) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٠٥

(٣٤) ديوانه : ٢٦٨

(٣٥) ديوانه : ٢٨١، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ١٨٣/١

(*) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٣٨١/١ - تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف بمصر.

ولعل القول بأن العربي الجاهلي كان مواطنا في قبيلته أكثر من مواطنته في بلده صحيح إلى حد كبير، والذي يبدو أن أبا رباح هذا لم يكن من نفس قبيلة المتقرب المعروف بحبه للمسالمة والاصلاح، ولعل العداء بينهما يرتبط بأمر غير شخصي، مع أن الشاعر لم يكن البادي بهذه العداوة، كما يتضح من أبياته. على أن الشاعر الجاهلي مهما كان عنيفا في عواطفه، فإنه كان يحاول دائما اخضاع انفعالاته لشعوره القبلي، ويحرص على كسب كل فرد في القبيلة، وإن لم يكن في دخيلته راضيا عن أخلاقه، لحاجة القبيلة إلى تراص الجميع أمام العدو الأجنبي المشترك، يقول النعمان بن خلف : (٣٦)

و اني لأستبقي امرؤ السوءدة لعدوة عريض من القوم جانب
أخاف كلاب الأبعدين وهرشها اذا لم تهارشها كلاب الأقارب

يقول د. مصطفى عبد اللطيف : وبعد فإن ما وقفنا عليه من أفكار الجاهلي في شئون حياته لا يصور فلسفة ناضجة تفسر هذه الحياة له، ولكنه لا يصور الجاهلي ساذجا يعيش بالغريزة والاستجابة المباشرة للظروف والأحداث، فقد رأينا في الشعر الجاهلي أصداً متنوعة للضمير الديني. ورأينا فيه موقفا من الحياة يرسم لها خطة لاهية أو خلقية مثالية، ورأينا فيه آراء في الناس، وتأملات في الأخلاق وتفكيراً في القدر، ومفاهيم عالية من العدالة والحق والخير. (٣٧)

وقد تعددت الموضوعات التي طرقها شعراء عبد القيس الإسلاميون في مقطعاتهم وعكست جوانب من شخصياتهم الفكرية والخلقية والنفسية. ويتمدح ابن المقرب العيوني بخلق السخاء والتعفف وعزة النفس. يقول (*)

أثرى زمانا فلم يذممه سائله وقل ما لا فلم يضرع ولم يسل

(٣٦) البحتري : الحماسة : ٢٤٩
(٣٧) الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ٢٨١
(*) ديوانه : ٣٨٠

ويكشف الهام العبدى عن ثلاث من مناقبه الرفيعة، كالحياء والأمانة والوفاء، فهو غضيض البصر عن العورات، كتوم للأسرار، دائم المحافظة على حقوق الصداقة ورعاية عهودها. يقول :

شيمتي أن أغض طرفي في الدار إذا ما دخلتها لصديق
وأصون الحديث أودعه صوني وسري ولا أخون رفيقي

وحثوا في كثير من مقطعاتهم على الحزم والاقدام، ومن ذلك دعوة الصلتان العبدى إلى مواجهة الأمور بالحزم والقوة، ويغلو في ذلك حين يدعو إلى الظلم في سبيل الانتقام، وهو في هذا الغلو يصدر عن خلق جاهلي على الرغم من أنه يعيش في العصر الاسلامي. يقول: (٣٨)

اغش الأمور بحزمها حتى تكون الأحزما
واظلم فاست بمدرك الأوتار حتى تظلما

وتناول بعضها أدب العلاقة وتأكيد التمسك بالحبيب، والبقاء على وصاله والثبات على مودته، يقول أبو بكر الخالدي : (٣٩)

لا تحسبوا أنني باغ بكم بدلا ولو تمكنت من صبري ومن جلدي
قلبي رقيب على قلبي لكم أبدا والعين عين عليه آخر الأبد

وجاء بعض منها متضمنا شيئا من الخطرات الفلسفية. يقول أبو بكر الخالدي، يصور المفارقة العجيبة في حاله مع الحياة (٤٠)

يا خليلي من عذيري من الدنيا ومن جورها عليّ وصبري
عجبا أنني أنا فس في عمران أيامها وتخرّب عمري

(٣٨) القفطي : لنباه الرواه ٢٤٠/٢ - دار الفكر العربي بالقاهرة

(٣٩) مجمع الحكم والأمثال : ١٠١

(٤٠) ديوان الخالدين : ٦١

وتناول بعضهم اثر الكلمة في تحقيق النجاح، ودلالة اللسان على عقل صاحبه، يقول
الأعور الشني : (٤١)

ألم تري مفتاح الأمور لسانه	إذا هو أبدى ما يقول من الفم
و كائن ترى من صاحب لك معجب	زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فواده	فلم يبق الا صورته اللحم والدم

كما نهى بعضهم عن التسري بالاماء، لما في ذلك من تأثير سلبي على الانجاب، يقول
عمر بن مبرده : (٤٢)

نهيتكم أن تحملوا هجاءكم	على خيلكم يوم الرهان فتدركوا
فتفتر كفاه ويسقط سوطه	وتخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرءان هذا بن حرة	وهذا ابن أخري ظهرها متشرك
وأدركنه خالاته فاخترلنه	إلا ان عرق السوء لا بد يدرك

وهكذا نجد أن المقطعة الحكيمة شملت العديد من المعاني والموضوعات، وأن كل واحدة منها اتسمت بالوحدة الموضوعية والعضوية. أما المقطعات الطويلة التي تقترب من القصائد القصار في عدد أبياتها فبعضها احتفظ بالوحدة الموضوعية والعضوية، وبعضها الآخر لم يحتفظ بذلك تماما. كما نرى في مقطوعة الشاعر العباسي عبد الصمد بن المعذل التي استهلها بمخاطبة امرأته طالبا منها أن تكف عن لومه على انفاق ماله في المكارم، محاولا اقناعها وتوجيهها إلى أن ما يقابل به من شكر المعنفين وثنائهم هو أثمن وأفضل الأثمان، وحين يكون هذا الثناء حديث الناس، يكسب أكثر مما بذل، ولكي يكون عطاؤه محمودا فإنه لا يكدره بالمن، وما يقدمه في سبيل الخير لا يضيع، وربما لو لم يجد به لذهب سدي. وهو لا يقيم الا في البلد الذي يطمئن فيه. فاذا فقد ذلك، انتقل إلى غيره، فكل بلد يرتاح فيه يعتبره وطنًا له، يقول : (٤٣)

(٤١) الجاحظ : البيان والتبيين ١٠/١٧٠ مكتبة الخانجي بالقاهرة

(٤٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦/١٣٠

(٤٣) ديوانه : ١٧٦

أبع جدتي بالمنن	أعاذلتي أقصري
ء حمدا فنعم الثمن	ذريني أجد بالثرا
فكوني حديثا حسن	أري الناس أحوثه
وما قد مضي لم يكن	كأن لم يزل ما أتي
فكل بلاد وطن	إذا وطن رابني

أما لمقطوعة من حيث الشكل فيتوقف معرفة طولها على معرفة الحد الأدنى للقصيدة، فبعضهم يراه سبعة أبيات وبعضهم عشرة، وبعضهم يراه أكثر من ذلك وقد أخذنا بالرأي الوسط، فاعتبرنا القصيدة، ما بدأت بعشرة أبيات فصاعدا، وما دون ذلك فيسمى قطعة، وقد بلغت مقطوعات عبد القيس تسعين مقطوعة أو أكثر، تراوح عدد أبيات كل منها ما بين بيتين وثمانية أبيات، إلا أن أغلبها جاء في بيتين أو ثلاثة أبيات .

وقد أنتت مقطعات شعراء عبد القيس الحكيمة والتأملية في أشكال مختلفة، فأكثرها جاء في صورة الموعظة، متخذة من ذلك عدة ألوان، بعضها رأيناه في لون التأسّي والاعتبار، كما في الأبيات التي منها :

يا أيها المحتفي بالدهر يمدحه	لا تأمنن فسادا بعد اصلاح
كم كان عند بني النعمان من جنن	ومن سيوف مباتير وأرماح

وبعضها رأيناه في زي الوصية الخاصة، كوصية المرأة الصباحية لابنتها التي أولها :

لا تهجري في القول للبلع ولا	تغريه بالشر اذا ما أقبلا
-----------------------------	--------------------------

ورأينا بعضا منها في شكل النصح العام، كما في أبيات أبي بكر الخالدي التي أولها :

ان خانك الدهر فكن عائذا	بالبيد والظلماء والشمس
-------------------------	------------------------

وبعضها رأيناه في صورة مقدمات قصائد الفروسية، كأبيات الصلتان العبدى التي أولها:

قالت أمامه ما تبقى دراهما وما بنا سرف فيها ولا خرق

ومنها ما وجدناه في شكل معاتبة، كما في قول مسلم بن عياض الذي أوله :

بني عمنا لا تظلمونا فاننا اذا ما ظلمنا لا نقر لظالما

ونجد بعضها في صورة شكوي، كقول سعيد الخنيزي يشكو في شيخوخته ماضيه بأماله وتطلعاته وآلامه ومآسيه، يقول : (٤٤)

هذي السنون تكدست	نحوي كأوراق الشجر
يبست بها الأحلا	م وانداحت مآسي للبشر
رسمت على صفحاتها	أحلام شيخ في الصغر
ومضت شريطا تعرض الـ	ماضي بالوواح الذكر

وورد بعضها في شكل زهادة، كقول حرب بن المنذر بن الجارود، معبرا عن اتجاهه الأخرى القائم على القناعة بالحصول على ما يؤمن الحاجات الضرورية لحياته الدنيوية، والتزود للآخرة بعمل ما يرضي الله ورسوله. يقول (٤٥)

فحسبي من الدنيا كفاف يقيمني	وأثواب كتان أزور بها القبرا
وحبي ذوي قربي النبي محمدا	فما سالنا الا المودة في القربى

وجاء بعضها في صورة دعاء، كقول سعيد الخنيزي، مبينا أثر الايمان في تحقيق الراحة (٤٦) :

ان تضق يا رب دنيا	ى بما فيها رحاب
وتراعت كظلام اللبـ	ل أفق واكتئاب
انما رحمتك السما	ء كانت لي باب
قد أطلت فوق دنيا	ي على ليلى شهاب

(٤٤) ديوانه : شمس بلا أفق : ١٣٥

(٤٥) الجاحظ : البيان والتبيين : ٣/٣٦٥

(٤٦) ديوانه (شمس بلا أفق) : ١٠١

وربما أتى شيء منها في صورة فخر، كما في قول محمد سعيد الخنيزي، أيضا يفخر بدوره في الحياة كشاعر يمسح دموع المحزونين، بشعره الداعي إلى التفاؤل والصمود. يقول : (٤٧)

أنا يا مي بلبل قد تغنى	بأغاني الحياة والأوطان
يرسل اللحن والليالي عجاف	فيذيب الآلام في الأجفان
و يعيد الحياة روضة حب	صورة للحياة في نيسان

وقد تبدو المقطعة في شكل الاعتذار عن سوء الحال، كما في قول أبي هفان : (٤٨)

لعمري لئن بيعت في دار غربة	ثيابي لما أعوزتني المآكل
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه	له حلية من نفسه وهو عاطل

وربما وردت في سياق الهجاء، كما في قول زياد الأعجم يهجو يزيد بن حبناء حين حذره من الموت ونسي أن نفسه أحوج ما تكون إلى ذلك التحذير، وان الأولي به أن يستقيم ويتمسك بحبل الدين : (٤٩)

يحذرنني الموت ابن حبناء والفتى	إلى الموت يغدو وجاهدا ويروح
وكل امرئ لابد للموت صائر	وان عاش دهرًا في الزمان يسيح
فقل ليزيد يا ابن حبناء لا تعظ	أخاك وعظ نفسا فأنت جنوح
تركت التقى والدين دين محمد	لأهل التقى والمسلمين يلوح

يقول أحد الدارسين معللا شيوع المقطعات في الشعر العربي القديم : يخيل إلي أن الزمن الذي مر على الشعراء مكتفين بالمقطوعات أطول من الفترة التي مرت بهم في ظلال القصيد، وأن أكثر شعراء العرب في الجاهلية كانوا من ذوي المقطعات لا القصائد، لما يأتي:

(٤٧) ديوانه مدينة الداراي : ١٥٥
(٤٨) الزمخشري : ربيع الأبرار ٢٥/٤ - وزارة الأوقاف العراقية
(٤٩) ديوانه : ٨١

- ١ - أن السهل أقدم من الصعب، والمقطوعات أسهل، لأنها أقل أبياتا.
- ٢ - أن المقطوعات أدعى إلى الحفظ، ومن الفخر للشاعر أن يحفظ شعره أكبر عدد من الناس.
- ٣ - ولأن من طبع العرب الإيجاز، شأن بقية الساميين لذا خلا شعرهم من الشعر القصصي أو شعر الملاحم، ومن الشعر التمثيلي إلا في أضيق الحدود.
- ٤ - وكأن المثل السائر ملك عليهم أحاسيسهم فأوجزوا، ليكون شعرهم أشبه به. ويؤيد هذا أن عمرو بن العلاء التميمي لما سئل: هل كانت العرب توجز؟ قال: نعم، ليحفظ عنها. وما أجاب به أبو المهوس، وقد سئل: لم لا تطيل الهجاء؟ فقال لم أجد المثل السائر إلا بيتا واحدا. ثم يقول هذا الباحث بعد أن يبين سبب سبق المقطوعات للقصائد: لأن السهل أسبق من الصعب، وأن البسيط أقدم من المركب، وهذا لا يمنع أن الشعراء رأوا بعد كثرة التجارب، وطول التنعيم أن للقصار روعة ليست للطوال، وأن من المواقف ما لا يحسمه إلا بيت شroud، أو قطعة مرتجلة، وأن من دواعي خلود الشعر، وحفظه أن يكون قصيرا، لا قصيدا. (٥٠)

(٥٠) عبد العزيز مزروع: الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي ص ٩٦. مطبعة العلوم بمصر ط١، ١٣٦٩هـ.

ثانيا

الحكمة في القصيدة المركبة

نعني بالقصائد المركبة تلك التي تجمع بين أكثر من غرض من أغراض الشعر، ويأتي ابن المقرب العيوني على رأس شعراء عبد القيس في هذا الجانب البنائي من حكمتهم، فقد رصع شعرة بماءتي حكمة ووردت فيما يقرب من ستين قصيدة، ولم يكن له منهج محدد فيها، فقد ترد في مستهل القصيدة وحينئذ تكون لها دلالتها على الغرض العام للقصيدة، من ذلك قصيدته التي مطلعها : (١)

قم فاشدد العيس للترحال معتزما وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما

فقد اشتملت هذه القصيدة الفخرية على مقدمة حكمية طويلة بلغت أربعة وثلاثين بيتا من هذه المطولة التي وصلت إلى مائة وخمسين بيتا. وهذه المقدمة الحماسية الحكيمة تعكس منهج الشاعر في سياسة الناس ونظرته المتطرفة نحو بعض الأمور، التي كانت لنشأة الشاعر كأمير، وظلم بني عمه له، وحساسيته المفرطة، أثر واضح في تشكيلها. وفي الأبيات السبعة الأولى من القصيدة يحث الشاعر نفسه على الرحلة من دار الذل حثا نحس من خلاله الرغبة في تلبية هذا الطلب بأقصى سرعة ممكنة، وهي رغبة معللة بتفاقم الخطب، وبما جلبته للكثيرين من عز وسيادة خضع لها أشد الناس تعنتا واستكبارا، وبما أورثت من وافر النعم مستمدا من التشبيه الحسي والمثل القديم رافدا لتلك المبررات، يقول :

ولا تلفت إلى أهل ولا وطن	فالحر يرحل عن ذا الأذي كرما
كم رحلة وهبت عزا تدين له	شوس الرجل وكم قد أورثت نعما
وكم اقامة مغرور له جلبت	حتفا وسأقت إلى ساحاته النقما
واسمع ولا تلغ ما انتشأت من حكم	فدو الحجا لم يزل يستنبط الحكما
لم يبك من رمدت عيناه أو سبلت	جفناه الا لخوف من حدوث عمى
ان المنية فاعلم عند ذي حسب	ولا الدنيا هان الأمر أو عظما

وفي الأبيات من الثامن إلى السابع عشر تظهر حساسية الشاعر بصورة أكبر، فهو يرى أن المسالم لا يسلم من أذى الناس، وأن العاجز هو الذي يقبل الضيم، وأن النابه هو الذي يرفض النقيصة بقوة، وأن الدنىء هو الذي لا يشعر بالذل مهما بولغ في اذلاله، وأن من رأي الذل عارا لا يرضى بقليله فضلا عن كثيره، لأن العار لا يتجزأ، وأن المجد اذا لم يبن على أساس قوي سهل على الأعداء نقضه. ومن خلال ذلك وبعده يستعين بالبراهين، والصور الحسية لتأييد ما يقول، فالأمور العظام لا يضبطها الا قوي، لأن الضعيف كضعاف الطير التي يسهل على الصقر القرم اكلها وتمزيقها، والبيوت لا تقام الا على أعمدة متينة، فالبيت المبني على أعمدة ضعيفة كالخروع والعنم لا يصلحان لمثل ذلك، والسيف هو الكفيل بتحقيق النصر والسؤدد، والرجل الجدير بالفخر والثناء والخلود هو الذي يملأ سيفه بدماء أعدائه. يقول :

منهم ومن عاث فيهم بالأذى سلما	من سالم الناس لم تسلم مقاتله
اذا رأي الشر تغلي قدره وجما	لا يقبل الضيم الا عاجز ضرع
لو لم يجد غير أطراف القنا عصما	و ذو النباهة لا يرضى بمنقصة
بشفرة الضيم لم يحسس لها ألما	و ذو الدناءة لو مزقت جلده
شرارة منه إلا خالها أطما	و من رأي الضيم عارا لم تمر به
باللبأس نقره الأعداء فانهدما	و كل مجد اذا لم يبين محتده
ليس البغاث يساوي أجدا لا قطما	لا يضبط الأمر من في عوده خور
لا خروعا جعلت يوما ولا عنما	و للبيوت سطاغات تقوم بها
من حكم السيف في أعدائه حكما	ما كل ساع إلى العليا يدركها
للمجد حق له أن يرعف القلما	من أرعف السيف من هام العدا غضبا

وفي الأبيات من الثامن عشر حتي السادس والعشرين، يواصل الشاعر الابانة عن آرائه التي لا تخلو من بعض الحساسية، ولكنها تتطوي على الكثير من الصواب، فهو ينصح بأن لا نستشير الا الناصح الفاهم، معللا ذلك بتشبيه حسي، وهو أن رائد القوم اذا لم يكن بصيرا بعلامات الطريق التي يهتدي بها الضالة فلن يمكنهم من الصدور عن الماء لأنهم لن يردوه، وربما ماتوا عطشا، ثم يوضح رأيه في الجود فيري أن اكرام العدو ليس

من الجود في شيء، ويستعين بتشبيهه مادي محسوس على ذلك، فالذي يسخو بجل ماله للعدو كالذي يسلم أغنامه للذئب سواء بسواء، ويحذر بشدة عن طريق الكناية من المساس بالشرفاء، ويشير إلى حاجة الرجل إلى قومه للتحرز بهم، متخذاً من ثقافته وسيلة تطبيقية للاقناع، فجساس بن مرة قتل كليب بن وائل لأنه اعتدى على ناقة جارتها، ولم يحترم جوارها، وعمر بن معد يكرب المشهور بالشجاعة وكذلك هرم بن سنان المشهور بالجود لم يستغنيا عن قومهما رغم ما بلغاه من مكانة وقوة، ويدعو إلى حماية الجار، ويحذر الملوك من طاعة النساء والخدم. يقول

لا يطلب الرأي إلا من أخي ثقة	لا يصدر القوم من لا يورد العلم
ولا يعد كريما من مواهبه	تمسي وتصبح في أعدائه ديما
والبخل خير من الاحسان في نفر	ابره بك من أغري ومن شتما
وواضع الجود في أعداء نعمته	كمودع الذئب في بركة غنما
من استخف بأرباب العلا سفها	وسامها الخسف أدمي كفه ندما
ألا فسل عن كليب كيف جد له	جساس هل كان إلا أن حمي فرمي
ولا يعز الفتى إلا بأسرته	لو كان في البأس عمرا والندي هرما
لا ترض بالهون في خل تعاشره	فلن تري غير جار الذل مهتظما
وأخسر الناس سعيأ رب مملكة	اطاع في أمره النسوان والخدم

ويجنح الشاعر بعد ذلك إلى أسلوب الحوار في تحديد موقفه من التكسب بشعره ورفضه القاطع له، رغم ظروفه المادية الصعبة وبلاغته، مؤكداً أن ما يملكه من سلاح الصبر كفيل بالتغلب على كل الأزمات، متأسياً بأمثاله الذين سبقوه، وظلموا كما ظلم، وصبروا كما صبر، ومستندا إلى رفعة محتده وشرفه الرفيع، يقول :

و قائل قال لي إذ راقه أدبي	والمرء قد ربما أخطأ وما علما
و ذاك بعد سؤال منه عن خبري	والصدق من شيمتي لو أورث البكما
هلا امتدحت رجالا بالعراق لهم	مال ركام وجود يطرد العدما
فجاشت النفس غبنا بعد أن شرقت	عيناي بالدمع حتى فاض وانسجما
فقلت كلا وهل مثلي يليق به	مدح الرجال فكم جرح قد التأم

اني على حادثات الدهر ذو جلد
ولست أول ذي مجد له ظلمت
يأبى لي الشرف العالي منصبه
أن أورد النفس حرصا موردا وخما
يجلو الحوادث مني صارما خدما
صروف أيامه العوصاء فانظلما

ثم يتخلص بعد هذه المقدمة الحكيمة الطويلة إلى الفخر بأسرته وقبيلته ابتداء من البيت الخامس والثلاثين تخلصا لطيفا وملائما، وفيه يقول :

أنا ابن أركان بيت المجد لا كاذبا والنازلين ذرى العلياء والقمما

والحوار إحدى الركائز البارزة التي اعتمد عليها ابن المقرب العبدى في بناء حكمته من خلال قصيدته المركبة، وهذا الأسلوب معروف لدى شعراء الجاهلية، وقد أكثر منه شعراء الفتوة في مقدمات قصائد الفروسية، حيث يسجل فيه الشاعر خوف صاحبه عليه من اتلاف نفسه بتعريضها للأخطار، واتلاف ماله بالاسراف والانفاق، ولكنه يجيبها بعدم الانصياع لملامتها واصراره على المضي في مسلكه الحميد القائم على الاقدام والأريحية، وهو خلق الفتوة النبيل، يقول ابن المقرب : (٢)

تخوفني ابنة العبدى حتفي واقحامى المهالك واقتراعى
وتعذلى على انفاق مالى وتزعم أنه للفقر داع
فقلت لها وقد أربت وزادت رويدك لا شقيت فلن تطاعى
أما والأريحية إن سمعى لما تهذى العواذل غير واع

ويقول أيضا : (٣)

وقائلة والعيس تحدج للنوى ودمع الجوى قد جال في الخد جائله
عليك بصبر واحتساب فإنما يفوت الثنا من راح والصبر خاذله
ولا ترم بالأهوال نفسا عزيزة فذا الدهر قد أودى وقامت زلازله
فكم كربة في غربة ومنية بأمنية والرزق ذو العرش كافله

(٢) المصدر السابق : ٢٦٧

(٣) نفسه : ٣٢٩

أرددها والصدر جم بلا بله
وعاجله عندي سواء وأجله
يري الحر فيها الغبن من لا يشاكلة
لو أن الفتى أكدي وغثت مأكله
تبكيه قبل الموت فيها ثواكله
وللضيم للعجز الذي لا أزاله

فقلت لها والعين سكري بزفرة
أبالموت مثلي ترهبين وبالنوي
وللموت أحيا من حياة ببلدة
وما غربة عن دار ذل بغربة
ورب غريب ناعم وابن بلدة
وان مقامي يابنة القوم للقلبي

ويعلق د. الخضير على هذه الأبيات بقوله : أرأيت كيف كان ابن المقرب محلقا في أسلوبه، موفقا في اختياره موسيقاه الشعرية التي تحكي تحفزه للرحيل وعزمه على السفر، وهو يهيب العيس بحماسة واندفاع وتصميم، وإن اشراق أسلوبه في هذه الأبيات لا يظهر في انسجام الأفكار وتسلسل الحوار فحسب، بل يظهر في بعض الجمل التي قد تتضمن بعض جوانب الضعف، فيكسوها بأسلوبه العفوي الصادق ما يجعلها تتناسب مع هذه الأبيات، فإن تكراره لحرف الجيم في البيت الأول مدعاة لثقل الكلمات، ولكن الموسيقى الداخلية التي توافرت من الموازنة بين النوي والجوي ومن جناس الاشتقاق (جال جانله) مع حسن اختيار هذه الكلمات التي تعبر عن الرحيل وعدم الاستقرار (تجدح، الجوي، جال، جانله) كل ذلك جعلنا لا نحس بثقل الجيم المكررة، كما أضفى على الأسلوب بهاء وحسنا، ومثل ذلك المحسنات البديعية في البيت الرابع فقد تعتبر تكلفا لو لم تصدر عن عفوية وصدق^(٤). وفي مدحة ابن المقرب للأمير الحسين بن مسعود، يبدأ القصيدة التي بلغت خمسة وستين بيتا بثمانية أبيات في الحكمة تدعو كلها إلى استعمال القوة وإنها وحدها الكفيلة بتحقيق الآمال، يقول مكررا السيف بوصفه أداة الحرب الأولى خمس مرات:^(٥)

وتحل عقدة كل خطب مشكل
بالسيف حلقة صفقتيه تدخل
بالمشرفية والرماح الذبل
والله والبيض الصوارم فاسأل

بالسيف يفتح كل باب مقفل
فاقرع اذا صادفت بابا مرتجا
و اذا بدت لك حاجة فاستقضها
لا تسألن الناس فضل نوالهم

(٤) على بن المقرب العيوني : ٣٦٤ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠١

(٥) ديوانه : ٤١٣

فالسيف أكرم مجتدي يممته	فاذا تلوذ به فامنع معقل
واجعل رسولك ان بعثت إلى العدي	رزق الأسنة فهي أصدق مرسل
واعلم هديت ولا أخاك جاهلا	ان الرسول يبين عقل المرسل
واقعد وأرضك ظهر أجرد سابع	وسمائك الدنيا غيابة قسطل

ثم يصل إلى الغرض الأساسي في البيت التاسع وهو المدح فيقول :

كن كابن مسعود حسين في الندي والبأس أو فعن المكارم فاعدل

ويشرح في الأبيات التالية، ما أجزه في هذا البيت الذي يركز المديح فيه على فكرتين أساسيتين هما الكرم والشجاعة، وإن كانت كفة الثانية ترجح على الأولى لتجسيد معنى البطولة الذي ينشده الشاعر في ممدوحه، فالعلاقة إذن بين الفرضين الفرعي وهو الحكمة والرئيسي وهو المدح علاقة تجانس واتحاد .

وفي قصيدة ابن المقرب الثانية التي يمدح فيها الأمير محمد ابن أبي الحسين، وذلك وقت ملكه الاحساء من البحرين، يستفتح الشاعر مدحته بقوله : (٦)

منال العلا بالمرهفات القواضب وسمر العوالي والعناق الشواذب

وتشمل المقدمة الحكمية ثلاثة أبيات من القصيدة ذات السبعة والأربعين بيتاً، ولما كانت البداية حماسية فقد جاءت مناسبة للغرض الرئيسي وهو المدح، حيث كانت الشجاعة وما ترتب عليها من بطش بالأعداء وانتصارات ساحقة عليهم قطب رحي الموضوع، ومن هذه الحكم :

وليس ينال المجد من كان همه	طروق الأغاني واعتناق الحباب
ولا بلغ العليا إلا ابن حرة	قليل افتكار في وقوع العواقب
جرىء على الأعداء مر مذاقه	بعيد المدي جم الندي والمواهب

(٦) المصدر السابق : ٤٧

ويمدح ابن المقرب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بقصيدة يستهلها بقوله : (٧)

بسمر القنا والمرهفات الصوارم بناء المعالي واقتناء المكارم

وقد بسطت الحكمة الحماسية ظلالها على أكثر من عشرين بيتا في بداية القصيدة التي وصلت إلى خمسة وستين بيتا، وكانت المقدمة جزءا منسجما مع الغرض العام، ومما جاء فيها قوله :

وما الفخر الا الطعن والضرب والندي ورفض الدنيا واغتفار الجرائم
ومن طلب العلياء جرد سيفه وخاض به بحر الندي غير واجم
ومن لم يلج بالنفس في كل مبهم يعيش غرضا للذل عيش البهائم
فما انقادت الأشرار الا لغاشم له فيهم فتاك الأسود الضراغم

وفي مرثية ابن المقرب التي رثي فيها صديقه الرئيس الحسن بن عبد الله بن أحمد، يبدأ قصيدته بقوله : (٨)

أيدي الحوادث في الأيام والأمم أمضى من الذكر الصمصامة الخدم

وقد احتلت المقدمة سبعة أبيات من القصيدة التي بلغت سبعة وأربعين بيتا ، و موضوع الحكمة متصل أوثق اتصال بموضوع المرثية العام، فهي تنبه إلى تقلبات الدنيا، وتحذر من الاغترار بها، وتخوف من عواقبها. حتى اذا بلغنا صلب الموضوع وهو الرثاء في قوله :

وانظر إلى حسن في حسن صورته جاءت إليه صروف الدهر من أمم

رأينا الشاعر ينعي قي المرثي ما حذر الباقيين منه، وهو حلول مصائب الدهر بساحته رغم كل القوي التي كانت تحيط به وتقوم بحمايته، كما فصل ذلك في الأبيات اللاحقة، ويمضي في تأبينه، ثم يوجه التعزية لأبي حسن، وهي عبارة عن حكمة، يقول فيها :

(٧) المصدر السابق : ٥١١

(٨) نفسه : ٤٨٣

مفارق وحياة المرء كالحلم
تقاصر العمر أو أدى إلى الهرم

و يا أبا حسن صبرا فكل فتى
و الموت كل امرئ لا بد ذائقه

فالفصلة بين الغرضين - كما قلنا - صلة تلاحم وامتزاج. ولعل ابن المقرب متأثر في مطالعه الحماسية، هذه بالمتنبي والشريف الرضي وأبي عثمان الخالدي العبدي .

وفي قصيدة لابن المقرب عاتب فيها الأمير فضل بن محمد، وأوجع فيها باللوم عليه، لأجل جفائه وقطيعة لرحمه، وتضعيف حقوقه التي يستوجبها عليه، وإخلائه نواحيه، وذكر ما كان جري عليه من جهة ميله اليهم، وضرب فيها الأمثال الموجهة، وأظهر الندم على ما قال فيه من المدح فيه، وانشاده إياه، ورحل لوقته، في هذه القصيدة بدأ الشاعر عتابيته بسبعة أبيات في الحكمة، هي : (٩)

وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
فلا عجباً إن سالمك الأبعاد
فذا الناس أما حاسد أو معاند
بصاف فما تعمى عليك الموارد
على ظماً وانصعت والريق جامد
يبيل الصدي منها وتوكي المزاد
بغلته والموج جار وراكد

تجاف عن العتبي فما الذنب واحد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه
ولا تشك أحداث الليالي إلى امرئ
وعد عن الماء الذي ليس ورده
وكم منهل طامي النواحي وردته
فلا تحسبن كل المياة شريعة
فكم مات في البحر المحيط أخو ظما

وهذه الأبيات توضح احدي مميزات الشاعر، وهو عرض المعني الواحد في صور مختلفة، مما يدل على قدرة تخيلية وتعبيرية جيدة، مع صفاء فكرته ومثانة أسلوبه. فهو يتخذ من التشبيهات وسيلة من وسائل الإقناع، وهو يستمدّها هنا من العنصر الحسي الضروري الذي لا يستغني عنه أي إنسان بل أي مخلوق من الكائنات الحية، ألا وهو الماء، ويوغل في استعمال المشبه به والحديث عنه إيغالا يعكس مشاعر الشاعر المتألّمة وخلجاته النفسية المعذبة، وتساميه على الآلام والمواجه، فهو قادر على الصبر على

(٩) المصدر السابق : ١٤٠

العطش، إذا لم يكن الماء الذي أمامه نقيا صافيا، حتى لو أفضي به ذلك الظمأ إلى الموت، لأن الماء الملوث مع صعوبة تجرعه مميت أيضا، كذلك من يقيم مع حاسد ومبغض فانه يلقي نفس المصير. وابن المقرب في هذه الأبيات يخالف رأي بشار في قوله :

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذي	ظمنت وأي الناس تصفو مشاريه
فعش واحدا أوصل أذاك فانه	مقارف ذنب مرة ومجانبه

وقد جاءت المقدمة ممهدة للموضوع العام لهذه المعاتبه التي بلغت ثلاثة وسبعين بيتا. أما القصائد الأخرى لابن المقرب فقد وردت حكمه في ثناياها، وهذا ما نجده في كثير من قصائده. وفي قصيدته التي بلغت سبعة وخمسين بيتا يعاتب فيها، ويذكر الخمول، ويشكو قلة المال، وكثرة الأعداء، ويفخر في آخرها بمنصبه ونسبه، ومطلعها : (١٠)

خلياني من وطاء ووساد	لا أري النوم على شوك القتاد
----------------------	-----------------------------

تتناثر الحكمة في انحاء القصيدة ومجموعها عشرون بيتا، منها قوله :

واتركاني من أباطيل المني	فهو بحر ليس يروي منه صاد
وابذلا في العز مجهود كما	لا يلام المرء بعد الاجتهاد
إنما تدرك غايات المني	بمسير أو طعان أو جلاذ
جنّت يا موت فان شئت فذر	ليس عيش الذل يوما من مرادي
لا حياتي تمنع الجار ولا	ناتلي يرجى ولا يخشي عنادي
أحذار الموت أبقى هكذا	لا ومجري الماء رزقا للعباد
أن ترى شخصي لأمر ساكنا	فلعمري إن قلبي في طراد
رب ذي هم تراه مطرقا	وهو في اطراقه حية واد
ان يكن عزا وإلا فردى	لست من دون شبيب ومصاد
لا يطيب العز ما لم تجنه	باللدان السم والبيض الحداد

وقد كانت هذه الحكم متجانسة مع الجو العام للقصيدة، ومساعدة في تحقيق أهدافها، ومقدمة الحجج والبراهين على صحة توجهات الشاعر، وما ينشده من شذو الهمة لبلوغ ما يريد. وفي عتابية ابن المقرب الممزوجة بالفخر، وعددها خمسة وأربعون بيتاً أولها : (١١)

أميم لا تتكري حلي ومرتجلي ان الفتى لم يزل كلا على الأبل

نجد الحكمة في القصيدة تحتل الشطر الثاني من بعض أبياتها، التي تدور حول العتاب، كما في قوله :

تكلفيني مقاما بين أظهركم	وليس يبدو فرند السيف في الحلل
وكلما زاد نصحي زاد غيكم	لا بارك الله في ود على دخل
ان أترك العود في أمر اغتائكم	فنهلة الطرف مجزاة عن العلل
لا تحسبوا أن بعد الدار أو حسني	البعد آنس من قرب على دخل
لقد تبدلت منكم خير ما بدل	فاستبدلوا الآن مني شر ما بدل
شر الأخلاء من تسري عقاربه	لا خير في آدم يطوي على نغل
يزان نادىكم يوم الخصام به	كما تزان بيوت الشعر بالمثل

كما سلك ابن المقرب الطريقة ذاتها في قصيدة شكر للأمير مقدم بن ماجد وقد بدأها بالعتاب الشديد لأهل وطنه البحرين، مستهلاً ذلك بقوله: (١٢)

بيني فما أنت من جدى من ولعي مالي بشيء سوى العلياء من أرب

حيث نجد الشاعر يركز حكمته في الأقطار الثانية من بعض أبيات القصيدة التي وصل عددها إلى سبعة وسبعين بيتاً، كما نري في قوله :

في كل أرض اذا يممته وطن	ما بين حر وبين الدار من نسب
لي عن ديار الأذي والهول متسع	ما كل دار مناخ الويل والحرب
لا تتسببوني إلى منشاي بينكم	الترب ترب وفيه منت الذهب

(١١) المصدر السابق : ٣٧٨

(١٢) نفسه : ٧٤

فإنما راحة الأبدان في التعب
الذنب من طبعه أن يقتدر يثب
ذو اللب يكسر فرع النبع بالقرب
فربما جاء أمر غير محتسب
فالمملك ليس بثبات على اللعب
فكم غد يومه غاد فلم يؤب

تقول لي هممي خل المقام وقم
لا تركنن إلى من لا وفاء له
ولا تكن لذوي الألباب محتقرا
واحسب لشمر العدي من قبل موقعه
وغر علي الملك من لعب الرجال به
واحذر تؤخر فعلا صالحا لغد

يقول الخضيرى : أن أسلوب ابن المقرب في كثير من أبيات حكمته هو امتزاجها بالشكوى والتحسر، واقترانها باعلان الرحيل والبعد عن منازل المذلة والصغار، حيث تجتمع هذه المعاني غالبا في عدة أبيات تشكل في مجموعها الشكوى مع الحكمة. فقد يجمع الشاعر هذين الغرضين في بيت واحد فيجعل الشطر الأول بيانا لحاله مظهرا فيه الشكوى ويجعل من الشطر الثاني حكمة مستقلة بذاتها لو فصلت عن الشطر الأول، كأنه يقدم السبب أو البرهان ليثبت به حكمته. (١٣)

وربما نهج ابن المقرب منهج زهير في بناء حكمته على الشرط الذي يحرك الخيال لغاية تتمثل في الجواب، كما في قوله : (١٤)

ومن لم يلج بالنفس في كل مبهم
ومن لم يقدمها ضامرات إلى العدا
يعش عرضا للذل عيش البهائم
تُقَدَّ نحوه عوج البرى والشكائم

أما من ناحية المعاني، فعلى الرغم من أن أكثرها مسبقة، إلا أن ابن المقرب استطاع أن يسكبها في قالب جعلها تبدو وكأنها جديدة، فقد أعطت تجربته هذه المعاني عمقا أكبر، ومكنته من أن يعبر عنها بحرارة أكثر، - فمثلا - تطرق الشعراء القدامى إلى هوان قدر الفقير بين قومه، وأكثروا من الحديث عن ذلك، إلا أن ابن المقرب ربط حديثه في هذا المعنى بالدعوة إلى السعي الجاد في سبيل الغنى، وصور ذلك في صور مختلفة تحمل البراهين الحسية والأدلة الحية على صحة ما يدعو إليه، كما نرى في قوله : (١٥)

(١٣) علي بن المقرب : ٢٥٦

(١٤) ديوانه : ٥١٣

(١٥) نفسه : ٥٤

إذا المرء لم يملك من المال ثروة
ومن يجعل العجز المطية لم يزل
فقم واركب الأهوال جدا فطالما
فما يقطع الصمصام الا اذا انتحي
وما دام ليث الغاب في الغاب كامنا
كذا البدر لولا سيره وانتقاله
رمته عداه وأجنوته أقاربه
يمر عليه الدهر والفقر صاحبه
أفاد الغني بالمركب الصعب راكبه
عن الغمد لو كانت حدادا مضاربه
فان حراما أن تدمي مخالبه
عن النقص لاستعلت عليه كواكبه

وقد تأثر ابن المقرب ببعض سابقيه من الشعراء، وكان أقرب اليه منهم المتنبّي الذي
تأثر به كثيرا في أسلوبه ومنهجه وتفوقه في حسن التخلص ومعانيه، ومن شواهد ذلك
قوله:

وأشقي بني الدنيا كريما يسوسه
لئيم اذا ما نال شبعاً تمردا

فهذا البيت يذكر في الحال بقول المتنبّي المشهور :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
ومن ذلك أيضا قوله :

و ذو الدناءة لو مزقت جلده
بشفرة الضيم لم يحسس لها ألما
فقد نظر ابن المقرب في قوله هذا إلى قول المتنبّي :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بسميت إيلام
وأخذ ابن المقرب قوله :

و ما العز إلا في صها كل سابح
وما المال الا في شبا كل خاضب
من قول التنبّي :

أعز مكان في الدني سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

وقد استمد ابن المقرب من ثقافته التاريخية الكثير في بناء حكمته، وساعدته هذه الثقافة على الاطالة وطول النفس. ففي قصيدته الميمية التي مطلعها :

أيدي الحوادث في الأيام والأمم أمضى من الذكر الصمصامة الخدم

والتي امتدت أبيات الحكمة فيها إلى تسعة وعشرين بيتاً، اشتملت على كثير من الاشارات التاريخية، وبخاصة فيما يتعلق بفرسان الجاهلية، ومن ذلك قوله :

أودي ابن مرة هماما وكان له	عقد الرئاسة عن آبائه القدم
ومانع الجار جساسا أتيح له	سهم المنون على عمد فلم يرم
والخوفزان الذي كانت تنوء به	بكر سقاه بكاسات من النقم
وفارس العرب العرباء ان ذكرت	بسطام مد اليه كف مخترم
ولم تدع هانئاً وهو الذي انتصفت	به الأعراب واستولت على العجم
والحارث بن عباد غاله وسطا	بجحدر فارس التحلاق للمم
والجعد مسلمة لم يحمه فدن	بناه والده اذ كان ذا همم
وهوذة بن على حط منتزعا	عن رأسه التاج عمدا غير محتشم
وشيخ عجل أبا معدان عاجله	منه الحمام ولم يطلب له بدم
وفارس العرب العرباء وسيدها	أعني كليباً قريع العرب والعجم
ولم يكن لعدي بعده عصم	منه وكان عدى أي معتصم
وأل كلثوم سادات الأراقم لم	يترك لهم من حمي حام ولا حرم

وابن المقرب يحسن استخدام ثقافته، وتوظيفها في تأدية ما يرمى اليه، ففي نصيحته لأبناء عمه حكام البحرين بالكف عن اغداق المال على الأعداء المنافسين للسلطة، يستشهد الشاعر بسد مأرب وما أدي اليه بعد انفجاره من دمار وخراب وتشريد. يقول :

أرجال عبد القيس كم أدعوكم	في كل حين للعلا وأوان
لم يغضب البدوي الا قلت	سدوه كي يرضي بمال فلان
والسد أخرج مأرباً فتيقنوا	بعد انفتاح السد بالطوفان

كما أن المامه الواسع بالأمثال العربية القديمة، أعانه كثيرا على التعبير عما يريد، وأمدّه بطاقة بيانية كبيرة جعلته قادرا على الإفصاح بأسلوب مؤيد بالبرهان. ومن أمثلة ذلك قوله : (١٦)

و اني في قومي كعمرو بن عامر ليالي يعصي في قبائله الأزدي
أراهم امارات الخراب وما بدا من الجرذ العياث في صخرها الصلد
فلم يرعوا مع ما لقوا فتمزقوا - أيادي سبا في الغور - منها وفي النجد

فهو هنا يقارن حاله مع قومه بعد أن ينس من نصحهم بحال عمرو بن عامر الأزدي الملك مع قبائله اليمنية التي أصابها الدمار بسبب استخفافها بنصحه .

واستعمل ابن المقرب المثل الجاهلي المشهور (المنية ولا الدنية) في مقام الحث على رفض حياة الذل، والمحافظة على الكرامة، يقول :

ان المنية فاعلم عند ذي حسب ولا الدنية هان الأمر أو عظما
وفي قصيدته التي عارض فيها عينية قطري بن الفجاءة التي مطلعها :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي

استعمل ابن المقرب المثل العربي القديم (اذل من فقع بقاع) لتحسيس نفسه على الاقدام وركوب الخطر. فيقول :

و من هاب المنية أدركته ومات أذل من فقع بقاع

وهذا البيت واحد من تسعة أبيات في الحكمة تدور حول معنى المثل، حيث يعلن الشاعر إباءه لحياة الضعة والضعف والهوان وما ينتظر الأغنياء في البحرين من خطر محقق بهم، فهم كالبقرة الشباع وسط الأسود الجياع، ومما جاء فيها :

ولكن بين أساد جـياع	فإن بأرضنا بقرا شباعا
إذا ما أنست صوت السباع	وهل يهني البهيمة خصب مرعي
وأرجو أن يذلها قراعي	تقار عني المنايا عن مراد
فما تتبو المطي عن انتجاعي	إذا يوما نبت بي دار قومي
ولو من بين أنياب الأفاعي	سأطلب حق آبائي وحقي

ومن ناحية الموسيقى الخارجية لقصائد ابن المقرب المركبة، فقد نظم أغلبها في الطويل والبسيط والكامل والوافر.

أما القافية - وهي عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشْطَر والأبيات من القصيدة - فقد وفر ابن المقرب لها نصيبا كبيرا من الموسيقى، فاستخدم ألف التأسيس التي يفصل بينها وبين الروي حرف، كما نري في قوله : (١٧)

فجرد له سيفا من العزم قاضيا	أبي الدهر أن يلقاك إلا محاربا
فما الدهر سماعا لمن جاء عاتبا	ولا تلقه مستعتبا من ظلامه

وقد التزم قبل الروي حرف مد معين في عدد من قصائده، مما وفر لها قدرا أكبر من الموسيقى، كما نري في قوله :

فامنن ببقيا وأودعها يدا فينا	بعض الذي نالنا يا دهر يكفينا
فدون هذا به يرضي معادينا	إن كان شأنك ارضاء العدو بنا

ومن ذلك قوله :

لا أري النوم على شوك القتاد	خلياني من وطاء ووساد
فهو بحر ليس يروي منه صاد	واتركاني من أباطيل المنى

كما التزم حركة ساكنة قبل الروي في بعض قصائده، كقوله :

(١٧) المصدر السابق : ٣٥

ولا لوم مثلي يا أميم على وتر
سوى عزمتي والعيس والمهمة الفقر

ذريني فضربا بالمهدة البتر
فقد كنت أبي الضيم إذ ليس ناصري

وقد أكثر ابن المقرب من الجناس الناقص ولا سيما جناس الاشتقاق، مما وفر لحكمته
قدرا حسنا من الموسيقى الداخلية المؤثرة، من ذلك قوله :

لو ذقتما ما ذقت من ألم الجوي لم تكثرأوا قالا على وقبلا

وقد يرد الجناس الناقص في بيتين من القصيدة، كقوله في احدي عينيّاته :

و ذو الفقر في همين هم معيشة وهم عدو فهو يمشي بلا عقل
فأرواحهم من راح فيهم برأسه كراس علاة القين أو كفة الطبل

وفي فائيته يقول :

دعوه فخير الرأي ألا يعنفا فلو كان يشفي داءه اللوم لا شتفى
ويأبى لي الكفران اني ابن حرة كريم متي صرفت عزمي تصرفا

وربما تردد الجناس في عدة أبيات من القصيدة، كقوله :

آليت أنفك من حل ومرتحل أو أن تقول لي الآمال خذ ودع
يأبى لي المجد أن أرضي بغير رضا ورأي ماض وعزم غير مفترع
لا خير في نزل تشقي الكرام به ويلحق السيد المتبوع بالتبع

وقد وجدت الحكمة في القصائد المركبة لدى شعراء عبد القيس منذ العصر الجاهلي.
فللمتقّب العبدى عدة قصائد من هذا القبيل، أشهرها نونيته التي تناولت الحديث عن المرأة
والظعانن والرحلة وخطاب عمرو بن هند، ومن قصائد المتقّب المركبة ميميته التي مدح
فيها خالد بن الحارث العبدى، وقد بدأها بمقدمة غزلية وخلص بلطف إلى المديح، ثم إلى
الحكمة والفخر الحكمي. أما هانية المتقّب فقد بدأت بمقدمة طليية مناسبة للموضوع فالمتقّب

تؤلمه أحداث قوميه وتحزنه المصائب التي حاقت بهم، فقد أصيبت الأموال وتبدلت المنازل والديار ورحل القوم عنها، ولهذا أشار المثقب في قوله :

فان تك أموال أصيبت وحولت ديار فقد كنا بدار نقيمها

وهكذا الحال في ديار صاحبه فقد رحل عنها أهلها فافقرت وأجدبت وتغيرت معالمها واختلفت أوصافها، ووقف الشاعر فيها فثارت ذكرياته القديمة وحن إلى سالف عهده ووده فيها، فدعا لها شأن بقية شعراء الجاهلية بوابل من الأمطار وبغزير من الديم، وقال : (١٨)

ألا حيا الدار المحيل رسومها تهيج علينا ما يهيج قديمها
سقي تلك من دار ومن حل ربعها ذهاب الغواذي وبلها ومديمها

وفي أنشودة الطلل هذه نري صورة الكرب والعذاب والاحساس بالدمار والرغبة العارمة في البكاء والنواح، ومنذ البداية يجسد الطلل صورة الضياع والهدم والموت في صحراء عارية لم يستطع الجاهلي تذليلها .. إن استدعاء الماضي ليس سوي محاولة للتخفف من آلام الحاضر، وذكرى الحبيبة التي يستدعيها الشاعر تعويض عن الواقع المؤلم الذي يراه ماثلا أمامه، ثم ينتقل إلى الحديث عن الرحلة عبر ناقلته التي يراها الشاعر الجاهلي الملجأ والملاذ للضائع والخائف والبائس، فهي وسيلة التطهير من الألم والمخاوف، على ظهرها العزاء والسلوى، وهي تنتقل بالشاعر من حالة اليأس والقنوط إلى حالة الأمن والسلام والاستقرار النفسي، وكاهن الناقة الرحب قمين بأن يستوعب كل الآلام وكل الآمال (١٩). بعد ذلك يصل المثقب إلى الغرض الأساسي وهو المواساة والعزاء، فيعلن استنكاره من جزع الجازعين التي يراها الشاعر غير مألوفة ولا لائقة من بني قومه، فهذا الانهزام النفسي ليس من عادة العبيدين الذين عرفوا بالزعامة والقوامة والقيادة والسيادة، وإن لهم مما ورثوه من أجدادهم أقوى حصن، فهم أهل بأس وصبر ومكارم، وأبو الشاعر - أو جده على الأصح - كان يلقب بالمصلح لاصلاحه بين بطون قبيلته من ناحية، وبين بكر وتغلب من ناحية أخرى. يقول مصورا مواقفهم البطولية في حماية الثغور المهددة، ورجوعهم بالغنائم من أسلاب قتلاهم وأسرههم عظيم أعدائهم وذبحهم عم المحارم والمنع لها عند الحروب :

(١٨) المعيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ٢٨٧، ٢٨٨ - قسم الدراسة.
(١٩) أنور أبو سويلم : قراءة في معلقة طرفة بن العبد ص ٣٦٧ و ٣٦٨ - مجلة جامعة الملك سعود - الآداب (٢) ١٤١٢هـ.

وبغارتنا كيد العدي وضيومها
وفننا لنا أسلابها وعظيمها

ونحمي عن الثغر المخوف ويتقي
صبرنا لها حتى تفرج بأسنا

وقد كانت المقدمة - كما رأينا - أطول من الغرض الأساسي، حيث اشتملت على بكاء الطلل ووصف الرحلة والراحلة، وكانت متلائمة مع الموضوع ومتصلة به نفسياً وموضوعياً .

ومن شعراء عبد القيس ذوي القصائد المركبة أبو عثمان الخالدي، ففي قصيدته التي أربت على الأربعة والعشرين بيتاً تناثرت أبيات الحكمة العشرة بين البداية والوسط والنهاية، وقد عبر المطلع عن روح الشاعر المفعملة بالاعتزاز والثقة بالنفس، وكان استهلالاً حماسياً مؤدياً لفرض القصيدة الأساسي وهو الفخر. يقول: (٢٠)

لا بالأمانني والتأميل للقدر
فلا تقف فيه بين البث والحذر
وفي سنا الشمس ما يغني عن القمر

نيل المطالب بالهندية البتر
فان عفا طلل أو بباد ساكنه
في شمك المسك عذر عن مذاقته

وأما ما جاء في المنتصف والخاتمة فقد كان تبريراً لوجهة نظر الشاعر. يقول :

فلا تقل أنني في الناس ذو بصر
إذا نضاها فلم تصدقه في النظر
خوف القبيحين من كبر ومن بطر
لأنه قد نجا من طيرة العور
وأي عار على عين بلا حور

إذا تشككت فيما أنت تبصره
وكيف يفرح انسان بغرته
لقد فرحت بما عانيت من عدم
وربما ابتهج الأعمى بحالته
لا عار يلحقني أني بلا نسب

ومن شعراء عبد القيس الذين وردت لهم حكمة في قصائدهم، أبو البحر الخطي، ومن ذلك قصيدة له بلغت ثلاثة وعشرين بيتاً، عزي فيها الشاعر بعض الأعيان بفقد طفل له، وقد أتت الحكمة في أبيات ستة حاملة في أعطافها البرهان المقنع لموضوع القصيدة وهو التعزية، ومشكلة نقاط قوة في النص، وخيوطا مضيئة في النسيج العام للقصيدة، يقول: (٢١)

(٢٠) ديوان الخالدين ١٢٨/٢ - تحقيق سامي الدهان - مجمع اللغة العربية بدمشق.
(٢١) ديوانه : ٦٨.

نضارته إلى وقت المجز
رطيب القد معتدل المهز
فشيطان الأسى بالصبر مخزي
على ما فات منه ومن معزي
لعظم جلاله ولفرط عز
لجامعة عليه ولا لصبر

فان الناس مثل الزرع تنمى
فلم يجثث إلا كل غصن
فيا ابن مبارك بن حسين صبرا
بذا حكم القضاء فمن معزي
هي الأيام لا تبقي كبيرا
ولا يبقي صغير السن بقيا

وله قصيدة أخرى تقع في خمسة وثلاثين بيتا، موضوعها الرئيسي هو المدح، وقد بدأها بالغزل حتى اذا بلغ إلى قوله : (٢٢)

نوازع يستحذون من غير الصبا

اذا هو كف الشيب منه تراجعت

سجل خطراته الحكيمة المستمدة من تجاربه في علاقاته الشخصية، والقائمة على الاستدلال والبرهان، يقول محسنا التخلص من التشبيب إلى الحكمة المبطنة بالشكوي :

أظنك علمت الطماعة أشعبا
تعال فسل عما جهلت المجربا
فأشكي ولا استعبت خلا فاعتبا

أمتجلبا ود الرجال بعثبها
لك الخير ان لم تدر ما خلق الوري
انبنك أني ما شكوت لصاحب

ثم ينتقل إلى موضوع المديح عبر جسر محكم يربط بين الشكوى والثناء. يقول :

بأسوا ما جوزي مسيء وعوقبا
وفاء وأدناهم ودادا وأقربا

جزى كل فرد منهم من اخائه
سقى ورعي الله الأولي ما أشدهم

وخلال مديحه نجد مسحة من الحكمة حول معني قد لا يكون جديدا ولكن الشاعر أجاد صياغته حتى بدا وكأنه مبتكرا، فهو يقول في ممدوحه أنك جمعت في شخصك كل الفضائل والمكرامات، ولم تترك للآخرين شيئا منها، فهلا تنازلت عن بعضها لهم، لتذهب السخيمة من نفوسهم، مع أنك لن تصل إلى رضاهم، لأن المعالي والأمجاد لا توهب وانما تكتسب بالجد والكفاح. يقول :

تطب أنفس حري عليك تغضبا
لطالبها أني توجه مطلبها
لتعطي ولا كان الفخار ليوها

حنانك هب للقوم شيئا من العلا
ملكك أقاصيها عليك فلم تدع
ولست بمرضيهم فما كانت العلا

وللخنيزي قصيدة عنوانها (علي ثبج الموج) تدور الأبيات الأربعة عشر منها حول الشكوي من الحياة، وقد جاءت هذه الشكوي ابتداء من المطلع في قوله : (٢٣)

وقفت وحيدا مني واجفه على ثبج الموج في العاصفه

وحتى قوله :

كان غدي موجة من ظلام يقهقه من حاضري الساخر

وهي ذات قواف متعددة، وفي الأبيات الستة الأخيرة من القصيدة يفيء الشاعر إلى الحكمة، فيدعو إلى الأمل والتفاؤل من خلال فعل الأمر الارشادي، ولكي يعطي طلبه المزيد من الأهمية والتأثير نراه يعمد إلى تكراره أربع مرات، كما يكرر أسلوب التشبيه للابانة والاقناع، حيث يقول :

رمتي عريت من رجا ناظر
ع فتورق دنيا كدنيا الزهر
ع تضمد - عطا - جراح البشر
ين فيسقي القلوب ويسقي الفكر
يضىء الحياة شعاعا أغر
ولولا الرجاء غدت كالحجر

فان الحياة كدنيا القبو
فكن أملا أخضرا كالربيد
وكن نسمة كحنان الربيد
وكن جدولا يملأ الخافق
وكن مشرقا مثل بدر السماء
فان فؤاد الحياة الرجاء

وفي قصيدة الرجعي لمحمد سعيد الخنيزي نجد الحكمة تتوسط القصيدة، فقد أشار فيها الشاعر إلى بعض فضائل الاسلام ومزاياه المتجددة على مر العصور، بينما تحدث في البداية عن أولئك البعثيين الذين رموه بالرجعية لتمسكه بالدين، وعبر عن موقفهم بأسلوب ساخر، موضحا زيف ادعاءاتهم، وضلالة أفكارهم، وقد استهل قصيدته بقوله : (٢٤)

قيل لي أنك رجعي قديم وعتيق

وقد تمثلت حكمته في الأبيات الأربعة التي أولها :

انما الدين جديد ساطع مثل الشهاب

أما نهاية القصيدة فقد كان متصلا ببدايتها، وهو كشف حقيقة زعيم الحزب ميشيل عفلق وحياته الخفية اللاهية .

حوله الحزب عبيد وهو فيهم كالأمير

وهكذا نجد أن الحكمة في قصائد عبد القيس المشتركة كانت متصلة أوثق اتصال بالموضوعات الرئيسية التي لا يستها، وانها وجدت في بداية القصائد كما وجدت في وسطها وخواتيمها .

(٢٤) ديوانه (مدينة الدراري) : ١٥١.

ثالثا

الحكمة في القصيدة البسيطة

يقصد بهذه الفئة من القصائد تلك التي تتصف بالوحدة الموضوعية، وهي ذات الغرض الواحد من أغراض الشعر، فالحكمة أو الخطرة الفلسفية والتأملية تشكل الموضوع الكلي للقصيدة، وهذا ما يجعلها أكثر تماسكا وترابطا وانسجاما، ويقلل من أدوات الربط التي نجدها في القصيدة المتعددة الأغراض. ولعل أكثر القصائد العبدية التي تنتمي إلى هذه الفئة - بشيء من التجوز - ، لامية الشاعر الأموي بشر بن منقذ المعروف بالأعور الشني، فقد رويت له قصيدة من أربعة عشر بيتا تحتوي على مكارم الأخلاق وحسن المعاملة، وهي وإن جاءت في قالب الفخر إلا أنها تصب في جدول الحكمة، لأن الفخر فيها يستمد مادته من معين الخلق الكريم والأدب القويم، وقد بدأها على طريقة الفرسان حين يجعلون المرأة الشاهد والحكم على صدق ما ينسبوه إلى أنفسهم من فضائل، كفضيلة الكرم مع الجار والقريب خاصة، والصدق في الوعد، وعزة النفس، والعفة في حالة الفقر، وعدم البطر والافحاش في حالة الغني، والوفاء للصديق، وهذه المحامد والخصال الجميلة هي مما اكتسبها من تجاربه الطويلة ولمخالطته الآخرين، وهو يرى أن السن كفيل أن يهذب الإنسان العاقل، أما الذي يبلغ الأربعين عاما - وهو سن النضج والاكتمال - ولم تكتمل شخصيته ويظهر اتزانة فهذا لا خير فيه ولا أمل في ترقيه، بل على العكس فهو في نزول وانحطاط لصغر عقله واضمحلال شخصيته. والوحدة الموضوعية في هذه القصيدة موجودة، لأنها تتحدث عن موضوع واحد هو الأخلاق الفاضلة وأثر السن والتجربة في اكتسابها، وهي على درجة لا بأس بها من الترابط والانسجام، يقول: ^(١)

إذا ضن المثمر من عيالي
بنصري في الخطوب ولا نوالي
بأمر لا يصدقه فعالي
وأخلاق الدنية من خلالي
إذا ما قل في اللزبات مالي

لقد علمت عميرة أن جاري
واني لا أضن على ابن عمي
ولست بقائل قولا لأحظى
وما التقصير قد علمت معد
وأكرم ما تكون على نفسي

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٢ / ٦٣٩

وتجمل عند أهل الرأي حالي
ولم أخصص بجفوتي الموالي
ولم يذمم لطرفته وصالي
بلوت من الأمور إلى سؤالي
وما حلت الرجال ذوي المحال
عليه الأربعون من الرجال
فليس بلا حق أخري الليالي
من الدنيا يحط إلى سفال
لملمات الحوادث كالخبال

فتحسن نصرتي وأصون عرضي
وان نلت الغني لم أغل فيه
ولم أقطع أخا لأخ طريف
لقد أصبحت لا أحتاج فيما
وذلك أني أدبت نفسي
إذا ما المرء قصر ثم مرت
فلم يلحق بصالحهم فده
وليس بزائل ما عاش يوما
وذلك في الرجال إذا اعترتهم

وللصلتان العبدى قصيدة من اثني عشر بيتاً تحدث فيها عن أثر السنين في الإنسان وحاجاته التي لا تتوقف أو تنتهي إلا عند الموت، ثم يشير إلى رأي عامة الناس في الغني وأثره في الملاء ومكانة صاحبه في المجتمع وكأنه يدين هذه النظرة التي تحصر قيمة المرء في المال. ويتأسى الشاعر بلقمان الحكيم فيوصي ابنه بجملة من الوصايا النافعة كحفظ السر وعدم اطلاع ثالث عليه لكي لا يشيع وينتشر، وإن يواجه الأخطار بشجاعة حتى يتغلب عليها، ولا يقول من الشعر إلا الحكيم النافع والا فليصمت فذلك خير من الهزل. يقول: (٢)

كر الليالي ومر العشي
أتي بعد ذلك يوم فتي
وحاجة من عاش لا تنقضي
وتبقي له حاجة ما بقي
أروني السري أروك الغتي
وأوصيت عمرا ونعم الوصي
فكن عند شرك خبء النجي

أشاب الصغير وأفني الكبير
إذا أهرمت ليلة يومها
نروح ونغدو لحاجاتنا
تموت مع المرء حاجاته
إذا قلت يوما لمن قد تري
ألم تر لقمان أوصي ابنه
بني غدا خبء نجوى الرجال

وسر الثلاثة غير الخفي
إذا ما سواد بليل خشي
من الليل يخشي كما تختشي
فان الكلام كثير الروي
وبعض التكلم أدني لعي

و سرك ما كان عند امرئ
فكن كابن ليل على أسود
فكل سواد وان هبته
أرد محكم الشعر ان قلته
كما الصمت أدني لبعض اللسان

وهناك قصيدة لشاعر من عبد القيس عاش في العصر العباسي، وهي ليموت بن المزرع، وعدتها أحد عشر بيتا، وجهها إلى ولده مهلهل، وفخر فيها بعلمه، وزهد ولده في المناصب والجاه، ولقنه أدب اكتساب العلم، وأشار فيها إلى أثر الاحتكاك والخبرة في صقل العقل، وشكا فيها من ضيق ذات اليد، وعبر فيها عن قلقه على ولده بعد وفاته، ولكنه وجد في لطف الله العزاء والسلوي. وهي وان بدت مختلطة الاحساسات متشعبة المشاعر، فيها فخر وشكوي وقلق وتوجيه، إلا انها لا تخرج بوجه عام عن حدود الوحدة الموضوعية، يقول : (٣)

وكافحني به الزمن العنوت
فأذعن لي الحثالة والرتوت
كريم غته زمن غتوت
وأبناء العبيد لها التخوت
مخافة أن تضيع اذا فنيت
بمثلك ان فنيت وان بقيت
فلا تقطعك جائحة سيوت
ولا تلفتك عن هذا الدسوت
فذل له وديدك السكوت
يقال ومن أبوك فقل يموت
بعلم ليس يجحده البهوت

مهلهل قد حلبت شطور دهري
وجاريت الرجال بكل ربع
فأوجع ما أجن عليه قلبي
كفى حزنا بضیعة ذي قديم
وقد أسهرت عيني بعد غمض
وفي لطف المهيمن لي عزاء
وأن يشدد عظمك بعد موتي
فجب في الأرض وأبغ بها علوما
وان بخل العلم عليك يوما
وقل بالعلم كأن أبي جوادا
يقر لك إلا باعد والأداني

(٣) مهلهل بن يموت بسرقات أبي نواس، تحقيق محمد هداره، مقدمه المحقق ص ١٧، دار الفكر العربي بالقاهرة.

وبعد الشاعر العبدى المعاصر محمد سعيد الخنيزى صاحب القدح المعلى فى هذا المجال، فقد امتازت جل قصائده بالوحدة الموضوعية والعضوية، وبهذا التوحد استطاع الشاعر أن يضع لكل قصيدة من قصائده عنوانا خاصا بها، فأكثر قصائده الحكيمية والتأملية تتسم بالوحدة الموضوعية وجلها عالج موضوعا تأمليا هو فكرة الحياة والموت، ورسالة الشاعر فى الحياة، فى قصيدة (النهر الطروب) وعدد أبياتها أحد عشر بيتا يعلن الشاعر تجرده لأداء رسالة الشعر واحتشاده لهذا الأمر الهام، ولكي يكون قادرا على ذلك يقرر أن يتخلص أولا من همومه الشخصية ثم أداء رسالة الشاعر فى تصوير هموم الآخرين والعمل على تخفيفها، والبداية كانت اعلان خروجه من دائرة همومه الشخصية، وتأكيد هذا الخروج والتحرر بأداة النفي المزدوجة الدالة على الاصرار والصمود (لا لن). ويستمد صوره وتشبيهاته فى تصوير حاله من البيئة الطبيعية مشبها عطاءه بالنهر المتدفق وصموده بالجمال الراسيات. فى البيت السابع كما يقول الشاعر (مفتاح الحياة)، وعليه ترتكز سائر الأبيات، وفى البيتين الآخرين يلخص الخنيزى الفكرة التى بسطها فيما سبق، وهى أن الفكر الحقيقى هو الذى ينفع الناس، وهو الذى يقوم على الفهم والعلم لا على الوهم والتخليط، وقد كان الفعل المضارع الدال على التجدد والحدوث مدار أحداث القصيدة، كما كانت روح الثقة ونغمة الاعتداد عماد ارادة الشاعر فى اتخاذ القرار. يقول: (٤)

لا لن أضيق بعالم الأحداث صدرا
سأظل كالنهر الطروب يضاحك الأنوار ثغرا
يسقي الصحاري والحقول فينبت الأحلام زهرا
أنا فى العواصف كالجمال تكون للأحداث قبرا
أنا كالمراهم للجروح أسيل فوق الجرح عطرا
والليل إن أرخى الظلام طلعت فى الظلماء بدرا
والصبر مفتاح الحياة ولا يطيق الناس صبرا
ورسمت أحلام الشباب تجسدت فى الدهر سطرا
ومسحت آلام الفقير فصارت الآلام تبرا
والفكر ما يبني الحياة وكان فيها العلم فكرا
إن الحياة خواطر فيها يمر المرء ذكرا

(٤) ديوان سعيد الخنيزى : شمس بلا أفق : ١٣٣

وفي قصيدة الخنيزي (سراب) رمز الشاعر إلى المصائب بالليالي بجامع الظلمة والوحشة في الكل، واعتمد في بناء قصيدته ذات التسعة عشر بيتا على فعل الطلب الايجابي والسلبى (أفعل - لا تفعل) حيث كان الأمر اثني عشر فعلا وكان النهي أربعة أفعال، ومن هذه الأفعال تشكلت جزئيات الأحداث، وكان القصيدة وصية موجهة من الشاعر إلى سائر الشعراء، ويستعين الشاعر بالتشبيه في توضيح غرضه، فالانسان في هذه الحياة بمثابة الزوق الصغير وسط بحر كبير تتقاذفه العواصف من كل ناحية، وما من انسان أفلت من هبة ريح عاتية في يوم من الأيام، ثم ان هذه الحياة تنتهي إلى عدم، وبقاء الانسان فيها إلى حين، فهو كالظل الزائل، وتأسيسا على ذلك يرسم الشاعر فلسفته الداعية إلى مواجهة الحياة الصعبة بالابتناسم والتفاؤل، داعيا غيره من الشعراء إلى تبني هذه الفكرة الرشيدة القائمة على مواساة الناس وتخفيف آلامهم، ويرمز الشاعر باليوم وهو الطائر الذي يكثر بالليل ويسكن الخرائب إلى شاعر الشؤم، وينعي على بعض الجهلة انخداعهم بهذا الصنف المغرور المخرب، ووصفهم اياه بالهزار، وهو الطائر المغرد، بينما هو في الحقيقة عاجز عن التحليق في أجواء الشعر بسبب غروره وسوء تفكيره، ويلاحظ استخدام الشاعر لأدوات الحصر حيث وردت (إنما) ثلاث مرات و(إلا) مرة واحدة. يقول: (٥)

عر منها ولا تضق بالبلاء
داف في عاصف من الأهواء
انما الكون عالم الأشقياء
من كنوس تفيض بالبرحاء
داث صفق في وجهها بالرجاء
من وكن باسم كوجه الفضاء
سوف تطوي كهذه الأفياء
راء كالفجر مشرق الآلاء
م وقالوا هذا هزار السماء
هاض جنحيه عاصف الخيلاء

الليالي لا تبتئس أيها الشا
أنت فيها كالزورق التائه المج
لا تظل الحياة إلا شقيا
أي فرد لم يجرع الم فيها
فابتسم للخطوب والليل والأحـ
لا تكن ضيق الفؤاد مع العيـ
انما هذه الحياة سراب
ابتسم كالزهور كالليلة القمـ
لا يغرنك معشر قدسوا البو
نفخوا فيه كي يطير ولكن

يف مثالا مموه الكبرياء
غ تمحي بالريح دون ذكاء
ر و غن الحياة لحن الصفاء
ت حسانا سحرية الأغراء
ليل تسفر ظلماؤه بالضياء
س عليه في زحمة الظلماء
ك وفي عاصف من الارزاء
وحلق في عالم الشعراء

رفعوه جهلا على قمم الز
انما هذه الضفادع كالأصبا
فترنم يا شاعري بالمزاميد
واخلق اليوم من حياتك جنا
أرسل الشعر كوكبا وسط هذا الد
وأرفع المشعل الذي يهتدي الننا
اننا في الحياة نمشي على الشو
خل دنيا الرعاع يا شاعر الحب

وما ينفك الخنيزي في العديد من قصائده عن الحديث عن دوره في الحياة كشاعر يتغني بجمال الطبيعة، ليدخل السعادة والسرور إلى قلوب القراء والسامعين، فتلك رسالة آمن بها الشاعر وحرص على أدائها بكل جد ومثابرة، والقصيدة التي بين أيدينا وعددها ثلاثة عشر بيتا يتنازع بطولتها اثنان هما الشاعر نفسه وأسماء وهي احدي عرائس شعره، ويتجلى دورها في استنهاض همة الشاعر في أداء رسالته في الحياة، وهي ابداع الشعر الجميل الذي يحمل معه البهجة والرغبة في الحياة وتحمل أعبائها بتفاؤل وابتسام. ويبدأ بناء القصيدة بسؤال تطرحه فتاة خياله عليه فيه العجب والاستغراب عن سبب صمته وتوقفه عن الانشاد في فصل الربيع خاصة، حيث الجمال والتفتح والبهاء، على الرغم من شاعريته الفذة التي جعلت الزهر يسكر من فرط سروره ويشيع سره في رائحته الذكية انها تكرر ندائها له بلقب خلعتة عليه، وهو نجي الطيور والحقل والورد، طالبة حثه أن ينشد شعره الذي يشبه في اطرابه حنين الأوتار ونغم العود ونسمة الصباح المشرق، وتمضي في إلحاحها في أن يقوم بالانطلاق مع الطبيعة والتمتع بجمالها والتمتع بها وأن يعيش كما تعيش الطيور المنطلقة المغردة على الدوام. وحيث أن محور القصيدة يعتمد على الحث والترغيب والطلب فقد استعان الشاعر بفعل الأمر الذي تردد في النص ثمانى مرات، كما استعمل الشاعر بعض الصور البيانية كالتشبيه والاستعارة، ولجأ إلى الاطناب لاعطاء المزيد من الابانة والايضاح وتقرير المعني في الذهن. يقول : (٦)

(٦) ديوانه : شمس بلا أفق : ٧٣

سألتني أسماء ذات مساء
ما الذي أسكت الهزار عن
أيها الصادح الذي أسكر الزهر
عد إلى وكرك الجميل وردد
يا نجى الطيور والحقل والور
ما حنين الأوتار ما نغم العو
غير ألحانك التي هي فجر
قم إلى الحقل وأطرح القيد وانهض
قم إلى الصبح فهو في الروضة الغناء
أنهب العين والذادة في الحق
وأطرح عنك كل عبء ثقل
ملكك الجو والفضاء فخلق
انما أنت طائر يتغني

عن سكوني وحيرتي وفتوري
الشدو وهذا الربيع فجر الطيور
ر فذاعت أسرارها في العبير
نغمات مع الصباح البكور
د ترنم على أغاني الغدير
د وما نسمة الصباح المنير
ودموع لجرح قلب كبير
ل حياة مملوءة بالسرور
يحبو على بساط الزهور
ل فما أنت غير ظل قصير
أنت حر تعيش مثل الطيور
بجناح الخيال والتفكير
بجمال الطبيعة المأثور

وللخنيزي قصيدة عنوانها (لا تقولي) وهي تتكون من أربعة عشر بيتاً. شكل العنوان الأساس الأول في بنائها، ولعب تكراره سبع مرات دوراً أساسياً في التعبير عن الحالة النفسية للشاعر، فعروسة شعره تحدّثه عن الموت وتذكره بعالم الأموات وفناء كل شيء في الحياة ونحو ذلك مما تنفر النفوس من سماعه، وهو يطلب منها الكف عن هذا القول الذي يبعث الحزن والشجن، وقد استخدمت صوراً قوية، وكانت الاستعارة المكنية هي مادة هذه الصور (كطي الحياة وموت الغرام وغفوة الأحلام وسكب الفؤاد في راحتين، كما استعملت ألفاظاً ذات صدى رنان وصيحة شديدة، ومن ذلك تذكيره بما سيحدث له في القبر من عبث جيوش الديدان بجثته في القبر. وفي رده على فتاة خياله تبرز أنا الشاعر في مواجهة الفقد لتؤكد خلودها فتتكرر في النص عدة مرات وتظهر في صورة التشبيه المتعدد الألوان، فهو كشاعر صاحب رسالة في الحياة، يشبه الزهر العاطر والحن الشجي والنهر الخالد والبدر المنير والشجر الوارف الظلال، وفكره المنير الباقي كالثرى والشمس وكالفجر. فشعره الذي هو قطعة منه يجعله حياً على الدوام، وإن غاب جسده. وحيث أن الشاعر يتحدث عن شيء لم يقع بعد، وإنما يتوقع حدوثه مستقبلاً، فقد استعمل الفعل المضارع،

والماضي المقترن بإذا الدالين على المستقبل، المحرك الرئيس للأحداث في هذا النص.
يقول: (٧)

ويموت الغرام شيا فشيا	لا تقولي ان الحياة ستطوي
وتغفوا الأحلام في مقتلنا	و يموج الديدان في الشجر والحد
وسكبت الفؤاد في راحتنا	لا تقولي لقد أثرت شجوني
صداه يرن في أذني	لا تقولي فان صوتك لا زال
زهرا عاطرا ولحنا شجيا	لا تقولي فانني سوف أغدو
في فم الدهر كوثرنا علوي	سوف أغدو بعد الحياة حديثا
أنا كالخشب يفرش الجذب فيا	أنا كالبدن ضاحكا في الروابي
جدول يملأ السبابس ريا	أنا في الكون قطرة فاض منها
ومات الربيع في شفتنا	لا تقولي اذا ذوي غصني الرطب
من الشعر مشرقات المحيا	و توارت وراء عيني ألوان
وزهور جفت على شاطئنا	و تلاشت على فمي بسمات
كان يزهو في أفقه كالثرنا	لا تقولي قد غاب فكر منير
تمد الحياة نورنا سنيا	لا تقولي فانني أنا كالشمس
زهرات تفوح عطرا زكيا	أنا في الفجر والندي والروابي

وفي قصيدة الخنيزي التي عنوانها (إليها) يوجه الشاعر إلى احدي عرائس شعره وصيته الأخيرة من خلال مرثيته لنفسه وتتطلق الوصية أو المرثية من ضمير الفصل المتكلم (أنا) لتأكيد الحضور متبعا ذلك بحرف الشرط (إن) الدال على المستقبل، محددًا زمن الموت وهو (غد) الذي يعني أول النهار، وما ينطوي عليه من معني التعلق بالحياة، أما دلالات العدم فهي (حين يصبح هامدا كالحجر) (جامد العين) (جهم الوجه) (كئيب المنظر) (طعمة الديدان)، ثم مجرد خيال عابر، يقول : (٨)

(٧) ديوانه : شيء اسمه الحب : ٤٥

(٨) ديوانه : النغم الجريح : ٢٧

خيالا يطوف بالأذهان
ولفت أشلاه في النسيان
غاب الشعاع من اجفاني
أك بالأمس زينة الندمان
وأمسيت طعمة الديدان

أنا ان مت في غد وتحولت
وانطوى شخصي الكئيب من الكون
وتحولت هامد الحس كالأحجار
نفر الصاحب خائفين كأن لم
والفضا جهمت يداه محياي

ثم يأتي جواب الشرط ضمن الجملة الاستفهامية، التي تجسد الهاجس المقلق للشاعر وهو خوفه من نسيان الحبيبة لعهود الحب والصفاء، ولكن قلقه سرعان ما يزول، حين يتذكر أن حياته لا تزال باقية من خلال ديوان شعره الذي لا يموت بما انطوي عليه من قيم ومثل وذكريات وأحلام وآمال وآلام وكل شيء في حياته ذي بال. ان الشاعر يوصي المحبوبة أن تفتح ديوانه لتعلم ان صاحبه حي متجدد على مر الزمن كتجدد الفجر، وان دوي الناعي مهما كان قويا لا يعني انعدامه بل حضوره، وان كان موت جسده يستدعي بكاءها الهادي الرقيق، فان انشادها لشعره يعني وجود روحه وبقاء فكره، وكذلك فإذا كان نعشه الحامل لجثمانه، يرمز إلى وفاة الشاعر وبيعث على الحزن والرغبة، فان تغنيها بمقطوعات من شعره، لحظة رفع الموكب لجثمانه واتجاهه نحو القبر يعني حضور الشاعر واضطراب فواده بين صفحات ديوانه، وهنا تظهر ذاتية الشاعر، واستيقاظ الذاتية هنا يمثل وجها آخر من وجوه الأنا تصويرا لحالة الفقد وتأكيذا على ماضي الذات المجيد، ومن مظاهر الذاتية قوله (أك بالأمس زينة الندمان) وقوله (صدى الناعي يدوي بصوته الرنان) وقوله (كبرياء الممات والأحزان). ثم يجسد الشاعر كل القيم التي حرص على تزويد فتاته بها، ويشير إلى المحافظة على هذه القيم القائمة على الايمان والوفاء، ويطلب من صاحبتة أن تلقي نظرة وداع عليه قبل أو يودع في مثواه الأخير. يقول:

كطيور الربيع في الأغصان
وجفت أزهاره والأمان
جديد على ممر الزمان
تمد الحياة بالألوان
يدوي بصوته الرنان

هل تصونين عهدنا يوم كنا
أم نقولين قد مضى وانطوي الحب
افتحي سفر حبنا فهو كالفجر
صور لا تزال فيه وأطياف
افتحيه اذا سمعت صدي الناعي

مثالا للعالم الروحاني
وأذيبني الحنان في الألحان
كبرياء الممات والأحزان
من قصيدي يرف فيها جناني
عامر بالوفاء والإيمان
نظرة للوداع والحرمان

تجديني مصورا ملء عينيك
افتحيه وابكي بقلب رقيق
ان بدا نعشه الذي جللته
فانشدي خلف موكبي قطعات
زوديني بخفقة من فؤاد
زوديني بنظرة من فؤاد

ويمضي الشاعر في وصيته لحبيبته، فيطلب منها ان تزور في المساء محط ذكرياته، وهو الوقت الذي كانا يلتقيان فيه عند ضفة النهر الخضراء، من غير أن يحس بهما احد، فزيارتها بالنسبة له كهمس النسيم في أغصان الشجر. وعليها أن تقوم بتذكير تلك الضفة سالف الذكريات الجميلة، التي شهدتها وشهدت مبلغ حبه لها وشغفه بها، حتى كانت له بمثابة نور عينيه، ومنهل قلبه الظمآن، ويطلب منها قبل مغادرتها لموئل الذكريات أن تقطف وردة، وتزرعها على قبره، بدموعها القانية اللون. يقول :

كهمس النسيم في الأفنان
يتجاوبن كالصدي في كياني
في ظلال الغرام عند المجاني
ومعين بقلبي الظمآن
ورويه بالدموع القواني

ثم زروي المساء ضفتي الخضراء
ذكرىها بأمسياتي اللواتي
حين كنا نستلهم الحب شعرا
حين كنا وانت نور بجفني
واقطفي وردة وميلي على القبر

ويواصل الشاعر وصيته لفتاه أحلامه، فيطلب منها أن تعود إلى غرفته الخاصة وأن تجلس فيها حزينة مضطربة، وأن تنظر إلى جلال الموت المحيط بجو الغرفة، مطمئنا إياها بظهوره إليها وتجليه في الفجر والأقحوان الأبيضين اللذين ترردا في شعره، واستعملهما رمزا للدعوة إلى الطهر والنقاء والحيوية والتجدد، طالبا منها أن تمثل مكانه في قرص الشعر، وأن تتخيله حيا يشاركها حياتها، وتقرأ شعره لتجد صورته وقلبه بين يديها، وكأنهما يعيشان بروحيهما معا في عالم الوجدان، يقول :

واجلسني في كآبة الحيران

ثم عودي لغرفتي بخشوع

في سماها تطوف والجدران
أتجلي في الفجر في الأقحوان
أنزل الشعر من سماء الجنان
ونور الخيال بين بناني
وما فيه من ضروب الأماني
هو حي يرعي النجوم الدواني
فهما ناطقان في ديواني
وليل الآلام والأشجان
روحي في عالم الديدان

وانظري روعة الممات أطلت
لا تخافي من وحشة الموت أني
مثليني اذا أخذت مكاني
مسلمًا فكري الشريد إلى الشعر
مثليني حيا أشاركك العيش
غالطي النفس ثم قولي اليها
ثم عودي لصورتني وشعوري
أقرئيه ففيه فجر ابتساماتي
أقرئيه كأنما شاهدت روحك

ولعل المرأة التي وجه اليها الشاعر وصيته، ترمز إلى جزء من الحياة بكل عوامل حيويتها وجمالها ورونقها، والتشوق لها هنا تشوق للحياة، والحديث عنها حديث عن الدنيا البعيدة وعن عالمها المفقود بالنسبة للشاعر، ولما كانت مرثبة الشاعر لنفسه تتضمن الوصية، فقد اعتمدت أحداث القصيدة بالدرجة الأولى على فعل الأمر الذي تردد فيها أربعاً وعشرين مرة. كما تكرر بعض هذه الأفعال عدة مرات لما لها من دور خاص في بناء القصيدة ذات الوحدة الموضوعية، ففيما يتصل بديوان شعره يتكرر طلب فتحه وقراءته ست مرات باعتبار أن هذا الديوان هو الوجه الآخر لوجوده وهمزة الوصل التي تربطه بالحياة. وعلي الرغم من طول هذه القصيدة التي بلغت اثنين وثلاثين بيتاً فقد جاءت متلاحمة الأجزاء تجمعها وحدة الفكر والشعور .

وفي قصيدة (من أنت) وهي من عشرة أبيات يبدأ الشاعر بأداة الاستفهام (من) ويجيب عنها اجابة حائرة مترددة تحمل النقيضين (ملاك - شيطان) ثم يفصل في الأبيات التالية ما أجمله في البيت الأول تفصيلاً يتكئء اتكاء كلياً على التكرار، ويقوم على التقابل والمطابقة، وعلى التذييل والتتيم، وعلي التشبية الكاشف للمعني. وينتهي في البيتين الأخيرين إلى النتيجة، وهي تقدير دور الشعر في سمو النفس، وتخليصها من هموم الحياة، مع اعلان عجزه عن تفسير التناقض في النفس البشرية العميقة الأغوار. يقول :^(٩)

(٩) المصدر السابق : ١٧

أنت شيطان شقي قاهر
فكانك الصبح الطروب الزاهر
فكانك الليل الدجي الكافر
توحي الشعور فتستقر خواطر
قتصيخ أذان لها ومشاعر
في عرشك الفضى ملك باهر
فكانك البحر الخضم الهادر
فكانما أنت الخيال السافر
وسموت بالشعر الذي هو طائر
حار اللبيب بها وضل شاعر

من أنت يا نفسي ملاك طاهر
اني أراك مع الظلام ضحوكة
وأراك في الصبح الجميل حزينة
و أراك أحياناً نبيا ملهما
صور تحرك قلب شعب جامد
وأراك في دنيا الخيال مليكة
وأراك في أفق اضطراب ثائر
وأراك في الأفق البعيد طليقة
أقلت من سجن الهموم وقيدها
اني أراك من التناقض صورة

وفي قصيدة (الصديق الضائع) يلخص الشاعر نتيجة تجربته في البيت الأول من خلال أسلوب النفي، ثم يفصل أحداث تلك التجربة في الأبيات الباقية، متخذاً من البدر محورا أساسيا لهذه الأحداث. ويبدأ دور البدر في البيت الثالث حين يطرح عليه الشاعر أسئلته حول الصداقة والصديق وأنواع الأصدقاء. حتى يأتي الجواب في البيت الأخير معلقا غير حاسم، وإن كان السياق العام يوحي بعدم وجود الصديق المثالي كما يشير إلى ذلك العنوان. وقد اعتمد الشاعر في بناء قصيدته على عدة أدوات فنية ونحوية وبلاغية، أهمها التكرار الذي جمع بين عناصر مختلفة من هذه الأدوات كالحال الذي تكرر تسع مرات مثل (باحثا - مشرقا - صادق الود - حافظا - يفديك - يواسيك - تمثال وهم - تمثال كذب - حلما) وكالفعل الماضي (شهد) الذي تكرر خمس مرات، و(هل) المفيدة للتصديق التي تكررت ثلاث مرات، وأم المنقطعة الدالة على الاضراب التي تكررت مرتين إلى جانب تكرار لفظ (الصديق) سبع مرات باعتباره قطب رحي الموضوع، كما استند بناء القصيدة على أسلوب التطابق والمقابلة بين الصديق الحقيقي والكاذب، وذلك في الأبيات رقم (٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨)، والسؤال : هل لاختيار الشاعر للبدر ليكون حكما في هذه المسألة معني محدد أو فلسفة معينة ؟، والجواب نعم، فالبدر هو مثال الجمال والتمام والكشف والايضاح والمناجي الأكبر للساهرين في الليل، وهو مصدر الهام الشعراء وموضوع تأملاتهم وتشبيهاتهم الجميلة، يقول: (١٠)

لا تفتش طيات هذا الوجود
طالما قد سهرت أرنو إلى النجم
أيها البدر هل شهدت خليلا
هل شهدت الصديق يفديك بالمال
و الصديق الذي يواسيك في الخطب
لا الصديق الذي يفيض رياء
أم شهدت الصديق تمثال وهم
أم شهدت الصديق تمثال كذب
هل شهدت الصديق حلما تراءى
فاذا البدر هامس بصدي الوحي
ان هذا السؤال قد حار فيه

باحثا عن صديقك المنشود
وللبدر مشرقا في الورود
صادق الود حافظا للعهود
وبالنفس ذاك أقصى الحدود
وفي مذبذب الشقاء الشديد
من ضمير مصور من حقود
خلقته رؤي الخيال الشرود
ورياء مزخرف في البرود
فتواري وراء أفق بعيد
بأذني مسهد مجهود
عبقري من قبل رب القصيد

ولسعيد الخنيزي قصيدة مكونة من أربعة عشر بيتا عنوانها (نجمة الفجر) كان أسلوب النداء حجر الزاوية في بنائها، وقد صحب الشاعر نجمته منذ بداية القصيدة وحتى نهايتها فأشركها أولا في بثه وشكواه من قسوة الدهر معه وجور الزمان عليه، كما أشركها أخيرا في تمنياته أن يعيش الناس جميعا في خير وسعادة ومحبة ونقاء، وقد اعتمد الشاعر في التعبير عن مشاعره المختلطة والمتناقضة على أسلوب الاطناب الذي تمثل في التكرار القائم على الجملة الفعلية والاسمية. وقد أصبحت القصيدة بهذا الأسلوب الذي تكرر أربع عشرة مرة أشبه ما تكون بفاصلة موسيقية متعددة النغم والألوان إلى جانب ما أضفاه الجناس التام في البيت العاشر من جرس موسيقي عذب كذلك كان لأدوات الاستفهام هل المفيدة للتصديق وكيف المبينة للحال وأي المحددة للسبب والنوع، أثر في إبراز شكوي الشاعر، وكأنه يسجل اقرار النجمة لما يلقاه من الدهر من عناء وبؤس، ولم يقتصر أثر التكرار على الجانب الشكلي فقد كانت له دلالاته الواضحة على نفسية الشاعر المترجحة بين اليأس والرجاء والألم والأمل وقد جاءت أكثر أحداث النص في صورة الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار، كما لعب النعت والحال دورا في إضفاء المزيد من الوضوح والحركة والحيوية في الأسلوب، بالإضافة إلى ما أضفته الصور المتمثلة في التشبيه والاستعارة من ابانة وقوة وجمال، كما نجد ذلك في تشبيه دموع القلب بالأسهم الحمراء،

والاستعارة المكنية في مد الدهر جناحيه ونحو ذلك، ولم يخل النص من الطباق المميز للأشياء كما في الضياء والظلماء وغيره. يقول: ^(١١)

نجمة الفجر هل شهدت دموعي	وأنيني وزفرتي وبكائي
هل شهدت الفؤاد يجري دموعا	تتهادي كأسهم حمراء
هل شهدت آمالي البيض تتد	حل ظلاما في فجرها الوضاء
نجمة الفجر ما الدموع وما القل	ب سوي خفقة الأماني الوضاء
تتلاشي من قلبي الخافق الول	هان في عالم الفضا اللانهائي
انظري الدهر كيف يقسو على الح	ر فيلقيه في خضم البلاء
انظري الدهر كيف مد جناحي	ه على قبة السنا اللاآء
ان ظل الشقاء يمشي بظلي	أنا عبد للشهوة الحمقاء
أي وتر تراه للدهر عندي	أنا عبد أسير رهن القضاء
أنا عبد أسير في عالم الأر	ض أسير الخطوب رهن الشقاء
نجمة الفجر والأماني شجون	أتمني الضياء في الظلماء
أتمني الحياة أطياف خلد	ونعيم في واحة خضراء
أتمني الحياة حبا وطهرا	كملاك مصور من ضياء
حيث روعي تسمو إلى الأفق السد	حر فتحيا في عالم الأنبياء

ومن ناحية الموسيقى الخارجية في قصائد محمد سعيد الخنيزي الحكمية فقد جاء أكثرها في البحر الخفيف ثم المديد فالرجز فمشطور الكامل، أما القافية فقد استعمل في رويها حرف الراء بكثرة ملتزما ألف التأسيس في بعضها كما في قصيدته التي مطلعها :

يا شبابا تائها في دربه حائر الفكر شريد خاطر

وقوله أيضا :

من أنت يا نفسي ملاك طاهر أم أنت شيطان شقي قاهر

(١١) ديوانه : شمس بلا أفق : ٦٧

والتزم في بعضها حرف الياء الذي قبل الروي كما في قصيدته التي اولها :

سألتني أسماء ذات مساء عن سكوني وحيرتي وفتوري

وفي بعضها الآخر التزم ألف الاطلاق التي بعد الروي، كما في قوله :

لا لن أضيق بعالم الأحداث صدرا

كما استخدم روي الدال التي قبلها مد، فيقول في مطلع قصيدته (الصديق الضائع) :

لا تفتش طيات هذا الوجود باحثا عن صديقك المنشود

واستعمل النون رويا في قصيدته (اليها) ملتزما حرف المد قبلها أيضا. يقول :

أنا إن مت في غد وتحولت خيالا يطوف في الأذهان

كما استعمل الياء المطلقة رويا في قصيدته (لا تقولي) التي تبدأ بقوله :

لا تقولي إن الحياة ستطوي ويموت الغرام شيئا فشيئا

واستعمل حرف النون رويا ملتزما حرف الرفع قبلها، وذلك في قصيدته (في ظلال عكاظ) وفيها يقول :

عبد القيس تطل في كوة الأمـ س وتزجي الخطا إلى العرفان

وفي قصيدته الحوارية الطويلة استخدم الخنيزي عدة قواف ضمت روي الميم والراء والدال والهمزة والحاء، وكلها كانت مردفة بحرف المد الذي قبلها. وقد بدأت القصيدة بخطاب الهيكل للروح في الأبيات التي مطلعها :

حدثيني يا نفس عن أفق الروح وكيف الحياة في الأرحام

وقد أجابته الروح بالأبيات التي أولها :

أيها الهيكل الذي ان تجرد ت من الروح كنت كالأحجار

واستمر الحوار بينهما حتى نهاية القصيدة التي بلغت تسعا وأربعين بيتا، وقد اتخذت من الخفيف قالبا موسيقيا لها. واستعمل الخنيزي الهمزة المكسورة رويا في قصيدته التي مطلعها :

نجمة الفجر هل شهدت دموعي وأنيني وزفرتي وبكائي

كما وفر الخنيزي لقصائده بعض الموسيقى الداخلية المتمثلة في الجناس الناقص الاشتقائي، كما في قوله :

أنا كالمرامح للجروح أسير فوق الجرح عطرا

وكما نري في قوله :

بين عقل يحس كل خفي وفؤاد يجلو خفايا الصدور

وكما في قوله أيضا :

لست أدري سر الحياة ولا الموت وسرا لاتراح والأفراح

وهكذا نجد أن الشاعر محمد سعيد الخنيزي يكاد ينفرد بين شعراء عبد القيس بهذا الكم من القصائد المستقلة بموضوع الحكمة .

رابعاً

الألفاظ والمعاني

جاءت حكمة العبديين في عمومها سهلة الألفاظ قريبة التناول، واضحة التراكيب، عذبة الكلمات، دقيقة التعبير، سواء ما ورد منها على لسان شعراء الجاهلية أو الاسلام، نجد هذا في شعر المتقرب العبدى وغيره، فقد تميز أسلوب هذا الحكيم الجاهلي بالسهولة والوضوح - غالبا - كما نرى في قوله : معلنا رأيه الصريح وموقفه الحكيم من الصنف المتلون من الناس والصنف الوقح منهم. (١)

ان شر الناس من يكشر لي حين يلقاني وان غبت شتم
وكلام سىء قد وقرت عنه أذناي وما بي من صمم

وسجل يزيد بن خذاق في ألفاظ مألوفة وكلمات سهلة حكمة قبيلته في اتخاذها الموقف المناسب من مكر النعمان بن المنذر، عندما قرر غزو قبيلة الشاعر، وبين أنها جاهزة لرد عدوانه بكتائبها الساحقة للمعتدين. يقول : (٢)

ان تغز بالخرقاء أسرتنا تلق الكتائب دوننا تردي
و مكرت معتليا مخنتنا والمكر منك علامة العمد

واستطاع الممزق العبدى بألفاظه الرقيقة السهلة وعباراته السلسة، أن يستل غضب النعمان، ويظفر بالعفو منه، بسبب اتهامه بالاشتراك مع الثائرين في عمان، موضحا بالحجة عدم وجود ما يدينه من كفالة موقعة أو اتفاق مكتوب، فيقول : (٣)

فان كنت مأكولا فكن انت أكلا والا فأدركني ولما أمزقي
اكفلتني أدواء قوم تركتهم والا تداركني من الهم أغرق
فلا أنا مولا هم ولا في صحيفة كفلت عليهم والكفالة تعتق

(١) ديوان المتقرب العبدى : ٢٣٠

(٢) الضبي : المفضليات : المفضلية ٧٨

(٣) الأصمعي : الأصمعيات : الأصمعية : ٥٨

وفي وضوح تام، ولغة تقترب في سهولتها من لغة هذا العصر، يدعو ابن خذاق العبدى إلى المجازاة بالسوء ومنع الناحية، فيقول: (٤)

امنع من الأعداء عرضك لا تكن لحما لأكله يعود يشنوى

وإذا كانت السهولة والبساطة من سمات شعراء عبد القيس، فإن المسألة ليست مسألة بساطة وإنما هي مسألة اختيار كلمات، تؤدي دورها في إبراز العاطفة والشعور، فليست الألفاظ في بساطتها هي المحك ولكن الطاقة أو العاطفة التي يسبغها الشاعر عليها هي التي تحدد قيمتها. (٤) فالمثقب العبدى عندما أراد أن يشبه مغتابا والغا في اعراض الناس استخدم لفظة الضرم التي تعني في الأصل اشتعال النار لتدل على شدة الجوع عند الأسد :

لا ترانسي راتعا في مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم

والشاعر حريث العبدى رأي في كلمة يخر احياء بحركة ليس أنسب منها في وصف السيف الذي يحمل الموت للدفاع عن الشرف : (٥)

مهذ منه الردى يخر الأما اليوم الذي يفر

وابن المقرب العيونى عندما اراد التعبير عن يقظته واستعداده لما يطمح اليه، استعمل كلمة طلقى القوية التأثير : فيقول : (٦)

يا جفوني طلقى عنك الكرى انما طيب الكرى بعد السهاد
ما الذي يقعدني عن همتي والمنايا رائحات وغوادي

والأمثلة كثيرة إذا رحنا ننتبعها، فحكمة العبديين في جملتها من هذه النماذج السهلة الألفاظ الواضحة المعاني، ويعلل د. المعيني : سبب ذلك في قوله (ولعل مصدر هذه السهولة البيئة المدنية، فإن المدن والمناطق الساحلية كانت أكثر استقرارا وتحضرا فلانت

(٤) البحترى : الحماسة ١٦٩، العالم : شعراء البحرين في العصر الجاهلي ٢٢٨ (مخطوط)

(٥) نفسه ٣٩

(٦) ديوان ابن المقرب ١٨٠

لغتھا وسهل شعرھا، وقد لاحظ ابن سلام أن عدي بن زيد انما لان لسانه وسهلت أشعاره لأنه يسكن الريف والحيرة. ومن هنا فان اتصال العبدیین بالأمم الحضارية القريبة منهم والبعيدة عنهم كان له أثر في سهولة لغتهم ووضوح عباراتهم قد يكون هذا وذاك وهم على أي حال غير قابعين في معامل التعبير والتقيق الشعري فلا يتصنعون العبارات ولا يغتصبون الألفاظ وانما صدروا عن طبع سهل في بيئة حضارية فجاء شعرهم سهلا في ألفاظه صافيا في كلماته واضحا في تراكيبه ومعانيه (٧).

ونحن نرى هذه السهولة عند الشعراء الآخرين الذين شاطروا عبد القيس في بيئتها المدنية، فما لك المزموم الذهلي - وهو من شعراء البحرين القدماء - لم يجد أحسن من لفظة (طيروني) للتعبير عن سرعة خروجه من البلاد بعد ان يئس من عدل الحكام، حتى صارت ناقته هي وطنه المتقل. يقول : (٨)

طيروني عن البلاد وقالوا ما لك النصف من بني الحكام
ناق سيري قد جد حقا بنا السير وكوني جواله في الزمام

ولكن ذلك لا يعني عدم وجود بعض الكلمات الغريبة والتراكيب العويصة والصعبة، كما نرى في قول أم النحيف العبدية : (٩)

ما زال ذو البغي شديدا هيصه
يطلب من يقهره ويهصه
ظلما وبغيا والبلاء ينشصه
حتى أتاه قرنه فيقصه
فغاد عنه خاله وعرصه

(٧) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ٢٠٨ - قسم الدراسة.

(٨) المرزباني : معجم الشعراء ٣٦٣

(٩) المرزباني : أشعار النساء : ٩١ تحقيق سامي العاني وهلال ناجي، الهيص : العنف بالشئ. يهصه : يدقه ويكسره. ينشصه : يقهره، يقصه : الوقص : كسر العنق. عرصه : العرض : النشاط

ونجد في حكمة ابن المقرب بعض الغريب، من ذلك قوله : (١٠)

ولج باب الخمول فذا زمان أباح اليعر لحم الشيزمان
أأخلد بين خب أسحوان يما كرني وجلف حنظيان

ويقول أيضا : (١١)

وحافظ على الذكر الجميل فانما يصير الفتى أحدث في الشكانك
ولا ضارع طوع المني يستقرني إلى مقرف رجم الظنون الأوافك

وقد استعمل المتنقب العبدى ألفاظا ليست في المعجم، وإن كانت مألوفة، من ذلك كلمة (لطم) في قوله :

باكر الجفنة ربعي الندى حسن مجلسه غير لطم

وفي المفضليات أن هذا الجمع ليس في المعجم. ويقول المتنقب :

يطيف بنصبهم حجن صفار فقد كانت حواجبهم تشيب

وكلمة حجن لم ترد في المعاجم، كما يذكر محقق الديوان، ومعناها صبيان (١٢)

كما تسربت إلى شعر العبديين - وعلى رأسهم المتنقب - العديد من الألفاظ الأجنبية، ولا سيما الفارسية، عن طريق الاختلاط والاحتكاك بهؤلاء القوم، من ذلك كلمة (قنطار) الفارسية التي استعملها المتنقب حينما تحدث عن البدرات التي تؤخذ من مال ملك تجبي له الغرائب وتصل إلى سبعين قنطارا من الذهب :

من مال من يجبي ويجبي له سبعون قنطارا من العسجد (١٣)

(١٠) ديوان ابن المقرب : ٦٢٥ - اليعر : الجدي - الشيزمان : الذئب.

(١١) نفسه : ٣١٣ - الشكانك : الجماعات من الناس . المقرف في النسب : الهجين.

(١٢) ديوان المتنقب : ٢٦١

(١٣) نفسه : ١٣

وعند حديثه عن رحلاته اللاهية والجادة، ووصفه لناقته بالضخامة والقوة، استعمل الشاعر لفظتي دكان ودربان، فارسيتان الأولى بمعنى الحانوت أو دكه الرحل، والثانية بمعنى البواب، فيقول : (١٤)

فأبقي باطلاي والجد منها كدكان الدراينة المطين

وفي وصف ابو محمد العبدى الهمذاني صورة شبديز وصفا يقوم على التأمل والاعتبار، نجد شيئا من الفارسية، فيقول : (١٥)

من ناظر معتبر أبصرت	مقلته صورة شبديز
تأمل الدنيا وآثارها	في ملك الدنيا أبرويز
يوقن أن الدهر لا يأتلي	يلحق موطؤا بمهموز
أبعد كسري اعتاض من ملكه	بخط رسم ثم مرموز
يغبط ذو ملك على عيشة	رنق يعانيها بتوفيز

ومن ذلك (روزنة) كما في قول أبي المظفر العبقي (١٦)

و ضاق لأجل عينك كل قلب لأن العين روزنة القلوب

ومن غير الفارسية (جدث) بمعنى القبر، وهي من أصل عبراني، وقد وردت في شعر مسعود بن سلامة عندما طلب من صاحبتة ألا تلومه على شجاعته وانفاق ماله في وجوه الفتوة والفروسية ما دام الانسان يسير إلى قبر تذروه الرياح : (١٧)

أقلي على اللوم اني صائر إلى جدث تسفي عليه الأعاصر

وقال عمرو المحاربي وهو يبيكي الريان بن حويص صاحب هراوة عبد القيس داعيا لقبيره بمطر هطول : (١٨)

(١٤) المصدر السابق : ٢٠٠

(١٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان : ٣/ ٣٢٠

(١٦) الباخري : دمية القصر ٤٨١/٢ - دار العروبة بالكويت. والسيد ادى شير : الألفاظ الفارسية المعربة ٧٢ - مكتبة الآباء اليسوعيين - بيروت

(١٧) البحتري : الحماسة : ٢٠٥

(١٨) الكلبي : أنساب الخيل. ص ٩٠ - الدار القومية للطباعة والنشر.

وإلى جانب الألفاظ الدخيلة ورد في المصادر أن عبد القيس كان لها ألفاظ تستخدمها خاصة بها مثل (معين وأقواع ومجداف)، كما أنهم كانوا يستعملون ألفاظ التضاد، ومنها لفظة (جلل) التي تعني العظيم والصغير، إلا أنهم استعملوها بالمعني الثاني، يقول المتقّب العبدى : (١٩)

غير يوم الحنو في جنبي قطر

كل يوم كان عنا جللا

و تقول ابنة حكيم العبدية : (٢٠)

قتل اليوم حكيم بن جبل

يا آل عبد القيس أزري بالأمل

كل شيء ما خلا هذا جلل

قطعت رجل أبي من ساقه

يقول د. المعيني : "وليس الأمر في هذه الدراسة أن نتتبع كل الكلمات الأعجمية ولا أن نتحرى عن جميع مفردات اللغة العبدية والبحرانية، فهذه مسألة في حاجة إلى بحث طويل ليس مكانه هنا، ومن جانب آخر فإن شعر العبديين كما ذكرنا لم يصل إلينا كاملا لنقف فيه على مثل هذا البحث وتلك الظواهر " (٢١). وحول تعليل تأثر لغة عبد القيس بالألفاظ الأعجمية يقول المعيني : "وكل ما أردناه من تعقبنا لبعض المفردات والكلمات أن نشير إلى أن لغة عبد القيس تأثرت بالمواطن والمراكز الحضارية وبلغات الأمم التي اتصلت بها، وأشهر تلك الأمم الفرس، ومن هنا كان هذا الظهور للمفردات الفارسية في لغة العبديين، وقد لاحظ الباحثون المفردات الفارسية في شعر الأعشى والمتلمس وأبي داود الأيادي وعدي بن زيد، وذلك لصلتهم وصلة قبائلهم المباشرة وغير المباشرة مع الفرس" (٢٢). ويقول د. مصطفى عبد اللطيف : "يمكن أن نلاحظ بصفة عامة أن الحكمة والوعظ والرثاء المباشر تمتاز بلغة ما تزال حية في اللسان العربي" (٢٣).

(١٩) ديوان المتقّب : ٧١

(٢٠) الحلبي : الأضداد ١ / ١٤٩

(٢١) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي/ قسم الدراسة ص ٢١١.

(٢٢) نفسه ص ٢١١.

(٢٣) الحياة والموت في الشعر الجاهلي ص ٢٥٥.

وكذلك لم تكن معانيهم غامضة في جملتها، وقد جاء بعضها جديدا مبتكرا، فغلب على أفكارهم شرف المعنى وصحته، وجدته وطرافته، يقول ابو عمر بن العلا أن ما قاله يزيد ابن خذاق العبدى في ذم الدنيا هو أول شعر قيل في هذا المعنى ولعله يعني أبياته التي منها: (٢٤)

ولما رأيت الدهر وعرا سبيله وأبدي لنا ظهر أجب مسلعا
وجبهة قرد كالشراك ضئيلة وصعر خديه وأنفا مجدعا

ويري أحمد بن أبي طاهر أن الفرزدق أخذ أبيات الأعمى العبدى التي أولها :

إذا أغبر آفاق السماء وكشفت ستور بيوت الحي حمراء حرجف
والتي كان آخرها :

تري جارنا فينا يجبر وان جنى فلا هو مما ينطف الجار ينطف
فأخذها الفرزدق من قصيدته التي مطلعها : (٢٥)

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حوراء ماكنت تعرف
أما قول الأعور الشني :

إذا ما المرء قصر ثم مرت عليه الأربعون عن المعالي
و لم يلحق بصالحهم فدعه فليس بلحق أخري الليالي
فقد أخذ معناه الخريمي فقال : (٢٦)

إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن له دون ما يهوى حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى وأن جر أذيال الحياة له الدهر

(٢٤) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ٢١١

(٢٥) الموشح : ١٧٤ - نهضة مصر

(٢٦) الخالديان : الأشباه والنظائر ١٢٨/٢

ويقول المتقّب العبدى :

لا تقولن اذا ما لم ترد
حسن قول نعم من بعد لا
أن تتم الوعد فى شىء نعم
وقبىح قول لا بعد نعم

وقد أخذ أحد الشعراء هذا المعنى فقال :

إذا قلت فى شىء نعم فأتى
و الا فقل لا تسترح وترح بها
فان نعم دين على الحر واجب
لنلا يقول الناس أنك كاذب

ولعل شوقى حين قال :

و ما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

نظر إلى بيت ابن المقرب، وهو قوله (٢٧)

انما تدرك غايات المنى
بمسير او طعان أو جلاذ

وربما أخذ شعراء عبد القيس بعضهم من بعض، فقد اخذ عمرو الشنى من الأعور
الشفى أبياته التى أولها :

وعوراء جاءت من أخ فرددتها
بسالمة العينين طالبة عذرا

وكل ما فعله أنه غير القافية، وبعض الكلمات. يقول : (٢٨)

وعوراء جاءت من أخ فرددتها
ولو أننى اذ قالها قلت مثلها
ولم أأخذ فيما مضى بيننا جرما
ولم أعف عنها أورثت بيننا صرما
ولم أتخذ ما فات من حلمه غنما
لأظهرت للاقوام فى وجهه وسما
وإني لأعفو عن ذنوب كثيرة
وأعطف من نفسى اذا لم أخف هضما

(٢٧) ديوان ابن المقرب ١٧٦.

(٢٨) الخالديان : المختار من شعر بشار ١١٠، ١٠٩ تحقيق السيد محمد العلوى - لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

وأخذ أبو البحر الخطي تشبيهه في قوله : (٢٩)

فمكة وهي أشرف كل أرض تحمل ظاعنا عنها الرسول

من قول ابن المقرب الذي كان أكثر تفصيلا، حيث يقول : (٣٠)

فقد رحل المختار عن خير منزل إلى يثرب تسري به العيس مصعدا
و جاور في أبناء قبيلة إذ رأى سبيل العدا والبغض من قومه بدا

أما المثل المعاصر الشائع (ضرب به عرض الحائط) فقريب في معناه مما ورد في
قول الشاعر العباسي أبي هفان العبدي، يقول ساخرا : (٣١)

المال يستر كل عيب في الفتى والمال يرفع كل وغد ساقط
فعليك بالأموال فاقصد جمعها واضرب بكتب العلم وجه الحائط

ولعل المثل المتداول في الأوساط الشعبية (ما تحرق النار الا رجل واطيها) مأخوذ من
قول ابن المقرب : (٣٢)

ولا تلفت إلى قول يزيد ضني (لا تحرق النار الا رجل واطيها)

ولم يفت شعراء عبد القيس الاستفادة من معاني السابقين، ومن هؤلاء ابن المقرب الذي
استعان لاثراء حكمته بثقافته الأدبية الواسعة، وكان يأخذ معاني سابقيه، ويصوغها حكما،
ولكنه كان يتصرف فيها بالاضافة أو التغيير في بعض الجزئيات، وكان معينه الأول
دواوين شعراء الجاهلية، فقد أخذ قوله : (٣٣)

ومن لم يبيع رزق الأسنه لحمه أبيح حماه واسترقت حلالته

من قول وهير :

(٢٩) ديوان أبي البحر الخطي : ٨٦

(٣٠) ديوان ابن المقرب : ١٥٥

(٣١) مقدمة كتاب أبي هفان : أخبار أبي نواس بتحقيق عبد الستار فراج : ١٢٠

(٣٢) ديوان ابن المقرب : ٦٥٠

(٣٣) نفسه : ٣٣٨

يذمم ومن لا يتقي الشتم يشتم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه

كما نظر في قوله : (٣٤)

ومات أذل من فقع بقاع

ومن هاب المنايا أدركته

إلى قول زهير أيضا:

وان يرق أسباب السماء بسلم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه

و أخذ قوله : (٣٥)

أشد على الأحشاء حرا ولاهبا

بلى ان ظلم الأقربين وجدته

من قول طرفه :

على المرء من وقع الحسام المهند

و ظلم ذوي القربى اشد مضاضة

و استمد قوله : (٣٦)

وعرفت ما يبدي وما يتغيب

و لقد حلبت الدهر أشطر نابه

من قول لقيط الأيادي :

يكون متبعا طورا ومتبعا

ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره

ونظر في قوله : (٣٧)

إذا أنت عوذ الراقي ولا النشر

وليس تدفع عن حي منيته

(٣٤) المصدر السابق: ٢٦٦

(٣٥) نفسه : ٣٩

(٣٦) نفسه : ٨٦

(٣٧) نفسه : ٢٣٤

إلى قول يزيد بن خذاق :

أم هل له من حمام الموت من راقى

هل للفتى من بنات الدهر من واق

ويقول ابن المقرب : (٣٨)

قليل افتكار في أمور العواقب

و ما بلغ العليا إلا ابن حرة

وهو من قول جعفر بن علباء :

يرى غمرات الموت ثم يزورها

لا يكشف الغماء الا ابن حرة

ويقول المثقب العبدى على لسان ناقتة : (٣٩)

أما يبقي على ولا يقيني

أكل الدهر حل وارتحال

ولابن المقرب بيت قريب من هذا، يقول : (٤٠)

أما لدنو دارك من تداني

أكل الدهر نأى واغتراب

ولعل ابن المقرب في قوله : (٤١)

واني لأدناها اذا ناب مغرم

و اني لأقصاها اذا ناب مغرم

تأثر بقول عنتره :

أغشى الوغى وأعف عند المغرم

ينبئك من شهد الواقعة أننى

(٣٨) المصدر السابق : ٦٦

(٣٩) ديوان المثقب : ١٩٨

(٤٠) ديوان لبن المقرب : ٦٢٥

(٤١) نفسه : ٤٤٩

أما قول ابن المقرب : (٤٢)

جوارك ضبعانا وسيدا وخفددا

وخير جوار من عدو مكاشح

فانه يذكرنا بقول الشنفرى :

وأرقط زهلول وعرفاء جبال

ولي دونكم أهلون سيد عملس

هذا إلى جانب تأثره الواسع بالمتنبى . كما رأينا فيما سبق . كما عارض ابن المقرب بعض سابقيه من فحول الشعراء ، فصاغ شعره على نهجهم ومنوالهم ، من هؤلاء قطري بن الفجاءة صاحب العينية التي مطلعها :

من الأبطال ويحك لن تراعي

أقول لها وقد طارت شعاعا

فقد نظم ابن المقرب عينية له عدتها ثلاثة وخمسون بيتا، سلكت مسلك السابقة في البحر والقافية، وربما في بعض المعاني والألفاظ والصور . والقصيدة ذات شقين متساويين الأول في الحكمة والثاني في الفخر، وفي القسم الأول وضح الشاعر منهجه في الحياة، وهو منهج القوة والاقدام والمفاخرة في سبيل المجد والكرامة، مستندا إلى أسلوب الاستفهام الاستنكاري تارة، وإلى أسلوب النفي تارة أخرى، وهو في أسلوب الاستفهام يحتكم إلى العقل والمنطق، فكل تجمع يؤول إلى فراق، وكل حي مآله إلى الموت، والأمل في بر الله ورحمته عظيم، أما في الأسلوب الثاني وهو النفي فيحتكم إلى العاطفة الفوارة الراضية للذل والهوان والضعف والخور . يقول : (٤٣)

فما خوف المنية من طباعي

ردى مر الحتوف ولا تراعي

بصدق العزم صار إلى اتساع

وعزما صادقا فلکم مضيق

تصيره المنون إلى انصداع

أحفل بالفراق وكل شعب

سينعاه إلى الأقوام ناع

وأرهب أن أموت وكل حي

وربي بالكرام أبر راع

وأخشى الفقر والدنيا متاع

(٤٢) المصدر السابق : ١٥٤

(٤٣) نفسه : ٢٦٦

بعيد اليأس داعية اجتماع
ملاقيها بأراء شعاع
وباع في المكارم أي باع
لدي ولا حياتي في اتضاع

وكم من فرقة طالت فكانت
ولست اذا الهموم تأوبتتي
ولكني سألهاها بعزم
وان الموت في طلب ارتفاع

وقد ضمن ابن المقرب قصيدته بالبيت التالي :

"فما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط متاع"

وهو من شعر ابن الفجاءة في تلك العينية، يقول أحمد الخطيب " وحين نقرأ هذه القصيدة نستشعر بروح قطري الخارجي تطالعنا في ألفاظه ومعانيه، كما لا نحس أدنى اختلاف في موسيقاهما القوية الصاخبة التي تخلع القلوب ^(٤٤) "، وعلي الرغم من ان قصيدة ابن المقرب من قبيل المعارضات التي يتكئ فيها الشاعر اللاحق على الشاعر السابق، إلا أن قصيدة شاعرنا كان لها نكهتها وخصوصياتها إلى جانب ما تميزت به من الطول، يقول د. الخطيب : "أيضا: ولكن قارئ ديوان ابن المقرب لا يحس أن هذه القصيدة تمثل نغما نشازا بين قصائده، فقد ارتفع فيها ابن المقرب إلى قطري بالاتكاء على قصيدته، وجاءت قصيدة شاعرنا منسجمة تماما مع طبعه ونفسه، كما استطاع أن يطبعها بطوابعه، ويلقي عليها ظلا من نفسه وفنه، وأن يجعل منها عملا فنيا ذا شخصية مستقلة لا يعيبه أن يتمثل تجربة سابقه ^(٤٥) "

وعارض ابن المقرب نونية ابن زيدون التي مطلعها :

أضحى التتائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

بقصيدة طويلة عدتها اثنان وستون بيتا، بدأها بالشكوى مما آلت اليه البلاد في عهد أميرها أبي القاسم مسعود بن محمد، من تمكين الأعداء وتقريبهم، واقصاء الأقربين الناصحين والأصدقاء المخلصين، ومطلعها : ^(٤٦)

(٤٤) شعر على بن المقرب العيوني ٢٤٦

(٤٥) نفسه

(٤٦) نفسه : ٦١١

بعض الذي نالنا يا دهر يكفينا

فامنن ببقيا وأودعها يدا فينا

وتشتمل القصيدة على أبيات حكمية صيغت بأسلوب نقدي ساخر، كقوله :

فالحمد لله حمدا لا نفاذ له
خافت بنو عمنا أمرا يعاجلنا
فلم تدع لمرج سلب نعمتها
هذا هو الحزم والرأي السديد فلا
والفقر في أرضنا خير لصاحبه
لما يعانيه رب المال من تعس
فانظر أبا العقل والتدبير ان له
لم يهتد المرء كسري أن يدبره

اذ لم يكن ضعفنا الا بأيدينا
من قبل الحاق تالينا بماضينا
ارضا قراحا بأيدينا ولا لينا
تظنه القوم زهدا في مغاينا
من الغني والقليل النزر يرضينا
في أرضنا لا لأن المال يطغينا
شأننا عظيما ودونه الدواوينا
وكان أرجحها عقلا وتمكينا

كما تأثر ابن المقرب بروح أبي تمام في قصيدته التي مطلعها :

السيد أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

فنظم قصيدته التي مطلعها : (٤٧)

بيني فما أنت من جدي ومن لعبي

ما لي بشيء سوى العلياء من أرب

وتتقارب القصيدتان في بعض أبياتهما، كما في قول ابن المقرب

الضاربي الهام في يوم تخال به الشمـ

س المنيرة قد غابت ولم تغب

فهذا القول يماثل قول أبي تمام في بانيته :

فالشمس طالعة من ذا وقد افلت

والشمس واجبة في ذا ولم تجب

يقول د. الخطيب : فابن المقرب - كاي شاعر آخر - قد تأثر بفحول شعراء العربية بعد أن قرأ أسفارهم ووعاها، وقد أسهمت هذه القراءة أو الاحاطة - دون شك - اسهاما حسنا ملحوظا في تكوين شاعريته، وفي تحديد أبعادها، ولكن ذلك كله لا يعيب قدر شاعرنا فتلك سنة الشعراء. منذ قديم الزمن. (٤٨)

وتشيع الروح الاسلامية في ألفاظه ومعانيه، وتقتبس أحيانا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما يشير إلى تضلعه في الثقافة الاسلامية، ففي قوله : (٤٩)

و صل واحتمل واخفض جناحك رحمة لهن ولا تقطب عليهن حاجبا

تأثر بقوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) . وفي قوله : (٥٠)

فان ساءني منهم على القرب معشر وأصبح من تلقائهم ما أكابد

فقد باعت الأسباط قبلي أخاهم بيخس وكل منهم فيه زاهد

فالببيت الثاني يشير إلى قوله تعالى : (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) . وجاء معنى قوله تعالى : (لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) في قول ابن المقرب :

و لست بمفراح بمال أفيده لعمري ولا أسي على أثر هالك

وتكرر هذا المعني أيضا في قوله : (٥١)

وما أنا في السراء يوما فروحها ولا أنا في الضراء يوما جزوعها

وتمثل بمعنى قوله تعالى (ولكل وجهة هو موليها) في قوله أيضا : (٥٢)

(٤٨) شعر على بن المقرب ٢٤٧

(٤٩) ديوان ابن المقرب : ٤٠

(٥٠) نفسه : ١٤٣

(٥١) نفسه : ٢٥٨

(٥٢) نفسه : ٦٥٠

ووجهة هو عن قصد موليتها

فإن لحولك فقل كل له شجن

وفي قوله : (٥٣)

بسوء ولا باتت له عقرب تسري

و عف فلم يمدد إلى مسلم يدا

اقتبس ابن المقرب معني الحديث الشريف (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).
وقد يضمن شعره حكما فقهيا، كقوله : (٥٤)

ولكن يحل الشيء وهو حرام

و ما ذاك مني باختيار ولا رضا

فهو يشير هنا إلى الحكم الفقهي (الضرورات تبيح المحظورات)

أما قول محمود الوراق :

وساعدت نفسه فيها أمانيتها

يهوي البقاء فان مد البقاء له

لما يري من تصارييف البلي فيها

أبقي البقاء له في نفسه شغلا

فقد اختصره عبد الصمد بن المعذل العبدي في قوله : (٥٥)

وانما يفني من البقاء

يهوى البقاء رهبة الفناء

ويستعين زياد الأعجم ببعض ألفاظ القرآن الكريم في قوله : (٥٦)

وان أغب فلأنت الهامز اللمزة

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة

حيف على الناس أن يغتابني غمزة

ما كنت أخشى وإن طال الزمان به

(٥٣) المصدر السابق : ٢٠٤

(٥٤) نفسه : ٤٨٢

(٥٥) ابن طباطبا : عيار الشعر : ١٣٢ - دار العلوم بالرياض

(٥٦) شعر زياد الأعجم : ٧٨ - تحقيق يوسف بكار - دار المسك

وكذلك يفعل محمد الخنيزي، فيستمد بعض ألفاظه ومعاني شعره من القرآن الكريم.
يقول :

لست أدري سر الحياة ولا الـ موت وسر الاتراح والأفراح
ذاك صنع الخلاق مبدع هذا الكون والروح (فالق الاصباح)

وقد تأثر الخنيزي بإيليا أبي ماضي تأثراً واضحاً، سواء في اتجاهه المتفائل في الحياة بشكل عام، أم في بعض المعاني والأغراض الشعرية، أو في استنتاجه حكمته ونظرياته من مظاهر الطبيعة المختلفة. فكثيراً ما نجده في قصائده مثل إيليا متأملاً متفلسفاً حائراً قلقاً يظهر للناس ابتسامته ويخفي حزنه، فإذا ما خانته صبره في لحظة ما، وأظهر شكواه وتبرمه، بادر بتغليب جانب البهجة، والأمثلة على ذلك عديدة، وإن شئت فاقراً قصيدة الخنيزي التي مطلعها :

سألتني أسماء ذات مساء عن سكوني وحيرتي وفتوري
ما الذي أسكت الهزار عن الشدو وهذا الربيع فجر الطيور

تجدها قريبة إلى حد كبير من قصيدة أبي ماضي المنشورة في خمائله وعنوانها (وقائلة) وهي تلخص مذهب الشاعر في الحياة، وطريقته التي سار عليها أمام الناس، وذلك أن صاحبه سأله لما ذا هجر الشعر وتوقف عن اظهار اعجابه بمحاسن الطبيعة وجمال الربيع، وما بال نفسه سكنت فجأة، ويئست برغم أنه في ريعان شبابه، وأوج بهائه، وحوله الدنيا جميلة مغرية. فيجيبها الشاعر بما يطمئنها ويشفي غليلها، يقول: (٥٧)

فما حطمت يد الأيام روعي وان حطمت أباريقي ودني
و لم أعقد على خوف لساني ولا ضنا على الدنيا بقني
و لكني امرؤ للناس ضحكي ولي وحدي تباريحي وحزني

وقد اكثر شعراء عبد القيس من استخدام أسلوب الطلب لاحداث المشاركة الوجدانية بينهم وبين السامع، أو لتحقيق أغراض نفسية وتربوية، ويعود سبب ذلك إلى أن قسما كبيرا من حكمتهم اشتملت على النصيح والتوجيه والوصية، يقول المثقّب العبدى مستعملا صيغة النهي الارشادية :

لا تقولن اذا ما لم ترد أن تتم الوعد في شيء نعم
ويقول أيضا مستخدما أمر الارشاد ونهيه :

فعالج جسيمات الأمور ولا تكن هبيت الفؤاد همه للوسائد

ويقول نشبه بن عمرو العبدى مستخدما نهى التحذير :

يا أيها المحتفي بالدهر يمدحه لا تأمنن فسادا بعد اصلاح

ويقول الأعور الشني مستعملا أمر الارشاد:

و هون عليك فان الأمور بكف الاله مقاديرها

و يستعمل أبو المياح العبدى نفس المعنى، فيقول :

إذا خفت من دار هوان فولها سواك وعن دار الأذى فتحول

ويقول نفيل بن مرة مستخدما أمر الارشاد :

إذا ما امرؤ أسدي اليك أمانة فأوف بها ان مت سميت وافيّا

وقد أكثروا من الالتماس في مخاطبتهم لزوجاتهم أو عرائسهم الشعرية ودعوتهم إياهن إلى الكف عن لومهم على فتوتهم. يقول مسعود بن سلامه :

أقلي عليّ اللوم اني صائر إلى جدث تسفي عليه الأعاصر

ويقول عبد الصمد بن المعذل :

أعاذلتي أقصري أبـع جدتي بالمنن

واستخدم حكماء عبد القيس وبخاصة أهل الجاهلية منهم أفعالا مشتقة من صيغ التبليغ، وكأنهم بذلك يريدون اذاعة الخبر أو يطلبون من السامع تبليغه للناس، فمن ذلك قول عمرو بن أسوي : (٥٨)

ألا ابـلغا عمرو بن قيس رسالة فلا تجزعن من نائب الدهر واصبر
و يقول أنس بن مساحق : (٥٩)

ألا أبـلغا خلتي رشدا وصنوي قديما اذا ما اتصل
كما استخدموا أسلوب الاستفهام يريدون بذلك إيصال الأخبار والحقائق للناس وتثبيتها، يقول الممزق العبدى : (٦٠)

أكلفـتني أدواء قوم تركتهم والا تداركني من البحر أغرق
و يقول يزيد بن خذاق :

أحسبـتنا لحما على وضم أم خلـتنا في البأس لا نجدي
و يقول مسعود بن سلامة مخاطبا صاحبه : (٦١)

ألم تعلمي أن قد ترحل أخوتي جميعا وأخواني الذين أعاشر
ولعل أكثر شعراء عبد القيس استخدموا لهذا الأسلوب ابن المقرب العيوني وسعيد الخنيزي، أما ابن المقرب فقد لجأ إلى استخدام كافة أساليب الطلب وتكثيفها في شعره، ويكاد رصيد الشاعر من أساليب الأمر والنهي والاستفهام يسير في ثلاثة خطوط

(٥٨) البكري : معجم ما استعجم ٨١/١ تحقيق مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت

(٥٩) المرصفي : أسرار الحماسة ص ١ و ٢ مطبعة أبي الهول - القاهرة ١٩١٢

(٦٠) الحماسة : البحترى : ٢٢١

(٦١) نفسه : ٢٠٥

متوازية، وربما كان مرد انتشار صيغ الأمر والنهي في شعره إلى وفرة الحكمة واتساع مساحة النص، ولم ينصح الناس والحكام فحسب، بل انه يوجه هذه الصيغ للحديث مع نفسه، فيأمرها ويستحثها وينهاها^(٦٢)، وتعاورت صيغة الأمر والنهي في أسلوبه في طلب الارشاد حين يقتضي الموقف هذا التلوين الأسلوبي الذي أجاد الشاعر استخدامه فأضفي جوا من الحيوية على أبياته، وهو ما يقتضيه أسلوب الحكمة من مثل هذا التجاور والتعاور، يقول: (٦٣)

لا تسألن الناس فضل نوالهم	والله والبيض الصوارم فاسأل
واجعل رسولك ان بعثت إلى العدي	رزق الأسنة فهي أصدق مرسل
واعلم هديت ولا أخالك جاهلا	أن الرسول يبين فضل المرسل

كما يتعاقب الأمر والنهي في مقام نصح الحكام، وأهل الحل والعقد في مواطنه، كقوله من قصيدة بعث بها إلى ابن أبي جروان، وكان من زعماء الاحساء : (٦٤)

و أحذر أصحاب النصائح واحد	تـرس منهم فكلهم أخو كيسان
لا تحسبن الكلاب يوما دافعا	بالنبح صولة ضيغهم غضبان

وقوله في نصح الأمير أبي منصور على بن محمد العيوني : (٦٥)

لا تـركنن إلى العدو ولا تطع	آراء من في حبل غيرك يحطب
وأعص الذليل اذا أشار ولا تثق	في الكائنات بكل من يستصحب

أما رصيده الوافر من أساليب الاستفهام، فلعل مرده إلى احباطه وحيرته وقلق نفسه، لذا كثر هذا الأسلوب، وانتشر انتشارا واسعا في شعره، وتعددت معانيه التي أجاد الشاعر استغلالها لخدمة أغراضه، و يتقدم الاستفهام الانكاري والتعجبي على سائر معاني هذا الأسلوب، ويشكل تفوقا ملحوظا في مواطن شكواه بخاصة، كقوله : (٦٦)

(٦٢) أحمد الخطيب : شعر على بن المقرب العيوني ٣٢٤

(٦٣) ديوان ابن المقرب ٤١٢

(٦٤) نفسه : ٦٤١

(٦٥) نفسه : ٩٠

(٦٦) نفسه : ٦٥٨

أجاجا ويسقي الغير عذبا وصافيا

آلام بني الأعمام نسقي نطافها

وقوله : (٦٦)

إلى شامت أو باكيا أتظلم

أصبر إما شاكيا متعتبا

كما أكثر من استخدام التمني في مواقف الشكوي، كقوله : (٦٨)

تغادر دار القوم ربعا معطلا

وهل أصبح الأعداء منكم بصيلم

وتغدو خطوظ الغير أوفي وأكملا

أيصبح حظي فيكم وهو ناقص

ويلحظ أن استخدام التمني يأتي غالبا في عدة من الأبيات المتتالية، وقلما يحدث ذلك في سائر معاني هذا الأسلوب، كقوله من استفهام النفي في موقف الحث والنصح: (٦٩)

فتي لو طيس الحرب مازال مفندا

وهل مات من خوض الردي قبل يومه

وهل فاز راض مورد الذل موردا

وهل ساد راض مرتع الذل مرتعا

ملك تمطي الملك كهلا وأمردا

وهل عز بالأعداء من قبل تبع

لو أن المدارى راح بالخلد واغتدى

وهل طاب عيش بالمدارة أو صفا

وقد يلجأ إلى أسلوب الاستفهام في مقام الاعتاظ والاعتبار، ونلاحظ في هذه الحالة تلاحق الاستفهام في عدد من الأبيات المتتالية، مما يترك أثره الواضح في إثارة إيقاع هذه الأبيات، يقول : (٧٠)

ساد القبائل من عاد ومن ارم

أين الملوك وأرداف الملوك ومن

أولاد حمير والسادات من عمم

وأين طسم وأولاد التتابع من

ويكثر توظيفه للاستفهام في حث قومه على النهوض ودعوتهم إلى القتال، ومنه قوله: (٧١)

(٦٧) المصدر السابق : ٤٥١

(٦٨) نفسه ٣٦٧

(٦٩) نفسه ١٤٩ و ١٥٠

(٧٠) نفسه : ٤٨٥

(٧١) ٤٥٧

وكم يعترينا ضيمها واهتمامها
بنات الوغى يعلو الروابي قتامها

إلى كم مداراة العدي واحترامها
أما حان يافرعى ربيعة أن أرى

أما أسلوب الطلب في حكمة الخنيزي فقد جمع بين الارشاد والالتماس، وقد أكثر هذا الشاعر من طلب الارشاد في صيغتي الأمر والنهي، إلا أن الصيغة الأولى كانت الغالبة، من ذلك قوله في الأمر الارشادي :

وغن الحياة لحن الصفاء
جنات حسان سحرية الاغراء
الليل تسفر ظلماؤه بالضياء

فترنم يا شاعري بالمزامير
واخلق اليوم من حياتك
أرسل الشعر كوكبا وسط هذا

ويقول جامعا بين الأمر والنهي الارشاديين :

ث صفق في وجهها بالرجاء
ن وكن باسمك كوجه الفضاء

فابتسم للخطوب والليل والأحدا
لا تكن ضيق الفؤاد مع العيب

ونراه أحيانا، مكررا أمر الارشاد على سبيل الحث والتشجيع، ومستعملا اللفظة ذاتها لتوفير معادلات صوتية وموازنات ايقاعية، كقوله : (٧٢)

فكن أملا أخضرا كالربيع فتورق دنيا كدنيا الزهر
وكن نسمة كحنان الربيع تضمد عطفها جراح البشر
وكن جدولا يملأ الخافقين فيسقي القلوب ويسقي الفكر

وقد يرد هذا الأمر الارشادي غير مكرر، كقوله يخاطب الشباب :

تبصروا الدين كفجر سافر

ارفعوا البرقع عن أبصاركم

(٧٢) ديوان سعيد الخنيزي النغم الجريح ١١٤

كما أكثر الخنيزي من استعمال الأمر والنهي المتضمنين معنى الالتماس، وقد تكررت هاتان الصيغتان بنفس اللفظ في أول الأبيات، مما أضفي على الأسلوب نغما موسيقيا جميلا، كما في قوله في الأمر : (٧٣)

افتحي سفر حبنا فهو كالفجر	جديد على ممر الزمان
افتحيه اذا سمعت صدي الناعي	يدوي بصوته الرنان
افتحيه وابكي بقلب رقيق	وأذيني الحنان في الألحان

و يقول ناهيا : (٧٤)

لا تقولي لقد أثرت شجوني	وسكبت الفؤاد في راحتيا
لا تقولي فان صوتك لازا	ل صداه يرن في أذنيا
لا تقولي فانني سوف أغدو	زهرا عاطرا ولحنا شجيا

و جاءت صيغة الأمر الالتماسي غير مكرره كما في قوله :

فانشدي خلف موكبي قطعات	من قصيدي يرف فيها جناني
------------------------	-------------------------

(٧٣) المصدر السابق : ٢٩
(٧٤) ديوان شىء اسمه الحب : ٤٥ و ٤٦

خامسا

التصوير والتلوين البديهي

كان التشبيه أداة شعراء عبد القيس الرئيسية في التصوير ،و قد كانت صورهم مادية في معظمها، استمدوها من واقع حياتهم وبيئتهم، فجاءت في كثير منها بسيطة واضحة، نري فيها صور السبع، حين يشبه المتقّب العبدى المغتاب الذي ينهش في أعراض الناس بهذا الحيوان. يقول : (١)

لا تراني راتعا في مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم

ونري فيها صور الملاحين، حين يخاطب يزيد بن الخذاق ابن المعلى، ويعلن له أنه ليس من هذه الفئة التي ترضى بالجور وتدفع المكوس والضرائب بذلة واذعان : (٢)

ألا ابن المعلى خلتنا وحسبتنا صراري نعطي الماكسين مكوسا

ونري فيها صورة الرجل الملدوغ عندما تطارد الهموم الممزق وتكتنفه الأهوال، يقول: (٣)

تبيت الهموم الطارقات يعدنني كما تعتري الأهوال رأس المطلق

وهذا التشبيه للمدوغ يتكرر عند المتقّب، وقد راح يضم رجليه إلى صدره مخافة أن يتسرب الألم إلى جميع جسمه. يقول : (٤)

فبت أضم الركبتين إلى الحشا كأني راقي حية أو سليمها

ويستعين يزيد بن الخذاق بمفرمة الجزار واللحم عليها عندما أراد أن يصور للنعمان عدم قدرته على الفتك بهم وذبح رجالهم، يقول : (٥)

أحسبتنا لحما على وضم أم خلتنا في البأس لا نجدي

(١) ديوان ابن المتقّب العبدى : ٢٢٩

(٢) المفضليات : المفضلية ٧٩

(٣) الأصمعيات : الأصمعية ٥٨

(٤) ديوان المتقّب العبدى ٢٣٨

(٥) المفضليات : المفضلية ٧٨

وقد أكثر شعراء عبد القيس من استعمال التشبيه الضمني في حكمتهم، كوسيلة من وسائل الاقتناع، والاعتذار، يقول جندل بن أشمط : (٦)

ان أمس منفردا فالبدر منفرد والليث منفرد والسيف منفرد
أو كنت أنكرت برديه وقد خلقا فالبحر من فوقه الأقداء والزبد

ويقول أبو هفان العبدي : (٧)

تعجبت در من شيبی فقلت لها لا تعجبي فطلوع النجم في السدف
وزادها عجا أن رحت في سمل وما درت در أن الدر في الصدف

ويقول أيضا : (٨)

لعمري لئن بيعت في دار غربة ثيابي أن ضاقت على المأكـل
فما أنا الا السيف يأكل جفنه له حلية من نفسه وهو عاطل

ويقول أبو بكر الخالدي معللا امكانية تحول العدو إلى صديق بتحول حصرم العنقود إلى عنب : (٩)

و كـم من عدو صار بعد عداوة صديقا مجلا في المجالس معظما
و لا غرو فالعنقود من عود كرمة يري عنبا من بعد ما صار حصرما

واستعمل ابن المقرب التشبيه الضمني، لتجسيد المعنى، وإبرازه، وتأييده بالدليل المحسوس، فمثلا عند نصيحته للأمير على بن ابراهيم بن جروان بتولي السلطة الآيلة للسقوط، ولكي يعيد إليها قوتها وتماسكها، يطلب الشاعر من هذا الأمير، أن يهتم باصلاح حال العشيرة، ولم شتاتها، فيضرب له الأمثلة المادية على أهمية الأعوان المخلصين، مستمدا ذلك من الحياة الطبيعية حوله، فالنسر رغم قوته لا يستطيع التحليق في الفضاء بلا ريش، والصعو وهو الطائر الصغير جدا لا يقدر على الطيران إلا بأجنحته السليمة الملتفة حوله، والشجرة الضخمة لا تبدو جميلة رائعة الا بأغصانها الوارفة. يقول : (١٠)

(٦) العبدي: التذكرة السعدية للأشعار العربية : ١٥٤

(٧) أبو هفان : أحبار أبي نواس : مقدمة المحقق عبد الستار فراج ص ٨

(٨) نفسه ١٠

(٩) ديوان الخالدين : ٦٤

(١٠) ديوان ابن المقرب العيوني : ٦٤١

حينما فيقعه عن الطيران
حتى يحوز مواكب الغربان
معسودة وتزين بالأغصان

واعلم بأن النسر يسقط ريشه
والصعو ينهضه وفور جناحه
والدوحة القنواء أشين ما تري

وعندما يريد الشاعر أن يحذر أميره من الاصغاء لنصائح أدعياء الصداقة والاخلاص
يشبههم بالنسبة للشاعر بالكلاب التي لا يغني عواؤها عن زئير الأسد، وبالثعالب العاجزة
عن حماية ولد الظبي من الذئاب، وبالبلوم التي لا تستطيع أن تحمي الحمام من الصقر،
يقول:

بالنبح صولة ضيغم غضبان
منعت طلا بالجو من سرحان
باز لما منعتة عن ورشان

لا تحسبن الكلب يوما دافعا
فثعالب الدهنا لو اجتمعت لما
ولو أن الفي بومة صالت على

ويقول أبو البحر الخطي معللا الارتحال عن بلاد الذل : (١١)

فخير من اقامتي الرحيل
وطاول للعزيز بها الذليل
لمن أودي بهمته الخمول
تحمل ظاعنا عنها الرسول

نبت بي أرضكم فرحلت عنها
إذا ذل العزيز بأرض قوم
فليس يسوغ فيها المكث إلا
فمكة وهي أشرف كل أرض

كما استخدموا التشبيه الصريح للكشف والايضاح، يقول محمد سعيد الخنيزي مبينا ما فعلته
السنين من أفاعيل غير سارة، مبتدئا باسم الإشارة الدال على الاتهام : (١٢)

نحوي كأوراق الشجر
م وانداحت مآسي للبشر

هذه السنون تكدست
يبست بها الأحلا

أحلام شيخ بالصغر
ماضي بالواح الذكر

رسمت على صفحاتها
ومضت شريطا تعرض الـ

(١١) ديوان أبي البحر الخطي ٨٦

(١٢) ديوان سعيد الخنيزي شمس بلا أفق ١٣٥

ويستخدم أحد شعراء عبد القيس الشجر - أيضا - كوسيلة من وسائل الايضاح لفكرته التي تقوم على أصالة المزدري عند المنظر وأفن المجتهر عند المخبر على حد تعبير البحرى يقول داعيا إلى مجاملة الناس، وخاصة في بداية الاتصال بهم، وعدم التأثير بالجانب الشكلى أو الظاهرى من شخصياتهم : (١٣)

جامل الناس اذا فاجيتهم	انما الناس كامثال الشجر
منهم المذموم في منظره	وهو صلب عوده حلو الثمر
وترى منهم أثيئا يانعا	طعمه مر وفي العود خور

وهكذا نرى أن شعراء عبد القيس قد اعتمدوا في تشكيل صورة الحكمة على التشبيه بالدرجة الأولى. ولهذه الظاهرة علاقة بحالة الشاعر الفكرية والعاطفية، لأن الحكمة من ثمرات العقل. فالعقل أصل في الحكمة والعاطفة مساعد. والتشبيه لا يستخدم في حالة الانفعال الشديد. وقد استغل الشاعر التشبيه في تبرير حالته النفسية، وفي التبرير قدر كبير من الاحتجاج، ومن شأن هذا الاحتجاج أن يخفف من درجة العاطفة (١٤). وقد شكلت الصور البصرية غالبية هذه التشبيهات، وسبب ذلك يعود إلى أن الشاعر نقل صوراً يراها بعينه، وينقلها لآخرين يمكنهم أن يرونها بعيونهم، وما يري بالعين لا يحتاج إلى تحليل. أما استعمالهم الاستعارة في حكمتهم فقد كان قليلاً. مع أن الشعراء العبديين هم أول من عبد هذا الطريق، ووسعه أمام من جاء بعدهم. يقول شاتم العبدى: (١٥)

ولما رأيت الدهر وعرا سبيله	وأبدي لنا ظهرا أجب مسلعا
ومعرفة حصاء غير مفاضة	عليه ولونا ذا عثانين أجدعا
وجبهة قرد كالشراك ضئيلة	وصعر خديه وأنفا مجدعا
هناك ذكرت الصالحين أولي نهى	وقلت لعمر والحسام ألا دعا

والشاعر هنا يشرح لنا تقلبات الدهر، فهو قد تنكر للعبديين، وشمخ بأنفه، وصعر خده، وتناول وتكبر. وكان على الانسان ألا يركن اليه، فقد طوي أمما كثيرة، والأمر اذن

(١٣) البحرى : الحماسة : ١٣٦

(١٤) انظر لمخير صالح : رثاء الأنباء في الشعر العربى ١٦٠ و ١٦١ - مكتبة المنار - الأردن.

(١٥) أبو تمام : الوحشيات ٢٢٠ دار المعارف - مصر ١٩٦٣

أن يترك النزاع والخصام، ويستمع إلى صوت العقل، ويتأمل في أخبار الذاهبين الأولين،
فذلك أجدي وأنفع^(١٦). ويقول صاحب الموازنة معلقا على أبيات يزيد الشني : تملح بهذه
الاستعارات في هجائه للدهر، وجاء هازلا، ومن مثل تلك الاستعارات احتطب أبو تمام
وغيره من الشعراء. (١٧)

ويتخيل ابن المقرب بعيره وفرسه يشاركانه أحاسيسه، ويتطلعان معه إلى ربي المجد
والشرف، ويقبلان عليه بالعتاب، ويحثانه على المسير والرحيل من دار الهوان والمذلة،
فهذا بعيره قد اشتاق إلى البيداء ينطلق في رحابها بلا قيد ولا عقال. وهذا مهره قد حن إلى
الصحراء يعدو فيها بين طرد وطراد، وهو يصور احتجاجهما عليه بالحنين والصهيل،
وكان هذا الحنين والصهيل لغة تفاهم بين الشاعر وصاحبيه، يقول : (١٨)

ولقد مل جنبي مضجعي واقامتي	ومل حسامي من مجاورة الغمد
ولج نجبي في الحنين تشوقا	إلى الرحل والانساع والبيد والوخد
وأقبل بالتصهل مهري يقول لي	أبقي كذا لا في طراد ولا طرد

وهو يعني برسم الانفعالات والأحاسيس الانسانية، ومظاهرها على الوجوه والأجسام،
فنراه يقابل تكبر أعدائه بالترفع عنهم، والتعالي عليهم، فيشمخ بأنفه كلما زم أحدهم أنفه: (١٩)

و كنت اذا ما أحقق زم أنفه شمخت بأنفي عنه وأزور جانبي

ولهذا فهو يرسم لنفسه أيضا صورة رائعة يبرز فيها سكونه وهدوؤه، أما قلبه فينبض
بالحيوية والحركة والطموح، ويضرب لحاله مثلا بالحية المطرقة المترقبة للوثب على
فريستها : (٢٠)

رب ذي هم تراه مطرقا	وهو في أطراقه حية واد
ان تري شخصي لأمر ساكنا	فلعمري ان قلبي في طراد

(١٦) المعيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : قسم الدراسات ١٩٥ رسالة ماجستير مخطوطة بآداب القاهرة

(١٧) الأمدي : الموازنة بين الطائيين ٢٥٨/١ دار المعارف مصر ١٩٦١

(١٨) على الخضير : على بن المقرب : حياته وشعره ٣٥٧

(١٩) نفسه : ٣٦١

(٢٠) نفسه : ٣٦١

كما يرسم لنفسه صورا أخرى وهو يظهر الغباء أو يتظاهر بالعمي والصمم، مخادعا أعداءه، وهو بينهم ذلك الفطن الذكي الدقيق اللحاظ والمرهف السمع : (٢١)

أريهم منطقا عيا واني	لأفحم في بلاغته زيادا
وأغضي ناظري حتى كأني	حديث عمي يحرّج أن يقادا
ونار الزند تتركها لحاظي	وان لم يور قادحه الزنادا
وأبدي فيهم صمما وسمعي	يحس النمل اذ يخفي السوادا

وربما لونوا بيانهم بالكناية. ويستعمل معارك بن مره كناية الصفة، فيكني عن النضج والأكتمال بـ(شيب العارض) والغرة والغفلة بـ(اسوداد الشعر) يقول: (*)

اتطمع في هضمي وقد شاب عارضي وقد كنت آبي الضيم والرأس أسود

وقد كانت الصورة في حكمة الجاهليين من عبد القيس تميل إلى التشاؤم، فلم يتعرضوا إلا للجوانب غير السارة في حياتهم - غالبا - شأن غيرهم من سائر الشعراء الجاهليين، فالحياة عندهم متاع نافذ وهو عارية ترد لصاحبها، ومثلها المال والشباب والأهل، يقول عمرو بن ثعلبة: (٢٢)

عمر ك هل تدري أن الفتى شبابه ثوب عليه معار

و من صورهم المتعلقة بقصر الحياة وتبددها قولهم أنها تبدو كالحلم أو الذكري أو الحركة العابرة. يقول جندل بن أشمط العبدي : (٢٣)

فكان ذلك لم يكن إلا التفكر حين بادا

وأكثر صور الموت شيوعا في الشعر الجاهلي تتخيله في صورة الماء وما يتعلق به، فهو كأس تشرب أو حوض تشرع للواردين، أو غمرة تخاض أو سحابة تمطر (٢٤). وقد امتدت بعض هذه الصور إلى شعراء عبد القيس اللاحقين. يقول ابن المقرب : (٢٥)

وعاقر الفيل يوم القادسية قد	سقاء كأس الردي صرفا بغير فم
وقد أذاق شيبيا في شبيبته	كأس الحتوف بلا سيف ولا سقم

(٢١) المصدر السابق : ١٨٣.

(*) البحتري : الحماسة : ١٥٠.

(٢٢) السجستاني : المعمرن والوصايا ٤٢

(٢٣) أبو تمام : الوحشيات ١٦٢

(٢٤) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ٢٤٨

(٢٥) ديوان ابن المقرب ٤٨٧

كذلك عبروا عن الموت بأكل السباع للانسان، وكان ذلك مما يخيف الجاهلي، ولذلك فهو يذكرها متألماً حين يتحدث عن حب، وشامتاً أو متهدداً اذا تحدث عن عدو له، يقول جندل بن أشمط العبدى : (٢٦)

قعدك الله ألماً تخبرني يا لبنة العمري عن أهل قطر
تركوا جارهم تأكله ضبع الوادي وترميه الشجر

أما تمثلهم بالقصص الانساني التاريخي فلا تبلغ أكثر اشارات الشعراء الجاهلين إلى حوادث التاريخ وشخصه إلى أن تكون رواية لقصة، فالحادثة اذا كانت شهيرة معروفه اكتسبت في كلامهم صفة المثل الوجيز، واكتفى الشاعر بالالماح إلى حوادثها وأبطالها، ومن هذا اكثر قصص ملوك العرب وقبائلهم القديمة والبائده، أما قصص العرب من القبائل القديمة والبائده والتبابعة الأوائل فالاشارة إليه كثيرة ولكن التفصيل فيه نادر، وأكثر الاشارة اليهم تستخدمهم أمثالا في القوة والكثرة، والأمن الذي لم يدم لهم، وأمثلة في الاندثار (٢٧).
يقول جندل بن أشمط العبدى: (٢٨)

أمام أن الدهر أهلك صرفه ارما وعادا
و احتط داوودا وأخرج من مساكنها ايادا
و سما فأدرك أسعد الخيرات قد جمع العتادا

وقد يتمثلون في العظة والاعتبار بقصص الحيوان. ويصور ربيعة بن توبة العبدى سطوة الموت ونفاذه وعدم النجاة منه، من خلال قصة ذلك الوعل المتحصن بأعالي الجبال الوعرة التي لا يستطيع أن يصل إليها أحد، فبينما هو آمن منعم لديه من البنات ألوانا، ومن الماء الكثير، اذا بصائد يرميه فيلاقي حتفه رغم حذره وأمنه. يقول : (٢٩)

لو كان شيء فانت الموت أحرزت عماية إذ راح الأغر الموقف
يرود بأرض ماؤها في قلاتها يصيف بها بعد الربيع ويخرف
إذا شاء طلع أو أراك وسخبر لديه وذو ظل من الغار أجرف

(٢٦) أبو تمام : الوحشيات ٢٢١

(٢٧) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ٢٠٦ و ٢١٣

(٢٨) البحتري : الحماسة ٩١

(٢٩) نفسه ٩٩

أبو صبية طاو من الزاد أعجف
مذربة رزق وفرع معطف

فما زال عنه الحين حتى سما له
يعالجه عن نفسه وبكفه

أما شعراء عبد القيس الاسلاميون فأكثر من تمثل منهم بالقصص والشخص
العربية والاسلامية القديمة ابن المقرب العيوني الذي منحت ثقافته الواسعة كما ضحما من
الموروث، أيد به حكمته وأقام منه المثل والحجة. من ذلك قوله في مقام حث قومه على
نفض غبار الذل والضعف، معددا أيام ربيعة وشيوخها، وهي القبيلة التي تجمع بين عبد
القيس وبكر : (٣٠)

ضيم ولا رضيت بدار هوان
قار ويوم أحزة السلان
خطأ وكان الرأس من غسان
نزعت رداء الملك من صهبان
تكن الدنية من بني عمران
كسري ووفوا ذمة النعمان
والشيخ حنظلة أبا معدان
ينتزع الخلافة من بني مروان
كرها اليه منابر البلدان

لم يحك أن ربيعة أغضت على
قوم لهم يوم الكلاب ويوم ذي
قتلوا لبيدا في جريرة لطمة
ودعتهم مضر فصالوا صولة
ان ترض تغلب وائل بفعاله
وهم على حكم الأسنة أنزلوا
بفوارس تدعو يزيد وهانئا
وشبيب في مانتين قام فكاد
ودعي أمير المؤمنين وسلمت

واستعمل العبديون في حكمهم الطباق والمقابلة لتوضيح المعني وابرارة. فالأشياء
تتميز بأضادها، ولتجسيد المفارقات والحالات النفسية، فمن الطباق قول أبي بكر
الخالدي: (٣١)

فيمن يزيد عليه لا من ينقص

يا ليت له اذ باع ودي باعه

و يقول جمال العبدى : (٣٢)

كانت نحوسا أو سعودا

لا تصرفنك الطير ان

(٣٠) ديوان ابن المقرب ٦٣٥

(٣١) ديوان الخالدين : ٣٥

(٣٢) أحمد قيش : مجمع الحكم والأمثال ٥٠

ويقول سعيد الخنيزي : (٣٣)

لا تكن ضيق الفؤاد مع العيد نـ وكن باسم كوجه الفضاء

ومن المقابلة قول ابن المقرب العيوني : (٣٤)

أما حان منكم يقظة وانتباهة فنرضي أبا سخط ونسخط راضيا
فكم ناصح قد عد في الناس خائنا وكم غادر قد عد في الناس وافيا

ويقول الهمام العبدي : (٣٥)

وما الناس الاكامل الحظ ناقص وآخر منهم ناقص الحظ كامل

ويقول أبو بكر الخالدي مقابلا بين ما يعطيه للدين، وما تأخذه منه : (٣٦)

يا خليلي من عذيري من الدنيا ومن جورها عليّ وصبري
عجبا أنني أنافس في عم ران أيامها وتخرّب عمري

ويجمع الخنيزي بين عدة ألوان بيانية وبديعية كالتشبيه والاستعارة والطباق، فيقول مصورا تحسره على سرعة نفاذ العمر وقصر الحياة، مع كثرة ما يقترفه المرء فيها من آثام: (٣٧)

ينشر اليوم كالكتاب ويطوي في صراع الآمال والآلام
وتموت السنون كالورق الأخ ضر في فجر عمرها البسام
وأراها مكدسات وراء الـ مرء في موجة من الآثام

و يقول أبو عثمان الخالدي مضمنا ومشبها ومقابلا : (٣٨)

(٣٣) ديوان سعيد الخنيزي : النغم الجريح ٩٥

(٣٤) ديوان ابن المقرب العيوني ٦٦٣ .

(٣٥) الققطي : أنباه الرراه ٢٤٠/٢ دار الفكر العربي _ لبنان

(٣٦) ديوان الخالدين : ٦١

(٣٧) ديوان سعيد الخنيزي (شمس بلا أفق) : ٣٥

(٣٨) ديوان الخالدين : ١٠٩ / ٢

وإذا قدمت أباحك الترحيبا
كقميص يوسف إذ أتى يعقوبا

ان غبت أودعك الاله حياطة
و يكون من مقة كتابك عنده

و استعمل بعضهم أسلوب المدح بما يشبه الذم يقول أحدهم : (٣٩)

أضر بنا والناس في كل جانب
وأفني الردي أعمارنا غير عائب

وليس لنا عيب سوي أن جودنا
فأفني الندي أموالنا غير ظالم

واستعمل شعراء عبد القيس في حكمتهم الجناس، في غير عنيت ولا اسراف، فأكسب أسلوبهم نغمة داخلية هادئة، وكان النوع الاشتقاقي منه أكثر ورودا في شعرهم، فمسعود بن سلامة العبدى استخدم الفعل الماضي (سار) واسم الفاعل منه (سائر) في قوله :

وأوحش من حداثة فهو سائر

إذا سار من خلف الفتى وأمامه

وابن عبد الأعلى العبدى استعمل المصدر (جزع) والفعل المضارع له (يجزع) في قوله :

جزعي ومن يذق الحوادث يجزع

و لقد أقول لذى الشماته إذ رأي

وعبد الله بن سلامة العبدى استخدم الفعل الماضي الدال على التحقق، ومضارعه الدال على التجدد، يقول :

من خيفة الشمس أخشاها ولا زحل

إذا غدوت فلا أغدو على حذر

وعبد الصمد بن المعذل استعمل الفعل الماضي (هجرنا) المشتمل على تحقق الحدث، ومصدره (هجران) الدال على مطلق الحدث، وعكسهما في (قيل وقال) : (٤٠)

(٣٩) أبو هفان : أخبار أبي نواس : مقدمة المحقق عبد الستار فرج ١٠ - مكتبة مصر

(٤٠) ديوان عبد الصمد ابن المعذل ١٥٦

بـة هـجران الثقال
كـي لـقيل ولقال

قد هجرنا مجلس الغـيد
ألفته عـصبة نو

وفي موضع آخر يستعمل الفعل الماضي (هان) ومضارع (أهان) والفعل (تقول) وماضيه (فقلت) في قوله : (٤١)

وهان عليها أن أهان لتكرما
فقلت سـليه رب يحيي بن اكثما

تكلفني اذلال نفسي لعزها
تقول سل المعروف يحيي بن أكثم

وربما جاء الجنس، بين فعلين متماثلين، مع اختلاف بسيط بينهما، كما في قول عبد الصمد أيضا: (٤٢)

ولم ترع الذي سلفا
عليك ولم تمت أسفا

صرفت هـواك فانصرفا
وبنت فلم أمت كلفا

ومن ذلك قول احمد بن المعذل، مجانسا بين الفعل المضارع (نقضي) و(تقضوا)

أفي حق المودة أن نقضي
ذمامكم ولا تقضوا الذماما

ويقول الصلتان العبد في الجنس بين الفعل المضارع (يرزقنا) ومعادله (نرتزق)

ان يفن ما عندنا فالله يرزقنا
ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

وجانس عبد الصمد بن المعذل بين المصدر (أحدثه) ونظيره (حديثا) في قوله :

أري الناس أحدثة
فكوني حديثا حسن

ويستعمل عبد الواحد الخنيزي الجنس الناقص بين (ظلمه) و(الظلام) يقول :

ابتسم للحياة في ظلمة الأحدا
ث تبصر على الظلام نهارا

(٤١) المصدر السابق : ١٦٢

(٤٢) نفسه : ١٢٩

واستخدموا بقلة الجنس الناقص، غير الاشتقائي، كما نري في قول أبي البحر الخطي
مجانسا بين الصبا والصبا : (٤٣)

إذا هو كف الشيب منه تراجعت
و هل تستكف النار ما اشتد وقدها
نوازع يستحوذن من غير الصبا
ببللة ماء عند عاصفة الصبا

ويجمع يزيد بن الخذاق بين الجنس الاشتقائي، وغير الاشتقائي في قوله :

هل للفتي من بنات الدهر من واق
قد رجلوني وما رجلت من شعث
أم هل له من حمام الموت من راق
وألبسوني ثيابا غير أخلاق

كما يجمع خليل عيين بين الطباق والمقابلة، والجناس الناقص، مما يمنح أسلوبه جمالا
وألقا وجرسا موسيقيا مؤثرا، فيقول : (٤٤)

قد علمت نفسي فما أمتري
ما الحي والميت فيما ترى
حقا سوى الظن وقول اليقين
من حدث الدهر وريب المنون
إلا كفاد راح أصحابه
أو رائح في أثر المغتدين

وقد ينطوي أسلوبهم على التطريز، وهو أن يقع في أبيات متتالية في القصيدة كلمات
متساوية في الوزن، فيكون فيها كالطراز في الثوب، وهذا النوع قليل في الشعر، ومن ذلك
قول زياد الأعجم مشيرا إلى ميل الفطر السليمة إلى الأريحية والندي (٤٥)

و متي يؤامر نفسه مستلحيا
أو أن يعود له بنفحة نائل
في أن وجود لذي الرجاء يقل جد
بعد الكرامة والحباء يقل عد
للمستزيد من العفاة يقل زد
أو في الزيادة بعد جزل عطية

ولم تخل حكمهم من العقد، ومن ذلك قول علي العبدى : (٤٦)

(٤٣) ديوانه : ص ١٠
(٤٤) المبرد : التعازي والمراني ص ٨٣ - تحقيق محمد الديباجي - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١٣٩٦هـ.

(٤٥) العسكري : الصناعيين ٤٤٤

(٤٦) القرآن الكريم : البقرة آية ١٩٥ . وإنباه الرواه ٢٤٣/٢

لو أنها تفضى إلى المملكة
تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

لا تسلك الطرق إذا أخطرت
قد أنزل الله تعالى (ولا

واحتمل تضمين الأمثال مكانا في شعرهم الحكمي. يقول أبو بكر الخالدي : (٤٧)

يا من جفا في القرب ثم نأى
مهلا فانك في مقالك ذي
"تـرك الزيارة وهي ممكنة
فشكا الهوى بالكتب والرسل
مثل الذي قد قيل في المثل
وأناك من مصر على جمل"

ويقول أحمد بن المعذل معاتبا عبد الله بن سوار : (٤٨)

أفي حق المودة أن نقضي
لقد قال الحكيم مقال صدق
"إذا أكرمتكم وأهنتموني
ذمامكم ولا تقضوا الذماما
راه الألون لهم اماما
ولم أغضب لذلكم فذاما

وكان أهل البصرة في القرن الثالث الهجري يكونون عن القواد أنه يمد الحبل. ويقول
أبو هفان مضمنا وساخرا : (٤٩)

من سره طيب الحياة
حتي يعز بدهره
"فليأخذ الحبل الطويل
وقرب اولاد النعم
يوما ويثري من عدم
ويمشي قدام الغنم"

ويقول عبد الصمد المعذل مضمنا أحد الأمثال العربية :

إذا وطن رابني
"إذا عز يوم أخو
فكل بلاد وطن
ك في بعض أمر فهن"

(٤٧) ديوان الخالدين : ٨٧

(٤٨) ابن منظور : مختار الأغاني ١٣٧/٥ الدار المصرية للتأليف والنشر

(٤٩) عبد الستار فراج : مقدمة أخبار أبي نواس لأبي هفان ١١ - مكتبة مصر

ويقول حرب بن المنذر مضمنا : (٥٠)

فحسبي من الدنيا عفاف يقيمني	وأثواب كتان أزور بها التربي
وحبي ذوي قربي النبي محمد	(فما سألنا إلا المودة في القربي)

وقد ضمن ابن المقرب كثيرا من شعره بالأمثال، حتى صارت احدي المميزات لأسلوب حكمته. وهو لا يكتفي بمجرد الاشارة إلى المثل، بل يذكر قصته بكاملها ليكون تأثيره أبلغ وأقوى. ففي احدي قصائده نراه يحذر قومه من الركون إلى الأعداء أو تقريبهم، وان من يكرمهم يلقي من المصير مثلما لقي (سمنار) المهندس الرومي، يقول: (٥١)

جزاء سمنار جزاء به اقتدت	ومال اليها كهلها وغلماها
بني القصر حتى استحكمت شرفاته	وأيدها أجراها ورخامها
وغودر من أعلي ذراها منكسا	ولا ذنب الا حسنها وانتظامها

ويستشهد بمثل آخر، وهو ينفذ عن نفسه غبار الكسل والخمول، فيهب للتصدي لأعدائه، دون أن ينتظر طويلا وقت القصاص من ظالميه :

و لا تتكل عجزا ولؤما وذلة	إلى قولهم بغى الرجال صروعها
متي صرع الباغي فعاش قتيله	بلى طالما أردى النفوس صروعها

كما استعمل ابن المقرب بعض الأقوال المأثورة التي جرت مجري الأمثال، فقد ضمن عبارة الامام علي (فما عدا مما بدا) قوله :

قد كنتما عوني وقد أصبحتما	عونا علي (فما عدا مما بدا)
---------------------------	-----------------------------

(٥٠) الجاحظ : البيان والتبيين : ٣ / ٣٦٥

(٥١) ديوان ابن المقرب : ٤٥٨

وإذا كانت الحكمة في عمومها من الموضوعات التي يستأثر بها العقل غالبا حتى إن بعض النقاد يخرجها من عالم الشعر، ويسلكها ضمن موضوعات النثر، لاعتمادها على الأسلوب التقريري الجاف، فإننا نجد حكمة العبديين تتميز بالشاعرية، فقد طبعها الشعراء العبديون بطوابعهم الشخصية والفنية التي عرفوا بها منذ أقدم العصور الأدبية، كما رأينا عند يزيد الشني الملقب بشاتم العبدى الذي اتكأ في أسلوبه على التصوير، ولا سيما الاستعارة، فلفت أنظار الشعراء اللاحقين إليها مترسمين خطاه، كما وفر شعراء عبد القيس لحكمتهم أهم العناصر الفنية الأخرى، وهو عنصر العاطفة، فكانت تجربتهم الذاتية ينبوعا ثرا لحكمتهم أدخلها في الشاعرية، وأبعدها عن التقريرية الجافة التي منيت بها على ألسنة أصحاب المنظومات العلمية، وغيرهم .

كما كانت موهبتهم الأدبية أهم الركائز الفنية التي قامت عليها حكمتهم، وقد عرفنا من كلام الجاحظ الذي وصف فيه شعراء عبد القيس بأنهم من أشعر قبيل في العرب، انهم لم يكونوا كذلك حينما كانوا في تهامة، وهي سرّة البادية ومعدن الفصاحة على حد تعبيره، الأمر الذي أثار دهشته وتعجبه من ذلك ، ولعل للوسط الحضري والفكري الذي عرفت به البحرين قديما أثرا في شاعريتهم، وحكمتهم على وجه الخصوص. (هذا الباب الذي هو أكثر أبواب الشعر صعوبة، وأحوجها إلى الشاعرية، والطبع والملكة والالهام) .^(٥٢)

سادسا

خصائص أخرى

(أ) الوحدة الموضوعية

(ب) الاطالة والملائمة

(ج) التكرار

(د) الصدق والواقعية

(أ) الوحدة الموضوعية

من السمات العامة التي تميزت بها قصيدة الحكمة المستقلة، النضج الفني في التعبير عن المعاني التي يبرزها الشاعر في حكمته، من خلال تجربته الذاتية، وهو نضج يرتبط بنمو ثقافة الشاعر، ومحاولته جعل قصيدته ذات وحدة متكاملة من حيث التعبير عن المشاعر^(١). وتحقق الوحدة الموضوعية في القصيدة حين تترتب معانيها ترتيباً يقوم على النمو المطرد، بحيث ينشأ أحدها من سابقه نشوءاً عضوياً، ويقود إلى لاحقته بالطريقة نفسها، بحيث تتكامل أجزاء القصيدة، في توضيح عاطفتها المسيطرة، واتجاهها الفكري^(٢). ولعل أكثر من يمثل هذه الوحدة من شعراء عبد القيس المعاصرين محمد سعيد الخنيزي الذي تميزت أكثر قصائده التأملية الحكيمة بهذه الميزة - كما رأينا سابقاً - وكما نرى في قصيدته التي جعل عنوانها (لا لن يموت الشعر) وقد دارت فكرتها حول ما يستطيع الشاعر أن يقدمه للناس من أسباب السعادة والحبور، حيث يتغلب على آلامه ومصاعبه الذاتية، ويملاً قلبه بنور الأمل والتفاؤل، ويشاطر الآخرين أفراحهم وأتراحهم، فيحول شعره إلى روضة ناضرة للحياة المجدية وجدول يرويها بماء الحب والخير والجمال وقد تميز أسلوب الخنيزي باستخدام الصور لتشخيص أفكاره وتجسيد معانيه، وكان التشبيه أدواته الرئيسية في الكشف والإيضاح. يقول :^(٣)

لا لن يموت الشعـ	ر في قلبي المجرح بالخطوب
سأظل ينبوعاً سخياً	ينفـح الدنيا بطيب
يسقي الحياة ربيعـه	فتعود في ثوب قشيب
كأساً من الأطياف والـ	حلام من فيض الغيوب
خلف الكمائم فجرها	والعطر سر في الجيوب
وجدول تنساب كالـ	لحان في سمع الطروب
فيصوغ من صور الحيا	ة مفاتن الحب الرحيب
ويعيش بين الحا	دثات ووسط طوفان غضوب

(١) محمد عويس : الحكمة في الشعر العربي : ١٣٠/١

(٢) يوسف بكار : بناء القصيدة العربية ٣٧٢ - دار المعارف بالقاهرة ١٣٧٩

(٣) ديوان سعيد الخنيزي (شمس بلا أفق) : ١٧

كالنجم يزهو بالشعا	ع على سماء من لهيب
لا يرهب الحزن المرو	ع لا ولا طيف الغروب
سيظل قبرا للحوا	دث للبلايا للكروب
في العاصفات الهانجا	ت وفي الظلام المستريب
كالفجر خصل ضوءه	عقدا على جيد الكثيب
لم تتطفئ منه السن	الا لتطلع في المغيب

ولابن المقرب العيوني قصيدة قصيرة عدتها عشرة أبيات اشتملت على نقد ساخر لبعض الظواهر المدانة في المجتمع، وهي الرشوة، التي يسميها البعض هدية تطفأ أو مغالطة أو احتيالا. والواقع أن هناك فرقا جوهريا بينهما، فالهدية هي التي تجري بين الأصدقاء والأقربين، وتقدم لوجه الصداقة أو القرابة، أما الرشوة فهي ما أدت إلى إبطال حق أو إحقاق باطل. وقصيدة ابن المقرب التي كنى في بدايتها بالهدية وصرح في نهايتها بالرشوة، قصيدة تتسم بالوحدة الموضوعية الكاملة، فهي تتحدث عن موضوع واحد لا أكثر، هو موضوع الرشوة، ويستخدم الشاعر أسلوب السخرية الانتقادية، لإدانة هذه الظاهرة وتنفير الناس منها، لما تجلبه من تضییع الحقوق، وخلق العداوات، وتقديم الخاملين، على حساب النابهين. وقد عدد ابن المقرب في أبياته محاسن أو مساوئ الهدية أو الرشوة، وقد تجلت سخرية الشاعر في استعماله اسم فعل الأمر المتضمن معني الذم (عليك) ثم في تعاقب الحركة من خلال أفعال المضارع الدالة على استقبال الحدث وتجده من مثل (نرى) و (يصفع) و (يغري) و (يضحى) وكذلك نجد هذه الحركة المتعاقبة في البيتين الثامن والتاسع باستخدام الأفعال المتحققة (بردت) و (عمرت) وقد احصت هذه الأفعال منافع الرشوة على سبيل السخرية، كما ظهرت سخرية الشاعر في استعمال بعض المبالغات مثل (شأنا عظيما) و (أعدي عدو) و (يمتطي النجوم) وكانت (كم) الخبرية المكررة الدالة على التكرير إحدى الأدوات في أسلوب السخرية، وقد ختم الشاعر قصيدته بأسلوب الطلب بمثل ما بدأها به. يقول : (٤)

(٤) ديوان ابن المقرب العيوني : ٥٧٨

وخاف من الدهر خطبا جسيما
لها عندنا اليوم شأنا عظيما
د يصبح مهديه موسي الكليما
ه في مصرنا ويفري الأديما
م يطاول من يتمطي النجوما
لوافح من قبل كانت سموما
وأبقت منازل قوم رسوما
فريح الدواء تخطط الكلوما

ألا قل لمن أرهفته الذنوب
عليك الهدية اني رأيت
وأيسر شيء يحل العقو
فبالشاه يصفع زيد أخا
و يضحى الذي أنفه في التحو
فكم من بطيخة بردت
وكم جلة عمرت منزلا
فلا تحقرن قليل الرشا

وإذا كانت الوحدة الموضوعية سائدة في المقطوعة الشعرية القصيرة، مما لا يحتاج إلى التمثيل لها بمثال، فإننا نجد مثل هذا النضج الفني في بعض المقطوعات الطويلة التي تقترب من القصيدة، وبخاصة تلك المقطوعات التي سلكت مسلك الوصايا التربوية والنصائح الأخلاقية، ومن ذلك أبيات المتقرب العبدى التي جمع فيها بين الجانب النظري والتطبيقي، ففي قسمها الأول نراه يدعو الشباب إلى الطموح، والأخذ بمعالى الأمور، ونبذ الضعف والأمعية، مستمدا من البيئة الطبيعية ما يساعد على توصيل فكرته إلى ذهن المتلقي، حيث يشبه حال من لا يعتمد على نفسه في تدبير أموره التدبير الصحيح، بحال السحاب الذي لا ماء فيه، حين تسوقه الريح سوق الأبل الفتية للطرائد فلا يغيث الناس بشيء من المطر في موسمه وقت الشتاء، حيث تشتد الحاجة إليه، وفي القسم الثاني يقدم الشاعر للشباب النموذج الحى، والقذوة الصالحة من رجال القبيلة، وهم الذين تتمثل فيهم صفات الأريحية والحزم والنجدة والنبيل والشرف، يقول : (٥)

إذا لم يثب للأمر الابقا
هبيت الفؤاد همه للوسائد
هذا ليله شل القلاص الطرائد
وقطر قليل الماء بالليل بارد
على الحى منا كل أروع ماجد

وللموت خير للفتى من حياته
فعالج جسيمات الأمور ولا تكن
إذا الريح جاءت بالجهاام تشله
وأعقب نوء المرزمين بغبرة
كفى حاجة الأضياف حتى يريحاها

(٥) المصدر السابق : ٢٦٦

لما نال من معروفها غير زاهد
ولا عند خير ان رجاه بواحد
عظام اللهى منا طوال السواعد

تراه بتفريج الأمور ولفها
وليس أخونا عند شر يخافه
إذا قيل من للمعضلات أجابه

على أننا لا نفقد هذه الوحدة الموضوعية في المقطوعات الطويلة الآخر فقدا تاما، بل نجد بعضا منها يتسم بهذا النضج الفني الذي يجعل من المقطوعة وحدة لا تتجزأ كما نرى في مقطوعة يزيد بن خذاق العبدي الذي قال عنه أبو عمرو بن العلاء بأنه أول من نظم شعرا في ذم الدنيا، وقد رثي في هذه الأبيات نفسه ولا بأس من أن نوجز تحليل أحد الدارسين لهذه المقطوعة التي مطلعها :

هل للفتى من بنات الدهر من واق
أم هل له من حمام الموت من راق

يقول عبد الله باقازي : يستوقفنا في البدء هذا التقسيم الذي طرحه الشاعر في البيت الأول، حيث جعل الوقاية من بنات الدهر، وجعل أخذ الرقية من دنو الموت أو حلوله، ونلاحظ هنا أن الدهر أخذ صفة حيوان مفترس معتدي، يستهدف الانسان، ويفتك به وأن بناته قد أخذن عنه هذه الصفات، وهن ضوار يستهدفن الانسان ويفتكن به، والدهر وبناته هنا يشبهه المنايا التي أخذت شكل الحيوان المفترس، تقسيم آخر يطرحه الشاعر في البيت الثاني :

قد رجلوني وما رجلت من شعث
وألبسوني ثيابا غير أخلاق

بين ترجيل الشاعر ولبس الثياب، وترجيل الشعر ولبس الثياب في الحياة مظهر جمالي، فيه دلالة القوة والشباب والحيوية، بينما الترجيل هنا فهو ترجيل شعر ميت، اللبس كذلك يختلف أنه لباس من نوع آخر لم يتعوده الشاعر في حياته، ان كلا من لفظي الترجيل واللباس يستتبطان معنيين يتصلان بالحياة والموت، وقد مزج الشاعر بينهما مزجا عجيبا، فالشاعر مرجل الشعر، ويلبس ثيابا غير بالية ولا ممزقة، كل هذا مظهر دنيوي جمالي عادي غير أن الجانب الآخر للموضوع أنه بهذا الترجيل يهيا للموت، وليس للاستمتاع بالمظهر الجمالي الدنيوي. ان البيت الثالث تطور واضح للحالة التي هيء فيها الشاعر للموت :

وأدرجوني كأني طي مخراق

ورفعوني وقالو أيما رجل

هنا تستمر مراسم حمل الجثمان، ويرفع على الأكتاف، ويشاد به، ثم تؤول الصورة إلى حالة متناقضة، ذلك أن الشاعر المرجل الذي يلبس النظيف من الثياب، والذي كان مرفوعا ويشاد به للحظات، ها هو يتحول إلى ما يشبه العمامة البالية بهذا الشكل يحل الشاعر الصورة من التكامل والجمال إلى الضالة والانكماش والبلى، وفي البيت الرابع :

ليسندوا في ضريح الترب أطباقي

وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا

إنها المرحلة الثالثة والأخيرة، بعد الغسيل والترجيل جاءت مرحلة رفع الجثمان وتحوله إلى عمامة بالية مطوية، ثم تأتي الآن مرحلة ادخال الجثمان إلى القبر، ولقد أعطي الشاعر ترتيبا جامعا لعملية الموت والغسيل وحمل الجثمان والدفن، تستوقفنا في الأبيات الثاني والثالث والرابع طبيعة الأفعال : رجلوني - ألبسوني - رفعوني - أدرجوني - أرسلوا ... إنها أفعالا ماضية لكن الشاعر أعطي لها دلالات مستقبلية على اعتبار ما سيؤول إليه حال الشاعر في حالة الموت ويقول محلل المقطوعة معلقا على قول الشاعر :

فانما ما لنا للوارث الباقي

هون عليك ولا تولع باشفاق

لماذا التفت الشاعر الآن إلى المال وهون من شأنه وأن مصيره أن يذهب إلى الوارث؟ بعد ذلك الاستعراض لمراسم الموت والدفن ؟ هل تقتضي ترتيب هذا البيت أن يتقدم موقعه من المقطوعة، لا سيما وأن البيت السادس الذي يليه يقتضي معناه تقدما في الموضع أيضا، ان البيت السادس

بنافذات بلا ريش وأفواق

كأنني قد رماني الدهر عن عرض

يتسق معناه مع البيت الأول في المقطوعة ان قافية المقطوعة التي يشكل حرف القاف، إضافة إلى ظاهرة التصريع في موضعين من هذه المقطوعة، بحيث ورد البيت الأول في المقطوعة مصرعا ... حيث ساهم التصريع بحرف القاف، إلى جانب ظهور

القافية بنفس الحرف في الإيحاء بذلك القلق والاضطراب الذي سيطر على الشاعر في تلك اللحظات الحرجة التي يستقبل فيها الموت، وكأن نهايات المقطوعة تصوير لحالات خروج الروح، ولفظ الأنفاس الأخيرة، كما أن حرف الراء بتكراره في المقطوعة عكس روح الاضطراب والارتعاش للحظات التي عاشها الشاعر في مواجهة الموت. (٦)

(٦) رثاء النفس في الشعر العربي : ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة

(ب) الاطالة والملاءمة

أما الحكمة في القصيدة المركبة فقد اتسع مجالها اتساعا كبيرا، حتى لقد شغلت في بعض هذه القصائد مساحة تصل إلى النصف، وربما أكثر من ذلك (وكانت العلاقة بين موضوع الحكمة وموضوعات القصيدة، علاقة لها ما يبررها عند الشاعر من الناحية المعنوية، ومن ثم كان يناسب بين معاني هذه الحكمة وبين هذه القصيدة، وهذه الملاءمة تمثل مرحلة من النضج الفني التي بلغها الشاعر) ^(١) العبدى. وخير من يمثل ذلك من شعراء عبد القيس ابن المقرب العيوني، الذي تميز بطول نفسه الشعري، في بناء حكمته من خلال القصائد المركبة، فقد حقق في قصيدته المتعددة الأغراض حسن الترابط والتلاؤم، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والانسجام، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد ^(٢). والأمثلة على ذلك كثيرة، ومتعددة في شعر ابن المقرب ويمكن اعتبار قصيدته التي مطلعها :

الام أرجي ضر عيش منكدا وأغضي على الأقداء جفنا مسهدا ^(٣)

من القصائد التي تصل في تلاحم أجزائها إلى حد الاقتراب من القصائد ذات الوحدة الموضوعية، فالتجربة الشعرية فيها واحدة، وبين موضوعاتها المتمثلة في الشكوي والفخر والهجاء ارتباط يكاد يكون عضويا، وهي في جميعها تهدف إلى غاية حكمية وأخلاقية واحدة، هي رفض حياة الذل والخمول والدعة بكل أشكالها، فقد بدأها بالاستفهام المتضمن معني الاستبطاء، فهو يعيش حياة ملوها الضر والنكد، ولكنه يتحملها بباعث الأمل في تحسن الحال، وزوال الأكدار، وهو يشكو من طول الانتظار الذي لم يسفر عن شيء مما يرجوه، يقول مستعملا كم الخبرية الدالة على التكثير، والتشبيه الدال على الثبوت :

و كم أعد النفس المني ثم كلما أتى موعدا بالخلف جددت موعدا

(١) محمد عويس : الحكمة في الشعر العربي : ١٣٠/١

(٢) أحمد بدوي ك أسس النقد الأدبي ٣٠٨

(٣) ديوان ابن المقرب العيوني : ١٤٩

وجاء غد قال اتئد وانتظر غدا
كمثل نعاس الكلب ما زال سرمدا

إذا قلت يأتي في غد ما يسرني
فهلا انقضت تبا لها من مواعد

ثم يستخدم ابن المقرب لغة حادة تعبر عن نفسية الشاعر الراضية كل الرفض هذه الحياة، فيدعو بالهلاك والموت على كل من يقبل مثل هذه الحياة المهينة، محاولا اقتناعه بالأدلة الواقعية بصحة ما يدعو إليه، ويتوسع في هذا التدليل من خلال استفهام النفي المتعاقب أربعة مرات رافدا دعواه بلمحة تاريخية عن حسان بن أسعد الحميري أعظم ملوك اليمن في الجاهلية، يقول :

على خطأ يغتاله أو تعمدا
جباننا على مر الليالي مخدا
فتي لو طيس الحرب ما زال مفندا
وهل فاز راض مورد الذل موردا
ملك تمطي الملك كهلا وأمردا
لو أن المداري راح بالخذ واغتدى

عدمت الفتى لا ينكر الضيم والردى
ولا عاش من يرضي الدنيا أهل رأي
وهل مات من خوض الردي قبل يومه
وهل ساد راض مرتع الذل مرتعا
وهل عز بالأعداء من قبل تبع
وهل طاب عيش بالمدارة أو صفا

ويواصل الشاعر اباءه لحياة الذل والهوان، فيحدثنا عن نفسه المنقرضة من هذه الحياة التي تختل فيها الموازين والقيم، فيضطر فيها المرء إلى التقرب من عدوه، والابتعاد عن صديقه، ويصبح فيها السيد مسودا، واللئيم مسلطا على الكريم، ويستخدم الشاعر صيغ التفضيل في تصوير هذا الواقع المؤلم الذي بلغ فيه السيل الزبي، يقول معبرا عن استبطانة وتثاقله ونفاد صبره، عبر هذا الاستفهام الاستبطائي :

وصدا وأبدي للأعادي توددا
كليبا مسودا وابن آوي مسودا
لئيم إذا ما نال شعبا تمردا

فحتى م أبدي للموالي تجنبا
وشر بلاد الله أرض تري بها
وأشقي بني الدنيا كريم يسومه

ويستمر الشاعر في مخاطبة نفسه على سبيل التجريد، داعيا إياها إلى ترك هذه البلاد التي صارت نهبا للأعداء، يحتل فيها الأجلاف والأوباش والجبناء والخاملون وأهل قالة السوء والوشاية مكان الصدارة. يقول :

سما فعلا حتى علا النجم أتادا
تراها وما تحوي لأعدائها سدي
خفيها على الأعداء خلفا ملهدا
هوت فاحتوت من هامة الحوت مقعدا
تري بين أذنيه طريقا معبدا

فياذا العلي والمجد والمنصب الذي
أعيزك أن ترضي المقام ببلدة
يجل بها من كان ذا عنهجية
أخو عزمة كالماء بردا وهمة
تري بابه لا يهتدي غير أنه

ويواصل حثه على الرحيل عن هذه البلاد حثا يقوم على الاسراع، واتباع القول
بالعمل، فاذا كان الشاعر أول من احتسي كأس المر فلن يكون الأخير، والحلم الذي يجلب
الذل ليس من الرشد في شيء، بل الجهل خير منه وأهدى، ولا يخضع لمثل هذا الأذى إلا
الأحمق الجامع لكل شر، أما الشجاع القوي فهو الذي يفضل راحة النفس على راحة
الجسد، ويبيت ساهرا مفكرا في الخلاص من دار الهوان. يقول :

أخو العزم من قد رام أمرا تجردا
أخوك ستسقي من فضالتها غدا
وجهل ترد الضيم شرته هدي
إليه الأذى أبدي خضوعا واسجدا
مقال أماء الحي لا غالك الردى
أوسد ذا الطعن الثري أم توسدا
يهين بها الأذنين مثني وموحدا

فقم والتمس دارا سواها فانما
وكأس اذا أسقي بها اليوم مكرها
وحلم يدني الضيم منك سفاهة
ولا خير في هلباجة(*) كلما أتى
ومال إلى برد الظلال وراقه
ولكن ذا عزم اذا هم لم يبيل
كثير سهاد العين لا في مكيدة

وهذه الأبيات تذكرنا بقصيدة عروة بن الورد، في وصف السلوك الناشط، والصعلوك
الخامل، ويمضي ابن المقرب في الشكوي مما يلاقيه من أعدائه الجبناء الرعايد، مصورا
ما يعانونه من مفارقات أخلاقية عجيبة. يقول :

عقابيل خلف قد أزي وتجددا
إذا سأل الحسني أغد وعربدا
وإما مشي بين البغايا تقيدا

فكم اتحسى الضيم مرا وامترى
وكم يعتزني بالأذى كل مقرف
فنيذ(**) كعلوص الآباء لدى الوغي

(*) الهلباجة : الأحمق الضخم القدم الأكل الجامع كل شر.
(**) الفنيذ : الجبان. والعلوص : الذنب.

ويستند الشاعر إلى أسلوب الطلب الارشادي ناهيا وأمرًا ومدللاً ومقتعاً، فينهى عن اكراه النفس على الإقامة في ديار الذل خشية الموت الختمي الوقوع، حتى لو امتلأت أرضها ذهباً وفضة، ويأمر بالسير في طلب المجد الذي لا ينال الا بالسعي الجاد، ويتخذ من التشبيه الضمني وسيلته في الاقناع كعادته فالسيف لو لم يجرد من غمده في الحرب لما عد شيئاً، والبدر لو لم ينتقل من برجه لما اكتمل نوره وسطع، وسيف بن ذي يزن لو أقام في واديه بزبيد ولم يذهب إلى فارس طالبا النجدة لآخراج الأحباش من بلاده لما جلس على سرير الملك في قصره بصنعاء، فالموت لا يهم في سبيل المجد والنباهة، يقول:

ستأتي فما تلقى جوادا مخلدا
ولو فاض واديهما لجينا وعسجدا
رأيت المعالي لا يواتين قعدا
لما راح يدعي المشرفي المهندا
به النقص لم يدرك كمالا وأسعدا
على الهول لم يدع الملوك الممجدا
ويجمع في غمدان شملا مبددا
حباك الموالي واتقت بأسك العدي

فلا تقعدن محبظنا^(*) خوف ميتة
ولا تك مئلافا لدار مذلة
وسر في طلاب المجد جدا فانني
فلو لم يفارق غمده السيف في الوغي
ولولا انتقال البدر عن برجه الذي
ولو نال سيف بالحصيب ولم يلج
ولم ينشع الأحبوش كأسا مريرة
وحسبك أن تلقى المنيا وقد رجت

ثم يخاطب الشاعر خليليه، خطاب المودع، طالبا منهما أن يبحثا لهما عن نديم آخر، لأنه عازم على السفر عما أسماه مناخ السوء، مقدما بين يديه ما يشد أزره، لتتفيذ هذا القرار، فكثير من الذين رحلوا عن أوطانهم حققوا نجاحا يحسدون عليه، وكثير ممن أقاموا في ديارهم لازمهم الخور والضعف والفشل، وليس في ارتحاله ما يعيب، وقد رحل عن بلده مكة إلى المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاور الأوس والخزرج، وكذلك يفعل الكريم الحر، فاذا ضاق به مكان، خرج إلى مكان أرحب. يقول :

(*) المحبظي : الممتلئ غضبا.

خَلِيلِي مِنْ حَيَا نَزَار رَعَيْتَمَا
أَلَا فَاطِلْبَا غَيْرِي نَدِيمَا فَرِيمَا
فَلِي عَنْ دِيَارِ الْهُونِ مَنَآيَ وَمَزْحَل
وَعَنْدِي عَلَى الْأَحْدَاثِ رَأْيٌ وَعِزْمَةٌ
وَخَيْرُ جَوَارٍ مِنْ عَدُوِّ مَكَاشِحِ
فَكَمْ فَارَقَ الْأَوْطَانَ مِنْ ذِي ضِرَاعَةٍ
وَكَمْ وَاتَنَ الْأَوْطَانَ مِنْ ذِي جِلَادَةٍ
فَإِنْ ارْتَحَلَ عَنْ دَارِ قَوْمِي لِنُبُوءَةٍ
فَقَدْ رَحَلَ الْمُخْتَارُ عَنْ خَيْرِ مَنْزِلٍ
كَذَا شَيْمِ الْحَرِّ الْكَرِيمِ إِذَا نَبَا

وَجُوزَيْتِمَا الْحُسْنَى وَجَاوَزْتَمَا الْمَدَى
تَشَامَخْتَ قَوْلَا سَيْمِ خُسْفَا فَأَبْلَدَا
إِذَا النُّكْسُ ظَنَّ الْعِزَّ عَقْلَا فَأَفْرَدَا
وَعَيْسَ يَبَارِينَ النِّعَامِ الْمَطْرَدَا
جَوَارِكُ ضُبْعَانَا وَسَيِّدَا وَخَفْدَدَا
فَأَصْبَحَ فِي كُلِّ النُّوَاحِي مُحْسَدَا
فَأُضْحِي بِهَا مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ مَسْخَدَا
وَيَصْبَحُ رُبْعِي فِيهِمْ قَدْ تَأَبَّدَا
إِلَى يَثْرَبٍ تَسْرِي بِهِ الْعَيْسُ مَصْعَدَا
بِهِ وَطَنُ زَمِ الْمَطَايَا وَأَحْفَدَا

ويعلم من خلال الاستفهام الاستنكاري رفضه لما لا يليق بأمثاله الأقوياء العظماء العلماء، مصمما على تحقيق رحلة ناجحة ينال فيها ما يريد، غير آسف على ذهاب الحياة في سبيل ذلك. يقول :

أَقْنَعُ بِالْحِظِّ الْخَسِيسِ وَلَمْ أَكُنْ
وَلَا بِلْتَعَانِيَا^(*) إِذَا سَيْمِ خُطَّةٍ
وَأَلْقَى الْمَنَايَا لَمْ تَسَامَ بِأَرْحَلِي
سَامُضِي عَلَى الْأَيَّامِ عَزَمَ ابْنُ حُرَّةٍ
فَأَمَّا حَيَاةٌ لَا تَذُمُ حَمِيدَةً
أُنَالُ الْمَنَى فِيهَا وَإِمَا مَنِيَّةٌ

كَهَامَا وَلَا رَثَ الْمَسَاعِي مَزْنَدَا
تَمْطِي وَنَاجِي عَرْسِهِ وَتَلْدَدَا
نَجَائِبُ لَمْ يَحْمِلْنَ إِلَّا مَنَجْدَا
يَرِي الْعُودَ فِيمَا تَكْرَهُ النَّفْسُ أَحْمَدَا
يَحْدُثُ عَنْهَا مِنْ أَغَارٍ وَأَنْجَدَا
تَرِيحُ فَوَادَا أَحَ مِنْ غَلَّةِ الصَّدَى

ولا يزال يبديء ويعيد في تأكيد هجره لبلاده، مشيرا إلى الأسباب التي كان منها، مصادرة ماله، ولذلك فهو يري أن قارون الذي يضرب به المثل في كثرة المال لو نزل بوطنه لأصبح فقيرا معدما، ومن تلك الأسباب أن حكام البحرين في عهده من الأخلاط والسفلة والجهال، وقد بلغ من ضعفهم وغفلتهم أن رضوا بدفع الجزية لأعدائهم، وعدوا

(*) البلتعاني : المتظرف المكيس وليس عنده شيء.

ذلك قمة النجاح في سياستهم الخائرة الهزيمة، لأنهم عازفون عن جلائل الأمور بحياتهم
اللاهية، فهم هؤلاء الأغبياء، اقامة الليالي في الرقص والغناء واللهو الفاضح، فلو كان على
شاكلتهم أو سايرهم فيما هم فيه من المجون والغفلة، لأحبوه وقربوه ووسعوا عليه ووهبوا
له اسني الجوائز، ولكنه ترفع عن هذه المجالس التي لا يغشاها عقلاء القوم وفضلاؤهم،
فليس هو فيما ناله من الأذى، بدعا بين أصحاب الفضل والبأس والندى، كما يقول :

وأهجر دارا لو يحل ابن قاهت	بها راح مسحوتا من المال مجهدا
يدبرها أوباش قوم تتكبوا	عن الرشد حتى خلت ذا الغي أرشدا
إذا رضي الأعداء منهم مهانة	بأخذ الجزى عدوه نصرا مؤيدا
أقاموا الأغاني بالمفاني وضيعوا	كرام المساعي والثناء المخلدا
فلو أحسن التصفيق والرقص فيهم	ورفع المثاني والغناء المهودا
لعتت عزيزا فيهم ولما اجترا	يمد إلي الضيم باعا ولا يدا
ولا راح شرب المقرفين ذوي الخنا	بها نهـلا عبا وشربي مصردا
ولو أنني كنت أتخذت رذية	أو يطف رغاء لدي الشد أكبدا
وصاحبت من أدني البوادي مكثما	ضعيف الأيادي قاصر الجاه مسندا
لكانت سنيات الجوائز ترتمي	إلى حيث أهوي باديات وعودا
ولكنني لم أرض ذاك صيانة	لعرضي أن أعطي المعادي مقودا
وأكبرت نفسي أن أجالس قينة	ودفا ومزمارا وعودا وأعبدا
وان اجعل الأنذال حزبا وشيعة	ولو جار في الدهر ما شاء واعتدى
فلست ببدع في الكرام وهذه	سبيل ذوي الأفعال والبأس والندى

وهكذا نرى ان هذه القصيدة التي بلغت تسعة وستين بيتا تجمعها وحدة شعورية
وفكرية، ساعدت على تحقيق التلائم بين اجزائها، حتى صارت كأنما أفرغت في قالب
واحد. يقول ديوسف بكار : فليس معني الوحدة - كما اعتقد بعض من تناولوها - أن تحتوي
القصيدة على موضوع واحد، ولكن معناها أن يكون بين موضوعاتها انسجام في العاطفة
المسيطرة، وفي الاتجاه المركزي نحو حقائق الكون وتجارب الحياة. (٤)

(٤) بناء القصيدة العربية : ٢٧٢ - دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٧٩ هـ

وإذا كانت مشاعر هذه القصيدة توزعت بين الفخر والشكوي والهجاء، فإن شاعرية ابن المقرب استطاعت أن تمزج بين هذه المشاعر مزجا جعلها تبدو كأنها ذات وحدة موضوعية. فهذه الموضوعات بدت في القصيدة كالأواني المستطرقة يصب بعضها في بعض، يقول د. أحمد الخطيب : فالهجاء وبخاصة الوجداني منه ليس في الواقع سوي وجه آخر من الفخر أنه الفخر السلبي، لذا فإن هذين النوعين يتجاوران مع شعره ويمتد أحدهما في الآخر ويتكامل به. ^(٥) وشعر ابن المقرب في الهجاء الاجتماعي امتداد لشعره في النصح والعتاب ولا يختلف عنه في النوع ولكن يختلف عنه في الدرجة. وهكذا يتجلى النصح الفني في هذه القصيدة من خلال الملاءمة المحكمة بين أجزائها رغم طولها وتعدد أغراضها .

وبلغت أبيات الحكمة في لامية ابن المقرب التي مطلعها : ^(٦)

ظننت حسودي حين غالت غوائله يربع إلى البقيا وتطوى حباله

ثلاثة وثلاثين بيتا من مجموع القصيدة التي وصلت إلى ستة وستين بيتا. وتأتي الحكمة بعد البيتين الأول والثاني اللذين شكا فيهما الشاعر من أذية الحساد ومكائدهم له، فقد سجل في أبياته الحكمية تجربته المرة مع هؤلاء الحاقدين الذين بذل معهم كل ما يملك من وسائل الاستمالة والمدارة، ولكن دون جدوى، وقد خرج بنتيجة تمثلت في اليأس التام من مودة الحسود مؤكدا بالبراهين الحسية قدرته على امتصاص كل المضايقات وتجاوزها، كما يتجاوز البدر الخسوف والبحر الجزر، يقول :

فأغمضت جفنا والقذي ملء ناظري	وأبديت سلما ليس تخشى دغائله
وأطفأت نار الجهل بالحلم بعدما	غلى الرجل الأحوي وذيقته توابله
ووطئت نفسي للمدارة ما رأي	رأيت ومهما قاله أنا قائله
فما زاد ذو الأضغان إلا تماديا	ولا بشرت إلا بشر مخائله
كذلك أحوال الحسود وخبه	وما تقتضي أخلاقه وشمائله
فلا ترج يوما في حسود مودة	وان كنت تبدي وده وتجامله
ولا تبغ بالاحسان ارضاء كاشح	فليس بمغن في دمال تدامله

(٥) شعر على بن المقرب العيوني - دار المريخ بالرياض

(٦) ديوان ابن المقرب ٣٢٦

رويدك فات الزج في الرمح عامله
ذراعاً فما ضاقت بحر مراكله
غياهبه عن نوره وغياطله
يسير ذات الجل بالمد ساحله

فقل لخليع همه ما يسوعني
ولا تحسبني ضقت يوماً بما جري
فقد يدرك البدر الخسوف وتتجلي
وقد يجزر الرجاف طورا وتارة

ثم يتحدث عن قومه الذين أساءوا إليه بأسلوب يعتمد على التشبيه الاقناعي والتصوير الحسي الاستدلالي، ونحس من خلال هذا الأسلوب حرصه على ارضائهم، مستمدا السلوي مما جري لجده الأعلى (رباب بن البركات) حجة أهل زمانه حين قال لبعض بني عمه احفروا لي حفرة، وادفوني فيها، واذهبوا عني بعيدا، فاذا رأيتم الوحوش قد اجتمعت على تلك الحفرة فاتركوها حتى تذهب، فاذا ذهبت فاكشفوا عني، فلما حفروا له لم يحفروا عنه حتى مات، يقول :

حقوقي وهدى المجد فيهم وكاهله
بنو عمه دون الوري وفضائله
وينجاب عنه غيه ويزايله
ويجرحه ماضي الشبا وهو فاصله

فان ساءني القوم الكرام وضيعوا
فقبلي أخوشن ابن أفصي أضاعه
ولا بد هذا الدهر يرجع صحوه
وقد يشرق الريق الفتى وهو غوثه

ويرى الخطيب أن أمثال هذه التشبيهات تفقد كل ما يمكن أن تتيحه للقارئ من ثراء عاطفي متعدد الدلالة وتنمية للتجربة التي تقدمها القصيدة، وتصبح ثانوية القيمة إزاء الفكرة التي هي الأساس والصورة مجرد وسيلة ثانوية. (٧)

ويواصل ابن المقرب عرض حكمته من خلال أسلوب الحوار القصصي. يقول:

ودمع الجوي قد جال في الخد جائله
يفوت الثنا من راح والصبر خاذله
فذا الدهر قد أودي وقامت زلازله
بأمنية والرزق ذو العرش كافله

وقائلة والعيس تحدج للنوي
عليك بصبر واحتساب فانما
ولا ترم في الأهوال نفسا عزيزة
فكم كربة في غربة ومنية

(٧) أحمد الخطيب: شعر على بن المقرب العيوني ٢٧٤

فقلت لها والعين سكري بزفرة
أبا الموت مثلي ترهبين وبالنوي
أردها والصدر جم بلابله
وعاجله عندي سواء وأجله
وما غربة عن دار ذل بغربة
لو ان الفتى أكدي وغثت مأكله

يقول الخطيب : الشاعر يضعنا في هذه الأبيات ازاء موقف درامي مؤثر، فالمشهد مشهد وداع، بدت فيه فتاة الشاعر حزينة باكية، تحاول أن تثنيه عن عزمه بشتي السبل، ولكن الشاعر فيه ليس أقل حزنا وألما وضيقا، وان بدا متجلدا، ويضطر ازاء رجائها والحاحها إلى الإفصاح عن دواعي ارتحاله واغترابه ^(٨). ثم يربط الشاعر أبيات حكمته بما تلاها من أبيات في الرثاء ربطا محكما فيقول :

فمن كرم الحر ارتحال عن الفنا
ولا بد لي من وقفة قبل رحلة
إذا قدمست أوباشه ورعابله
أذيل بها دمعي فينهل وابله

ثم يخاطب ابن المرثي أبا فضل، ويذكره بحقه ومكانته لديه ولدي أبيه، وما يكنه نحوهما من مودة، طالبا منه رعاية هذا الحق، حتى لا يضطر إلى الرحلة والاغتراب. يقول د. أحمد الخطيب موضحا رأيه في براعة ابن المقرب في حسن التخلص : وإذا كان ابن المقرب قد أجاد هذا الفن، فربما كان ذلك بفضل تلمذته على ديوان أبي الطيب بخاصة الذي يعد أكثر الناس استعملا لهذا الفن، فانه ما يكاد يلفت له ولا يشذ عنه، فلم يحدث ان لجأ شاعرنا إلى تلك التخلصات التي شاعت عند القدماء كـ (دع ذا وعد وان) ونحو ذلك مما يسمي طفرا واقتضابا ^(٩)، وهذا الانتقال المناسب والربط المحكم في قصيدة ابن المقرب المشتركة الأغراض تدل على ملكة شعرية وقدرة فنية، وهو ما يعبر عنه بالنضج الفني الذي ظهر واضحا في قصائده التي كان للحكمة فيها نصيب موفور .

ومن قدماء عبد القيس الذين وردت لهم حكمة في قصائدهم المشتركة المنقبة العبدية فله قصيدة من أربعة وعشرين بيتا، فقد جاءت الحكمة في النصف الأخير من القصيدة حيث بينت أهمية تنفيذ الوعد وقبح اخلافه لأي سبب من الأسباب كما اشارت إلى وجوب اكرام الجار ورعاية حقه والترفع عن الغيبة والنيل من أعراض الناس، مقررة أن ذا

(٨) المصدر السابق : ٣٢١

(٩) نفسه : ٣٤٠

الوجهين هو أسوأ الناس، وكشفت الأبيات عن سمو أخلاق الشاعر ورجاحة عقله، حين جعل من نفسه مثالا للصفح عن جهالة الجهول والاعراض عنه وجعل ماله وقاية لعرضه، يقول: (١٠)

لا تقولن اذا ما لم ترد	أن تتم الوعد في شيء نعم
حسن قول نعم من بعد لا	وقبيح قول لا بعد نعم
ان لا بد نعم فاحشة	فبلا فاصبر اذا خفت الندم
فاذا قلت نعم فاصبر لها	بنجاح الوعد ان الخلف ذم
و اعلم أن الذم نقص للفتي	ومتى لا يتق الذم يذم
أكرم الجار وارعي حقه	ان عرفان الفتى الحق كرم
لا تراني راتعا في مجلس	في لحوم الناس كالسبع الضرم
ان شر الناس من يكشر لي	حين يلقاني وان غبت شتم
و كلام سيء قد وقرت	عنه أذناي وما بي من صمم
فتعزت خشاة أن يري	جاهل أني كما كان زعم
و لبعض الصفح والاعراض عن	ذي الخنا أبقي وان كان ظلم
اجعل المال لعرضي جنة	ان خير المال ما أدي الذمم

والموضوع الأصلي للقصيدة هو المديح، وقد وجهها المتنقب العبدى إلى خالد بن الحارث بن أنمار العبدى بمناسبة توسطه في اطلاق الممزق العبدى من الأسر، يوم أغار عليهم النعمان بن المنذر، وقد بدأها بشكوي الأرق بسبب طرق طيف الحبيبة، ثم ضمن قوله المثل العربي (في بيته يؤتي الحكم) وقد أحسن التخلص من المقدمة إلى المدحه، بقوله:

ضربت لما استقلت مثلاً	قاله القوال من غير وهم
مثلاً تضربه حكامنا	قولهم (في بيته يؤتي الحكم)

ثم انتقل بعد ذلك إلى أبيات الحكمة المذكورة أعلاه، ولولا هذه المدحه القصيرة لاستقلت القصيدة بالحكمة، مما يحمل على الظن بضياح قسم منها، وقد استخدم المتنقب العبدى في هذه القصيدة بحر الرمل، وهو من البحور المتميزة بالسهولة والركة التي تطرب الأسماع، وتستريح الأذان إليها.

يقول د. محمد عويس : وتتحول الوصايا والنصائح التربوية إلى مسلمات يطلقها الشاعر مشفوعة بالتطبيقات الدالة على صدقها، مما يدلنا على أن تجارب القوم الذاتية كانت تضع أمام الشعراء قواعد شامخة تقوم عليها حكمتهم، وإن شئت فأنظر إلى ميمية مقيدة نظمها المتنقب العبدى تدور حول الوفاء بالوعد والخلق المثالي للمرء في هذا المجتمع وما يجب أن يتحلى به من إكرام الجار وتحاشي الغيبة وتجنب الرياء والحلم على الجاهل، فهو يشترك مع عبد القيس بن خفاف في موضوع الحكمة، ويعالجان في قصيدتيهما الحكمة التربوية الخلقية، ولكن المتنقب العبدى في قصيدته يطيل في إيضاح النظرية الخلقية وتطبيقاتها مما يضيف على القصيدة طابعا تعليميا تربويا، ويعد هذا الطابع التعليمي التربوي من السمات الفنية لهذا النوع من قصائد الحكمة ويظن الباحث أن هذا اللون كان أرهاضا لفن الشعر التعليمي الذي ازدهر في العصور التالية^(١١)

(١١) الحكمة في الشعر العربي : ١٢٥/١ و ١٢٦ و ١٢٧

(ج) التكرار

من مظاهر النضج الفني لحكمة عبد القيس وجود التكرار سواء في المقطوعات أو القصائد المشتركة أو قصائد الحكمة المستقلة .

ويشكل التكرار بأنواعه وسيلة موسيقية أخرى لتتويع الأنغام، ومنه تكرار حرف في بيت أو في جميع أبيات القصيدة، أو تكرار كلمة ما، ومجىء هذا النوع في الشعر يزيد من موسيقاه، وذلك لأن الأصوات التي تتكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان^(١)، ولا شك أن التكرار لا يقتصر على قيمته الموسيقية بل له دلالة أخرى، فالتكرار في حقيقته الحاح على جهة هامة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، فهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعني ذو دلالة نفسية^(٢)

ومن الأنواع التي تقوم على التكرار (التذييل) وهو تعقيب الجملة التامة بجملة تشتمل على معناها لتوكيد منطوقها أو مفهومها ليظهر المعني لمن لا يفهم، ويتقرر عند من فهمه، والمقصود هنا ما يظهر فيه اعادة صوت الحروف، ومن أمثله قول المتنبي العبدى وفيه أكثر من مثال :

لا تقولن اذا ما لم ترد	أن تتم الوعد في شيء نعم
حسن قول نعم من بعد لا	وقبيح قول لا بعد نعم
ان لا بعد نعم فاحشة	فبلا فابداً اذا خفت الندم

ومن التذييل الجاري مجرى المثل قول ابن عبد الأعلى العبدى :^(٣)

ولقد اقول لذى الشماتة اذ رأى جزعي (ومن يذق الحوادث يجزع)

(١) ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر العربي ٤٥ - مكتبة الأنجلو المصرية ط ٤

(٢) نازك الملائكة قضايا الشعر المعاصر ٢٤٣ مكتبة النهضة المصرية ط ٣

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٥٧/٣

ومن ذلك أيضا قول الخنيزي :

لا تظل الحياة إلا شقيا (انما الكون عالم الأشقياء)

ويقول عبد الصمد بن المعذل :

أرى الناس أحداثا (فكوني حديثا حسن)

ويستعين عبد الحميد الخطي بأسلوب التكرير للحث على التمتع بجمال الطبيعة ومناهج الحياة، يقول : (٤)

فمن الظلم ان أغمض عيني
ومن الظلم لا أصيخ لطير
ومن الظلم لا أباكر روضا
عن سماء فتانة الأوضاح
عذب اللحن مسكر الأرواح
خضل العشب ضاحك الألواح

وكرر ابن المقرب في كثير من حكمه أسلوب الشرط لتعليق الجزاء على العمل في التجربة الانسانية، كما نري في احدي قصائده، حيث يكرر لفظ (ومن) في أوائل أبياته، مما يجعل لانشاده وقعا صوتيا مؤثرا في نفوس السامعين وأذانهم، ونضجا فنيا جاء من أثر المزج بين الأسلوب الخطابي والأسلوب الشعري. يقول : (٥)

ومن يتخذ سيفا يكون غراره
ومن يجعل السنور كلبا لصيده
رصاصا يجد سيف العراجين ماضيا
يرى عاويات الليل أسدا عواديا

وقد يكرر الشاعر استفهام النفي متخذا منه اداة برهنة ووسيلة اقناع، في مجال الحض والتشجيع على الاقدام والصمود. يقول : (٦)

ولا عاش من يرضي الدنيا اهل راي
وهل مات من خوض الردي قبل يومه
وهل ساد راض مرتع الذل مرتعا
جبانا على مر الليالي مخلدا
فتي لو طيس الحرب ما زال مفندا
وهل فاز راض مورد الذل موردا

(٤) سعود الفرج : شعراء بن عون من الجزيرة العربية ٦٨٥/١

(٥) ديوان ابن المقرب ٢٥٨

(٦) نفسه ١٤٩.

ملك تمطي الملك كهلا وأمردا
لو أن المداري راح بالخلد واغتدي

وهل عز بالأعداء من قبل تبع
وهل طاب عيش بالمدارة أو صفا

ومن شعراء عبد القيس الذين أكثروا من استعمال هذا الأسلوب محمد سعيد الخنيزي
ففي قصيدته (روج وهيك) يكرر الشاعر كلمة (حدثيني) تكراراً يتعلق تعلقاً مباشراً ببناء
القصيدة العام، وهو أحد الأسباب التي يوفر النجاح لهذا التكرار الذي بلغ ثماني مرات :

ومما جاء في القصيدة : (٧)

ح وكيف الحياة في الأجسام
ب لعل الحديث يطفئ أوامي
كل ما تنطقينه باحترام
هر حياة الأرواح ذات السلام

حدثيني يا نفس عن أفق الرو
حدثيني فأنني ظامئ القلب
حدثيني فأنني أتلقي
حدثيني عن عالم اللطف والط

وفي قصيدته (لا تقولي) يكرر الشاعر هذه الكلمة سبع مرات : (٨)

ويموت الغرام شيئا فشيئا
وتغفوا الأحلام في مقلتي
وسكبت الفؤاد في راحتيا
ل صداه يرن في أذنيا

لا تقولي ان الحياة ستطوي
و يمج الديدان في الثغر والخد
لا تقولي لقد أثرت شجوني
لا تقولي فان صوتك لا زا

وفي نص آخر يكرر الشاعر ضمير المنفصل للمتكلم (أنا) الدال على الفخر والاعتداد
بالنفس، يقول : (٩)

أنا في العواصف كالجبال تكون للأحداث قبرا
أنا كالمراهم للجروح أسيل فوق الجرح عطرا

(٧) ديوان سعيد الخنيزي : النغم الجريح ٢١٧

(٨) ديوان الخنيزي : شيء اسمه الحب ٤٥

(٩) ديوان الخنيزي : مدينة الدار ٩١

كما يكرر في أبيات أخرى فعل الأمر الناقص (كن) في مقام الحث والترغيب (١٠)

وكن نسمة كحنان الربيب	ع تضمد عطا جراح البشر
وكن جدولا يملأ الخافق	ين فيسقي القلوب ويسقي الفكر
وكن مشرقا مثل بدر السماء	يضيء الحياة شعاعا أغر

وربما جمع بين تكرار الحرف والفعل والاسم، فقد كرر بعض الحروف مثل (هل) الاستفهامية المتضمنة معني النفي و(أم) المنقطعة المفيدة للاضراب، كما كرر الفعل الماضي (شهد) الدال على تحقق المعنى وثبوته وكرر لفظ (الصديق) بوصفه القطب الذي يدور عليه رحي الموضوع. يقول : (١١)

أيها البدر هل شهدت خليلا	صادق الود حافظا العهود
هل شهدت الصديق يفديك بالـ	مال والنفس ذاك أقصى الحدود
أم شهدت الصديق تمثال وهم	خلقته رؤي الخيال الشroud
أم شهدت الصديق تمثال كذب	ورياء مزخرف في البرود

في هذه النماذج يتوافر شرطا الجودة، فاللفظ المتكرر متين الارتباط بالسياق، وما بعده قد لقي عناية الشاعر كاملة. بقي من ألوان التكرير لون دقيق يكثر استعماله في شعرنا الحديث، وهو تكرار الحرف، ومن أمثلته في شعر عبد القيس قول الخنيزي : (١٢)

ابتسم كالزهور كالليلة القمرأ ء كالفجر مشرق اللآلاء

فالشاعر يكرر الكاف هنا، ويؤثرها على واو العطف، لأنها تجدد التشبيه، وتقويه، محتفظة له ببقطة القاريء كاملة. ولا شك أن المعني يفقد كثيرا لو كان الشاعر قال :
ابتسم كالزهور والليلة القمرأ والفجر .

(١٠) ديوان سعيد الخنيزي : النغم الجريح ١١٤

(١١) ديوان الخنيزي : مدينة الدراري ٣٧

(١٢) ديوان الخنيزي : النغم الجريح ٩٥

(د) الصدق الفني والواقعية

يتحقق الصدق الفني في العمل الأدبي حين يصدر عن عاطفة جياشة بعفوية وتدفق وبلا تكلف أو افتعال، ويميز العقاد بين الصدق في التجربة ومطابقة الواقع فيري أن الصدق في التجربة هو النفاذ إلى روح الموضوع والاحاطة بأصوله ومقوماته بخلاف مطابقة الواقع فهي جمع معلومات خارجية حول الموضوع لا تمس روحه ولا تدخل منه في مقوماته^(١)، ويرى أن المبالغة ليست عيبا في الشعر ما دام الشاعر ملتزما للحقيقة الفنية^(٢). ويرى النويهي أن الصدق هو تعبير الأديب عن عاطفته وعقيدته وليس معناه النقل الحرفي للواقع الخارجي، وهو مطابقة الكلام لعقيدة المتكلم^(٣). ويرى أن الصنعة لا تتناقض مع الصدق وانما تتعارض معه حين يبالغ فيها حتى تصبح هي الغاية، وينسي انها لم تأت الا لابرار عاطفة صادقة ابرازا يثير نظيرها في نفس المتلقي، والتقدير النهائي في نظره يرجع إلى الذوق الفني الذي ينمو وينضج بكثرة القراءة وطول التأمل^(٤). أما غنيمي هلال فالصدق الفني عنده هو الأصالة وهو الأساس في صدق الفنون جميعها، وان الفصل بين العمل الفني والصدق بنوعيه الفني والواقعي فيه مساس خطير بأسس الفن الجوهرية اذ لا يستطيع فنان أداء رسالته الا بالالتزام بالصدق الفني للتعبير عن حقيقة أصيله يرجع في تصويرها إلى ذات نفسه لا إلى ما حفظ من عبارات وسرق من جمل، وهو يرى أن هذا الصدق في الفنان قد يتطلب معه أن يتحرر في فنه وأدبه من عقائد سائده أو مزاعم اخلاقية اجتماعية قائمة^(٥). ثم يشير إلى أن ما قاله القدماء وأسندوه إلى أرسطو من أن "أحسن الشعر أكذبه" لا أساس له من الصحة، فالصدق الفني والواقعي دعامة الخلق وبدونه لا يوجد فن يعتد به، وهذا هو رأي الفلاسفة جميعهم في كل عصر وزمان^(٦). ويرى د. مصطفى ناصف أن الصدق قد رادف الجودة وسارا معا في كل مكان وأن العناية البالغة بالصدق صرفت عن تحليل الشعر ذاته، وهو يرى أن العمل الأدبي هو ليس ترجمة

(١) العقاد : شاعر الغزل : ٨٦ - دار المعارف سلسلة اقرأ العدد الثاني ١٩٥٥ وساعات بين الكتب : ٧١

(٢) العقاد : ساعات بين الكتب : ١٣٣

(٣) النويهي : وظيفة الألب : ٤٩

(٤) نفسه : ٧٣ و ٧٨

(٥) في النقد الأدبي : ٣٣٤

(٦) نفسه : ٢٣١

للعاطفة وإنما هو تأويل لها، ومما يجعل القول في الصدق والكذب مجرد تعبير عاطفي لا خير فيه تعقد البواعث الانسانية واختلاطها^(٧)، والواقعية لغويا تعني تصوير الواقع والتعبير عنه، وهي قديمة قدم الأدب والفن، وتحقق الواقعية الهادفة بكل تعبير فني عن الواقع الاجتماعي بهدف تثبيت ما فيه من قيم أصيلة صالحة وتعميق ما أخذت فيه أو تصبوا اليه الجماعة الانسانية من قيم منشودة وتغيير ما في المجتمع من قيم فاسده وأوضاع سيئة ومفاهيم مضللة. وقد قال معظم الباحثين بواقعية أدبنا العربي في العصر الجاهلي قبل أن توجد الواقعية كمذهب بمئات السنين، ولم يكن هذا الالتزام من الشعراء. كما يقول د. العالم : مراعاة فهم لدين أو خضوعا لشريعة ولكنه كان أثرا من أثار حياتهم الطبيعية البسيطة التي تكفي بقدر الضرورة من كل شيء في المأكل والملبس والمشرب وتدع الفضول والمبالغات جانبا^(٨). وقد فطروهم على ذلك صراحتهم مع أنفسهم تلك الصراحة التي لا بد أن تكون قد تسللت إلى أنفسهم من حياة البادية الواضحة المكشوفة التي تلقنهم دروسا لا تنتهي في الصراحة والوضوح والصدق والعفوية وذلك بفضل حوائطها الرقيقة التي لا تكاد تخفي عن أعين الناس شيئا^(٩). وقد حمل شعراء عبد القيس منذ جاهليتهم تلك السمات من الصراحة والوضوح والصدق والواقعية، وقد عكس شعرهم حياتهم دون محاولة لتزيين قبيحها أو تغيير واقعها، وتجلت في حكمتهم هذه الخصائص فكان من أظهر مميزات حكمة عبد القيس الواقعية والصراحة، وقد استمدوا حكمهم من واقع تجاربهم الذاتية في أغلب الأحيان، فجاءت مترجمة عن طباعهم وأخلاقهم وبيئتهم وطبيعة معيشتهم وطريقة تفكيرهم. نجد هذه الواقعية والصراحة في كل ما صدر عنهم من حكم كان للتجربة الشخصية أثر في تكوينها. ففي مجال العلاقات الخاصة لم يجد الشاعر العبدى حرجا في الإفصاح عن مشاعره الحقيقية تجاه عدوه الذي يكن له الحقد والكراهية عبر هذه الصورة القوية الصارخة بإبراز ما بينهما من تباين وتضاد، يقول المنقّب العبدى :

فلو أنا على حجر ذبحنا جري الدميان بالخبر اليقين

(٧) دراسة في الأدب العربي : ٣١٣

(٨) اسماعيل العالم : شعراء البحرين في العصر الجاهلي - رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة القاهرة ٢٧٨

(٩) الكفراوي : الشعر العربي بين الجمود والتطور : ١٠

والمعنى انه لشدة ما بينهما من العداوة لا تختلط دماؤهما، فلو ذبحا على حجر لافترق
الدميان. وإذا كان هذا الشاعر عبر بصراحة الجاهلي الحادة، فإن عبد الصمد بن المعذل
الشاعر العباسي لم يخف صراحته وحقيقة شعوره نحو صديقه الذي هجره، وكان واقعيا
حين ذكر ان كلا منهما سيجد الخلف في الآخرين، يقول :

كلانا واجد في النا س ممن مله خلفا

وأحمد بن المعذل يطالب صديقه أن يعامله بالمثل، ويستكر عليه تجاهل هذا المبدأ
العادل يقول :

أفي حق المودة أن نقضي ذمامكم ولا تقضوا الذماما

وفي غزل المتنقب يظهر اعتزازه بنفسه ومعاملته الحبيبة بمثل عملها فاذا قطعه
جازاها بقطيعة مثله، يقول :

فاني لو تخالفني شمالي خلافا ما وصلت بها يميني
إذا لقطعتها ولقلت بيني كذلك أجتوي من يجتويني

ويرفض المتنقب العبدى ذا الوجهين ويعلن حكمه عليه ورأيه فيه بكل صراحة، يقول :

ان شر الناس من يكشر لي حين يلقاني وان غبت شتم

ويعبر ابن المقرب عن أنسه بالابتعاد عن المداحين، يقول :

لا تحسبوا أن بعد الدار أوحشني البعد أنس من قرب على دغل

ويوضح عمرو بن هبيرة الحالة القلقة والضعيفة لمن يعيش بين قوم ليس منهم، يقول :

و من تك في غير العشيرة داره يغضب فتبرد غير مرضي مغاضبه

ويقترّب هرم بن حيان من هذا المعنى، ويبين الأثر السلبي لمن يعيش بمفرده، وما قد
يتعرض له من ظلم لا يستطيع دفعه. يقول :

ولا يجد المكسور ما دام واحدا وعدي ذوي الأضغان للضيم مدفعا

ويصدر ابن المقرب العبدى عن واقعية حين يذكر أثر المال في تحقيق المكانة الاجتماعية، يقول :

إذا المرء لم يملك من المال ثروة رمته عداه واجتوته أقاربه

وتحدثوا عن الموت بواقعية وصدق، ولم يخفوا خوفهم منه يقول أحد شعراء عبد القيس:

و لم لو يمت ممن تري غير واحد لكنك جديرا أن أخاف على نفسي

ويقول المثقب مصورا ومعتزفا بأن قومه ليسوا محرمين على القتل، وبخاصة عندما عصوا أمر الملك عمرو بن هند :

و أقام الرأي وقع صادق بعد ما صاف وفي الخد صعر
و لقد أودي بمن أودي به عيش دهر كان حلوا فأمر

وفي مرارة ممضة يعبر ابن المقرب عن المفارقات التي تجري في عالم الواقع، والأعاجيب التي تقع بفعل الظروف والحظوظ، معزيا نفسه عن ذلك بالتشبيه الساخر. يقول: (١٠)

و ليس عجيبا أن يحقر عالم لدي ضده أو أن يوقر جاهل
فقد ربما للجديكرم ناهق فيخلي له المرعي ويحرم صاهل
و قد يلبس الديباج قرد ولعبة وتلوي بأعناق الرجال السلاسل

ومن مميزات حكمهم غلبة الطابع الحماسي عليها، ولا سيما ما ورد في ذلك من شعر ابن المقرب، فمن ذلك قوله :

فقم واركب الأهوال جدا فطالما

أفاد الغني بالمركب الصعب راكبه

ويقول :

عدمت الفتى لا ينكر الضيم والردى

على خطأ يغتاله أو تعمدا

ويقول المتنقب :

نعد لأيام الحفاظ مكارما

ثقالا وأعرضا صحيحا أديمها

ويقول أبو بكر الخالدي :

إن خالك الدهر فكن عاندا

بالبيد والظلماء والعيس

ولا تكن عبد المني فالمني

رؤوس أموال المفاليس

وفي صراحة شديدة يخاطب ابن المقرب العيوني نفسه، طالبا منها طرح التعلل بالأمانى المضللة، والأحلام الزائفة، ومواجهة الواقع مهما كان قاسيا، بكل شجاعة وجرأة، ويشبه استكانته باستكانة الضب لشفار الصائد، وهو يظن أنه في منجاة منها، يقول: (١١)

ألم يأن أن تنسى عسى ولعلما

وتترك ليتا للمعنى وربما

أم أنت امرؤ كالضب قد علقت به

حبائل عص حالف الفقر أرشما

يرى نفسه في كفه وشفاره

تحد وجزل النار يعلو تضرما

ويرجوا انتعاشا إذ يقول لحسله

أرى أننا في هذه الحال نوما

وفي أبيات عبد الواحد الخنيزي والتي وضعها تحت عنوان (مشاعل على الطريق) (١٢)، يطرح الشاعر فيها أشتاتاً من التأملات الصادقة المستمدة من واقع الحياة، نراه يحذر من التشاؤم، بتوضيح آثاره الضارة، وما ينتج من خوف وقلق وضيق، وتحويل الجميل إلى قبيح والنور إلى ظلام. يقول :

(١١) المصدر السابق : ٤٦٦

(١٢) ديوانه : ١٤٣ - مكتبة الأنجلو المصرية

إذا سكن الخوف قلب امرئ رأي الصبح ليلا وفي الأمن ذعرا
وإذا ضاقت الحياة على المرء رأي في رحابة الكون شبرا

ولأن الشاعر يتعامل مع الحياة بواقعية شديدة، نجده يحذر أيضا من الاسراف في
التفاؤل، حتى لا يصدم المرء بما تعترضه عادة من مشكلات وعقبات ومنغصات في
الحياة، وينهار أمامها، لأنه لم يتخذ من وسطية النظرة مناعة تجعله قادرا على التكيف مع
الظروف، يقول :

من نور الليل البهيم بوهمه فتح الجفون على نهار أسود
من عاش في أوهامه في جنة عاش الجحيم على صعيد الواقع
ان بعض الشؤون تقضي على المرء بأن يفعل الذي لا يريد

وبواقعيته الصادقة أو صدقه الواقعي، نراه يشير إلى بعض الظواهر الاجتماعية
والطبيعية، كالمصادقات والحظوظ، وتقبلها بحسناتها وسيئاتها، من أجل استمرار الحياة،
يقول:

الذي يبتغي صديقا بلا عيب سيبقي فردا بغير صديق
الفضل لا يرفع حظا هوي والجهل لا يخفض حظا سما

الغائمة

في نهاية المطاف نوجز نقاط البحث الهامة، والنتائج التي توصل إليها :

١ - فقد بدأ البحث بتمهيد مختصر تناول جانبين، الجانب الأول موطن القبيلة ونسبها والجانب الثاني تعريف الحكمة. ففيما يتصل بنسب القبيلة عرفنا أنها عدنانية كبيرة تنتمي أصولها إلى عبد القيس بن أفي بن دعي بن جدلة بن أسد بن ربيعة، وأنها تنفرع إلى فرعين كبيرين هما اللبؤ بن عبد القيس وأفي بن عبد القيس، وأن العدد والشرف كان في أفي الذي ولد لكيز وشن، وهما قبيلة عبد القيس .

أما موطن شعراء القبيلة فكانت البحرين بحدودها القديمة التي ترادف الخليج العربي، وتشمل المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية وجزيرة أوال وقطر والكويت ورأس الخيمة، ثم انتقل فريق منهم إلى البصرة والكوفة والموصل وفارس وخراسان خلال الفتوح الإسلامية .

وفيما يتعلق بتعريف الحكمة عرفنا أن أصل الحكمة مشتق من قولهم حكم الفرس وأحكمه، وأن الحكيم هو المتقن للأمور، المصيب برأيه الذي يقضي على شيء بشيء، وهو العالم الذكي الفطن الذي ينظر بعين البصيرة إلى أعماق الأمور بتؤدة وتبصر وأناة، فالحكمة هي جوهر المعرفة والغاية منها هي التبصر في الأمور واستقراء الحوادث ودراستها لاستخراج التجارب منها والحكم بموجبها. كما عرفنا أن أدب الأمثال فرع من الحكمة، فالحكيم هو الذي ينطق بالحكم يقرنها بالأمثال والقصص والنوادر. وخلصنا إلى أن الحكمة قول بليغ صائب الفكرة دقيق التعبير يتضمن حكما صحيحا مسلما به أو عظة نافعة وعلما مفيدا أو توجيها سليما إلى جانب من جوانب السلوك يصدر من ذوي رأي وتجربة .

٢ - وقد بنيت خطة هذا البحث بعد التمهيد على ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول منابع حكمة عبد القيس، وقد تمثل في أربعة ينابيع: الأول تحدث عن المنبع الديني، وكان من شقين: الشق الأول ديانات عبد القيس في الجاهلية، والشق الثاني اسلام عبد القيس، أما عن عقائد عبد القيس الجاهلية، فكانت بين وثنية ومسيحية، وكان للوثنيين صنم يدعي ذا اللباء سدنته بنو عامر، وقد انتقلت المسيحية إلى ديار عبد القيس عن طريق العراق، عندما كانت البحرين تحت نفوذ المناذرة في الحيرة، وكان الجميع يدينون بالمذهب النسطوري، ومن أشهر الأديرة التي ساهمت في انتشار النصرانية في الخليج العربي مطرنة في قطر تسمى بيت قطرايا، ومن أسقفياتها الكبرى أسقفية سماهيج، وأبرز شخصاتها الدينية رناب الشني، والجارود العبدى، وبحيرا الراهب الذي يذهب المسعودي إلى انه من عبد القيس، ويظن أن قس بن ساعدة كان من البحرين، وكان لهؤلاء أثر في تفكير شعراء عبد القيس وكانت من أسبق القبائل إلى الاسلام، وقد تم لها ذلك قبيل وخلال الوفادتين اللتين قام بهما وجوه القبيلة، ففي الوفادة الأولى رأس عبد القيس المنذر بن عائد الملقب بالأشج، وكان السبب المباشر لاسلام الفوج الأول من عبد القيس يعود إلى ان منقذ بن حيان العبدى - ابن أخت الأشج - كان يذهب بتجارته إلى المدينة، وبينما كان منقذ جالسا إذ مر به النبي (ص) فنهض اليه منقذ فقال كيف قومك ؟ ثم سأله عن أشrafهم رجلا رجلا بأسمائهم، فأسلم منقذ وتعلم الفاتحة وسورة اقرأ وكتب الرسول لجماعة عبد القيس كتابا فأعطاه للأشج فأسلم ثم أخذ المنذر كتابه وأطلع القوم عليه فاسلموا. أما الوفادة الثانية فكانت برئاسة الجارود العبدى حيث أسلم بين يدي الرسول (ص) وأسلم أفراد الوفد معه، وتركوا دين النصرانية الذي كانوا يدينون به.

أما المنبع الثاني من منابع حكمة عبد القيس فكان ذا جوانب ثلاثة: الموروث الثقافي الجاهلي، والموروث الثقافي الاسلامي، ومعطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال. فقد كان الجانب الأول رافدا هاما من روافد حكمتهم، لما انطوى عليه من صنوف الثقافة المعروفة في العصر الجاهلي حتى نبغ في عبد القيس الحكيم والصانع والخطيب والمصلح. وقد أظهر البحث بعض المؤشرات الدالة على احتمال وجود قس بن ساعدة الايادي في البحرين وتأثيره فيمن حوله، وهو خطيب العرب الأول وحكيمها في الجاهلية، إلى جانب حكماء

آخرين في عبد القيس كرناب الشني، وعمرو بن الجعيد، والأشج العبدى، والجارود العبدى، وأم النحيف العبدية، وأم حزنة، وأم حكيم وغيرهم. وقد تحدث هذا المنبع عن أصحاب الأوائل من عبد القيس كهزير بن شن أول من ثقف القنا بالخط، والحطمة بن محارب الذي تنسب إليه الدروع الحطمية، وصحار العبدى صاحب أول كتاب في الأمثال. أما الجانب الثاني من المنبع الثقافي فهو الموروث الثقافي الاسلامي وقد أوضح هذا الجانب غلبة علم الحديث على ثقافة بني عبد القيس الاسلامية، وبروز كوكبة كبيرة منهم في هذا المجال كما ظهر فيهم فقهاء وأصحاب مؤلفات عديدة ذات صبغة أدبية وتاريخية .

أما الجانب الثالث من المنبع الثقافي فهو معطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال، وقد عكس هذا الجانب ما سجله شعر عبد القيس من أمثال كثيرة بعضها ابتكره شعراؤهم وبعضها إقتبسوه من أمثال العرب، وتوصل البحث إلى ترجيح نسبة بعض الأمثال إلى قائلها السابقين، كما وردت لهم أمثال مبتكرة خارج منظوماتهم الشعرية. أما المنبع الثالث من منابع الحكمة فهو المنبع الأجنبي، وقد بين هذا الجانب تأثر عبد القيس بهذا المنبع، وقد ساعد على ذلك عدة عوامل منها الموقع الجغرافي الذي يتصل ببحر عمان وبحر الهند وبحر الصين والقلزم والزنج والسند، وإن أهله الذين يقطنون على سواحل وجزره على اتصال مستمر بالأمم الأخرى عن طريق البحار المذكورة. ومن هذه العوامل التكوين الاجتماعي الذي يتكون من العرب وجاليات أخرى أهمها الفرس ذوو الجذور الحضارية. ومن العوامل أيضا الرحلات والهجرات، حيث قام الكثير من أبناء عبد القيس برحلات وهجرات إلى العراق والحيرة والبصرة والكوفة والموصل والي فارس وخراسان. وأخيرا كانت الأسواق العامة أشبه ما تكون بمؤتمرات أدبية وجدت فيها عبد القيس وغيرها ألوانا من الثقافات. أما المنبع الرابع والأخير من منابع حكمة عبد القيس فهو التجربة الذاتية، ويعتبر هذا المنبع أكبر منابع وأقواها، حيث كانت التجارب الشخصية المصدر الأغزر لحكمتهم .

٣ - وقد احتوى الفصل الثاني على الحكمة وقضايا الانسان، وجاء في خمس قضايا :
الأولي تناولت قضية الحياة والموت ، وقد احتلت هذه القضية من تفكير الشاعر العبدى أكبر

مكان، وكان موقف الشاعر العبدى الجاهلى من قضية الموت يرتكز على نظرة حزينة متشائمة ولكنها لم تدفعهم إلى الهروب من الحياة عن طريق السكر والعريضة، فكان وقوفهم عند الموت الاعتاض والاعتبار والفروسية والشجاعة، وقد دل ذلك الوقوف الطويل على استقلال شخصيتهم واحساسهم بذوائهم وحصولهم على قدر من التحضر والمدنية. أما شعراء عبد القيس الإسلاميون فقد كانت وقفته ونظرته تجاه قضية الموت مختلفة، فلم يعد ذلك التشاؤم يسود تفكيرهم، الا أنهم جمعوا بين الحديث عن أمور تقليدية كالشيب وغيره، وبين أمور جديدة استمدوها من ثقافتهم الفلسفية، كقضية النفس ونشوء خلق الانسان وتناولت القضية الثانية قضية العلاقات الاجتماعية، وقد جلتها نظرة تشاؤمية، فتمثلت جل حكمهم في الشكوى والعتاب والنصيحة، وتحدثت الثالثة عن قضية الأخلاق حديثا كشف عن اهتمام عبد القيس بهذه الناحية، وافتخارهم بالفضائل ومكارم الأخلاق، كما أبان عن روح حضارية اتصفوا بها منذ العصر الجاهلى. وتضمنت الرابعة قضية الشؤون السياسية، وقد تجلت هذه القضية في شعرهم الحكمى الجاهلى، وفي شعر ابن المقرب العيونى الذى كان فارس الحلبة في هذا الميدان، حيث بلغت أبياته في ذلك أربعمائة وسبعين بيتا. أما القضية الخامسة من فصل الحكمة وقضايا الانسان فتشمل قضية الايمان والزهد، وقد بينت أن العبدىين في الجاهلية كانوا على معرفة بالله، وقد وجد بينهم موحدون ونصاري، وكثير من الحكماء الذين نظروا بفكرهم نظرة أوسع إلى الله والطريق إلى تعاليمه، وقد وجدوا في الاسلام - بعد ظهوره - الحل الأمثل لأمر دينهم ودنياهم فاسرعوا إلى إعتناقه والتمسك به.

وقد سجل شعرهم في هذا الجانب قصة اسلامهم ووفادتهم على الرسول (ص)، وايمانهم المطلق بقضاء الله وقدره، وتقوى الله وخشيته، والدعوة إلى وحدة الصف الاسلامى، والزهد في الدنيا، الا أن بعضهم في زهده جنح إلى التشاؤم من بعض الناس، كما أن بعضهم الآخر كان متفائلا، كالشاعر المعاصر محمد الخنيزى الذى ناقش مشكلة الضياع والحيرة التى صاحبت يعرض الشباب في الستينات من هذا القرن وأشار إلى النهضة العلمية والدينية في البلاد .

٤ - أما الفصل الثالث فقد عالج الخصائص الموضوعية والفنية لحكمة عبد القيس من خلال تسع نقاط : القطعة الحكمية، وقد ناقشت هذه النقطة أسباب شيوع المقطعة في شعر عبد القيس، وأهم هذه الأسباب أن أكثر حكمتهم كان وليد التجربة الذاتية، وهي أشبه بسهام تصوب إلى أهدافها بكل تركيز. ومن ذلك قلة المقدمة الغزلية في شعر العبديين، ومنها حياة فرسان الحرب في عبد القيس وما تتطلبه من إيجاز وسرعة، ومن الأسباب مجيء بعض حكمهم بشكل مرتجل، ومن ذلك وردها على صورة الوصايا التربوية التي تتطلب الإيجاز، ومنها صدور هذه المقطوعات عن شعراء غير محترمين، ومن ذلك ضياع قسم من شعرهم، ومن حيث المضمون فقد شملت المقطعة كل خواطرهم وخطراتهم الفلسفية إلا أن فكرة الحياة والموت أخذت مساحة أكبر من حكمتهم، ولا سيما شعرهم الجاهلي، ويرجع هذا إلى البيئة الحضرية المترفة، كما شغلت مسألة الأخلاق والسلوك جانباً من اهتمامهم. وقد تميزت هذه المقطوعات بالوحدة الموضوعية إلا الطويل منها فإن بعضه لم يحافظ بشكل كامل على هذه الوحدة، وقد بلغت مقطوعات عبد القيس أكثر من تسعين مقطوعة، وكان أغلبها قصيراً يتراوح بين البيتين والثلاثة. ومن حيث الشكل فقد أتت هذه المقطوعات في صور شتى، جمعت بين الموعظة والوصية والنصيحة ومقدمات الفروسية والمعاتبة والشكوي والزهد والدهاء والإشادة والمثل والقصة والفخر والاعتذار عن سوء الحال والهجاء. النقطة الثانية تناولت الحكمة في القصيدة المركبة، علماً بأن مصطلح القصيدة المركبة إستعمله حازم القرطاجني، ويقصد به الجمع بين غرضين أو أكثر من أغراض الشعر، ويأتي ابن المقرب على رأس شعراء عبد القيس في هذا الجانب البنائي من حكمتهم، فقد رصع شعره بمائتي حكمة وردت فيما يقرب من ستين قصيدة، ولم يكن له منهج محدد فيها فقد ترد في مستهل قصائده، أو في ثناياها أو في أشطارها كما رأينا. وقد نظم ابن المقرب أغلب قصائده المركبة في الطويل والبسيط والكامل والوافر، وقد وجدت الحكمة في القصائد المركبة لدى شعراء عبد القيس منذ العصر الجاهلي، وللمتقرب العبدى أكثر من قصيدة مركبة، كما وجدت الحكمة في القصائد المركبة لدى شعراء عبيدين في العصور الأخرى، من ذلك الشاعر المعاصر محمد سعيد الخنيزي والشاعر العثماني أبو البحر الخطي، والشاعر العباسي أبو عثمان الخالدي. والنقطة الثالثة تناولت الحكمة في

القصيدة البسيطة، وهذا المصطلح مثل سابقه من مصطلحات حازم القرطاجني، ويقصد به القصيدة المستقلة بالحكمة، وهي ذات الوحدة الموضوعية، وقد كان الشاعر محمد سعيد الخنيزي فارس الحلبة في هذا الميدان، وهذا ما مكن الشاعر من اتخاذ عناوين لقصائده تدل على فحواها، من ذلك قصيدة (النهر الطروب) وقصيدة (سراب) وقصيدة (لا تقول) وقصيدة (إليها) وغير ذلك. ولم يخل شعر عبد القيس القديم من الوحدة الموضوعية، كما رأينا في لامية الأعور الشني. والنقطة الرابعة تتصل بالألفاظ والمعاني، وعرفنا من ذلك سهولة ألفاظ حكمتهم في جملتها بحكم طبيعة الموضوعات من ناحية وبحكم البيئة المدنية التي عاشوا فيها منذ جاهليتهم، أما معانيهم فقد جمعت بين الابتكار والتقليد والتلبد الطريف. والنقطة الخامسة تتعلق بالتصوير والتلوين البديعي، وقد كان التشبيه الأداة الرئيسية لخيالهم التصويري في حكمتهم، وكانت أكثر صورهم حسية بصرية. كما استعملوا الاستعارة بصورة لفتت أنظار الشعراء اللاحقين إليها، وتمثلوا بالقصص التاريخية، وقصص الحيوان. ومن ألوان البديع استخدموا الطباق والمقابلة، والجناس الناقص. والنقطة السادسة تناولت خصائص أخرى كالوحدة الموضوعية، والإطالة والملاءمة، والتكرار، والصدق والواقعية. وقد تمثلت الوحدة الموضوعية في بعض المقطوعات الطويلة، وأغلب المقطوعات القصيرة، إلى جانب القصائد المستقلة بموضوع واحد. كما تمثلت الإطالة والملاءمة في القصائد المركبة، وقد كانت جل قصائد ابن المقرب العيوني من هذا القبيل، فقد حقق في قصائده المشتركة حسن الترابط والانسجام، مع طول مساحة الحكمة في هذا النوع من القصائد .

و كان التكرار من مظاهر النضج الفني في حكمتهم، حيث كان وسيلة موسيقية لتنويع الأنغام، ومنه تكرار حرف في بيت أو في جميع أبيات القصيدة، أو تكرار كلمة ما، ومن أنواعه تكرار التذييل، وتكرار الحرف الذي كثر استعماله في الشعر الحديث. كما تميزت حكمتهم بالصدق والواقعية، والصدق في التجربة هو النفاذ إلى روح الموضوع، وليس معناه النقل الحرفي للواقع. والصدق هو الأصالة والجودة. والواقعية تعني تصوير الواقع، والتعبير عنه. وقد عرف الشعراء العرب عموماً بذلك منذ جاهليتهم، وقد تجلت في حكمة عبد القيس بشكل واضح وقوي .

وقد ابرز البحث ما أضافه الشعراء العبديون للتراث الحكمي من ريادة للشعر التعليمي على يد المتقرب العبدى فى ميميته التى منها :

لا تقولن اذا ما لم ترد أن تتم الوعد فى شىء نعم

وريادة فى أسلوب التصوير متمثلاً فى الاستعارة على يد شاتم العبدى فى عينيته التى مطلعها :

ولما رأيت الدهر وعراً سبيله وأبدي لنا ظهراً أجب مسلماً

مما أكسب حكمتهم طراوة وحيوية وتأثيراً، وجنبها الجاف والتقريرية التى وصمها بها أصحاب المنظومات، كذلك تناول البحث دور الشاعر الجاهلى العبدى فى لم شتات القبيلة، والأخذ بيدها إلى معالى الأمور، والترفع عن سفاسفها، ودور الشاعر العبدى المسلم فى الدعوة إلى التخلق بالأداب والقيم السامية، والتضامن الإسلامى .

المصادر والمراجع

(أ)

- ❖ الأمدي، أبو القاسم : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ج ١ تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف بمصر ط ٢ ١٣٩٢ هـ.
- ❖ ابراهيم، زكريا : مشكلة الفلسفة - مكتبة مصر - القاهرة .
- ❖ أبو تمام : الوحشيات - دار المعارف مصر ١٩٦٣ م.
- ❖ : الحماسة ج ٢ • مطبعة على صبيح الكتبي - القاهرة .
- ❖ أبو سليم، أنور : قراءة في معلقة طرفة بن العبد - مجلة - جامعة الملك سعود - م ٤ - الآداب - ٢ - ١٤١٢ هـ.
- ❖ أبو عبيدة : مجاز القرآن - ج ١ - تحقيق محمد فؤاد سركين - مطابع الخانجي - مصر ١٩٥٤ م.
- ❖ الأزهرى، عبد العزيز مزروع : الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي - مطبعة العلوم - مصر الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ.
- ❖ الأسد، ناصر الدين : مصادر الشعر الجاهلي - دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .
- ❖ الأصفهاني، عماد الدين : خريدة القصر ج ٤ ج ٢ - تحقيق محمد نهج الأثري - سلسلة كتب التراث - بغداد .
- ❖ الأصفهاني، عماد الدين : تكملة خريدة القصر - قسم شعراء العراق - مطبوعات المجمع العلمي العراقي.
- ❖ الأصمعي، أبو سعيد : الأصمعيات - تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة .

- ❖ الأفغاني، سعيد : أسواق العرب - دار الفكر بدمشق ١٣٧٩ هـ.
- ❖ الألوسي، محمود : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ٢ تحقيق محمد بهجه الأثري - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ❖ الامام، أحمد : مسند ج ٣ - المكتب الاسلامي ٠ بيروت .
- ❖ أمين، أحمد : فجر الاسلام - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٤ م .
- ❖ أنيس، ابراهيم : موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢ م .

(ب - ت - ث)

- ❖ باقازي، عبد الله : رثاء النفس في الشعر العربي - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة.
- ❖ البحري : الحماسة - تحقيق لويس شيخو - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ❖ بدوي، أحمد : أسس النقد العربي - دار نهضة مصر .
- ❖ بدوي، عبد الرحمن : الموت والعبقريّة - دار العلم - بيروت .
- ❖ البصري، حسن : الحماسة البصرية - تحقيق مختار الدين أحمد ٠ عالم الكتب - بيروت.
- ❖ البكري، أبو عبيد : فصل المقال - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - ١٤٠٣ هـ .
- ❖ : معجم ما استعجم ج ١ - عالم الكتب - بيروت - تحقيق مصطفى السقا.
- ❖ بكار، يوسف : بناء القصيدة العربية - دار المعارف - القاهرة ١٣٧٩ هـ .
- ❖ البلاذري، أحمد : فتوح البلدان - تحقيق صلاح الدين المنجد - مكتبة النهضة المصرية .
- ❖ بليغ، عبد الحكيم : أدب المعتزلة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - مطبعة الرسالة الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .
- ❖ الثعالبي، أبو منصور : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - تحقيق محمد أبو الفضل - نهضة مصر ١٣٨٤ هـ .

(ج - ح)

- ❖ الجاحظ، أبو عثمان : البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٥ م .
- ❖ الجاحظ، أبو عثمان : الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ .
- ❖ الجاسر، حمد : المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ج ١ - منشورات دار اليمامة بالرياض ١٤٠١ هـ .
- ❖ الجاسر، حمد : مجلة العرب ج ٦،٥ س ١٧ .
- ❖ ابن حبيب، أبو جعفر : المحبر - تحقيق ايلزة ليحتن - المكتب التجاري - بيروت .
- ❖ ابن حزم، أبو محمد : جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر .
- ❖ الحموي، ياقوت : معجم البلدان ج ٤ - دار احياء التراث العربي - بيروت .
- ❖ الحوفي، أحمد : تيارات ثقافية بين العرب والفرس - دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة - الطبعة الثالثة .

(خ)

- ❖ الخالديان، أبو بكر وأبو عثمان : ديوانهما - تحقيق سامي الدهان - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ❖ : الأشباه والنظائر ج ٢،١ - تحقيق السيد محمد يوسف - لجنة التأليف والترجمة والنشر - مكتبة وهبة بالقاهرة .
- ❖ : المختار من شعر بشار - تحقيق محمد العلوي - لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ❖ خضر، عبد العليم : الانسان والأرض - الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٤٠٧ هـ .
- ❖ الخضير، علي : علي بن المقرب العيوني - حياته وشعره - مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ .

- ❖ الخطيب، أحمد : شعر على بن المقرب العيوني - دار المريخ بالرياض ١٤٠٤ هـ
- ❖ الخطيب، على : تاريخ من دفن بالعراق من الصحابة - ط ١ - بيروت ١٩٧٤ م .
- ❖ الخطي، جعفر : ديوانه - عناية - الخطيب على الهاشمي - مطبعة الحيدري - طهران ١٣٧٣ هـ .
- ❖ ابن خلدون، عبد الرحمن : العبر وديوان المبتدأ والخبر - ج ٤ - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٦٦ م .
- ❖ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٤ - دار صادر - بيروت .
- ❖ الخنيزي، سعيد : مدينة الدراري - مطابع الرضا بالدمام ١٤١٤ هـ .
- ❖ : النغم الجريح - دار مكتبة الحياة - بيروت .
- ❖ : شيء اسمه الحب - مكتبة الأنجلو المصرية .
- ❖ : شمس بلا أفق - الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
- ❖ الخنيزي، عبد الواحد : رسمت قلبي - مكتبة الأنجلو المصرية .
- ❖ الخواج، زهدي : موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري - دار الأصالة للثقافة والنشر بالرياض ١٤٠٢ هـ .

(د - و - ز)

- ❖ ابن دريد، أبو بكر : جمهر اللغة - مطبعة مجلس دائرة المعارف - حيدر أباد - الدكن ١٣٤٣ هـ .
- ❖ الراغب الأصفهاني : المحاضرات - مكتبة الحياة - بيروت .
- ❖ ربابعة، موسي : قراءه في نونية المثقب العبدى - مجلة جامعة الملك سعود - الآداب - ١٤١٢ هـ / ٢/ .
- ❖ الرقام العبدى : العفو والاعتذار - الرياض - مطابع جامعة الامام محمد بن سعود ١٤٠١ هـ .
- ❖ الزمخشري، محمود : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - تحقيق سليم النعيمي - مكتبة العاني - بغداد .

❖ الزير، محمد : الحياة والموت في الشعر الأموي - الرياض - دار ميه للنشر والتوزيع
١٤١٠ هـ .

(س - ش)

- ❖ السجستاني، أبو حاتم : المعمرون والوصايا - تحقيق عبد المنعم عامر - دار احياء
الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٦١ م .
- ❖ سراج، نادره : شعراء الرابطة القلمية - دار المعارف بمصر .
- ❖ ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٧ - دار صادر - بيروت .
- ❖ السهيلي، أبو القاسم : الروض الأنف - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .
- ❖ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ - مكتبة المعارف - الرياض .
- ❖ السيد، عز الدين : التكرار بين المثير والتأثير - دار الطباعة المحمدية - القاهرة -
١٣٩٨ هـ
- ❖ ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة - تحقيق فهد سكتوت، الناشر السيد حبيب أحمد -
جدة - دار الأصفهاني الطبعة الثانية.
- ❖ ابن الشجري : الحماسة - تحقيق عبد المعين الملوح وأسماء الحمصي - دمشق
١٩٧٠ م .
- ❖ شرف الدين، عمر : الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة - مصر - الهيئة المصرية
العامة للكتاب ١٩٨٧ م .
- ❖ الشريف المرتضي : أماليه - ج ١ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتاب
العربي - بيروت ١٣٨٧ هـ .

(ص - ض - ط - ظ)

- ❖ صالح، مخيمر : رثاء الأبناء في الشعر العربي - دار المنار - الزرقاء - الأردن ط ١ .
- ❖ الصفدي : الوافي بالوفيات - ج ٨ باعتناء محمد يوسف نجم - الناشر نرانز شنائز
فيسبادن - جمعية المستشرقين الألمانية .
- ❖ صفوت، أحمد : جمهرة خطب العرب - المكتبة العلمية - بيروت .

- ❖ الضبي، المفضل : المفضليات - تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف بمصر - الطبعة الخامسة .
- ❖ ابن طباطبا : عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز المانع - دار العلوم - الرياض ١٤٠٥ هـ.
- ❖ الطبري : تاريخ الرسل والملوك - ج ٢، ج ٧ - دار سويدان - بيروت .
- ❖ الظاهري، أبو تراب : وفود الاسلام - دار القبلة للثقافة الاسلامية - الطبعة الأولى ١٤٠٤ .

(ع)

- ❖ العالم، اسماعيل : شعراء البحرين في العصر الجاهلي - رسالة ماجستير - مخطوط - جامعة القاهرة - كلية الآداب ١٩٧٤ م .
- ❖ عباس، احسان : ديوان شعر الخوارج - دار الشروق - بيروت ١٤٠٢ هـ .
- ❖ العقاد، عباس : شاعر الغزل - دار المعارف - سلسلة إقرأ العدد الثاني ١٩٥٥ م .
- ❖ : ساعات بين الكتب - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٩ م - ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٢٩ م .
- ❖ عبد اللطيف، مصطفى : الحياة والموت في الشعر الجاهلي - بغداد ١٩٧٧ م .
- ❖ ابن عبد ربه : العقد الفريد - ج ٣ - تحقيق أحمد أمين وآخرون - لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٨ م .
- ❖ آل عبد القادر، محمد : تاريخ الاحساء ج ١ - مكتبة المعارف - الرياض .
- ❖ العبيدي، محمد : التذكرة السعدية في الأشعار العربية - مكتبة الأهلية - بغداد - ١٩٧٢ م.
- ❖ عطوان، حسين : شعر الصعاليك في العصر الأموي - دار المعارف - مصر .
- ❖ العسقلاني، ابن حجر : الاصابة - ج ١، ٢، ٣، ٦ - تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ ١٤١٥ هـ .
- ❖ العسكري، أبو هلال : الصناعيين - تحقيق علي البيجاوي وأبو الفضل ابراهيم - عيسى البابي الحلبي .

- ❖ العقيلي، محمد : الخليج العربي في العصور الإسلامية - دار الفكر اللبناني - بيروت ١٤٠٣ هـ .
- ❖ علي، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - ج ٨، ٤ - دار العلم اللبنانية - بيروت ١٩٦٨ م .
- ❖ العوتي : الأنساب - ج ١ - وزارة التراث والثقافة - عمان ١٤٠٢ هـ .
- ❖ عويس، محمد : الحكمة في الشعر العربي - ج ١ - مكتبة الطليعة بأسبوط .

(ف - ق - ك)

- ❖ الفرّج، سعود : شعراء مبدعون من الجزيرة العربية والخليج - ج ١ - القطيف - ١٤١٧ هـ
- ❖ فراج، عبد الستار : مقدمة أخبار أبي نواس - مصر - مكتبة مصر .
- ❖ فضل الله، سهير : الفلسفة الانسانية في الاسلام - دار النهضة المصرية ١٩٧٨ م
- ❖ القالي، أبو على : الامالي - ج ٢ - دار الفكر - بيروت .
- ❖ قبش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال - بيروت - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٩
- ❖ ابن قتيبة : أبو محمد - المعارف - تحقيق ثروت عكاشة - دار المعارف بمصر - ط ٢ .
- ❖ ابن قتيبة : الشعر والشعراء - تحقيق أحمد شاکر - دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م
- ❖ القفطي، أبو الحسن : إنباه الرواه - ج ٢ - القاهرة - دار الفكر العربي .
- ❖ قلّعجي، قدری : الخليج العربي - دار الكاتب العربي - ١٩٦٥ م .
- ❖ الكتبي، محمد : فوات الوفيات - مكتبة النهضة المصرية - تحقيق محي الدين عبد الحميد .
- ❖ الكفراوي، محمد : الشعر العربي بين الجمود والتطور - دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة - الطبعة الرابعة .
- ❖ ابن الكلبي : أنساب الخيل - تحقيق أحمد زكي - الدار القومية بالقاهرة - ١٩٦٥ م

(م)

- ❖ المبارك، عبد الرحيم : قبيلة عبد القيس منذ ظهور الاسلام حتى نهاية العصر الأموي - نادي الشرقية الأدبي - ١٤١٥ هـ .
- ❖ المرتضي، الشريف علي : أماليه - ج ١ - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ .
- ❖ المنقّب العبدى : ديوانه - تحقيق الصيرفي - معهد المخطوطات العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة - ١٣٩١ هـ .
- ❖ المرزباني، أبو عبيد الله : معجم الشعراء - تحقيق ن كرنكو - مكتبة القدس - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ❖ : أشعار النساء - تحقيق سامي العاني وهلال ناجي - عالم الكتب - بيروت - ط ١ ١٤١٥ هـ .
- ❖ : الموشح - نهضة مصر .
- ❖ المسعودي، علي : مروج الذهب - ج ١ - تحقيق محي الدين عبد الحميد - دار الفكر - بيروت ١٣٩٣ هـ .
- ❖ ابن المعذل، عبد الصمد : شعره - تحقيق زهير زاهد - مطبعة النعمان بالنجف ١٩٧٠ م .
- ❖ المعيني، عبد الحميد : شعراء عبد القيس غي العصر الجاهلي - رسالة ماجستير مخطوطة - جامعة القاهرة - كلية الآداب ١٩٧٦ م .
- ❖ ابن المقرب العيوني : ديوانه - الاحساء - مكتبة التعاون الثقافي ١٩٨٨ م .
- ❖ الملائكة، نازك : قضايا الشعر المعاصر - دار العلم للملايين - الطبعة السابعة ١٩٦٢ م .
- ❖ ابن منظور، محمد : مختار الأغاني - الجزء الخامس - تحقيق عبد العزيز أحمد - الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٦ م .
- ❖ ابن منقذ، أسامة : المنازل والديار - تحقيق مصطفى حجازي - القاهرة ١٩٦٨ م .
- ❖ الميداني : مجمع الأمثال - تحقيق محي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٤ هـ .

(ن - ه - و - ي)

- ❖ نالينو : تاريخ الأداب العربية - دار المعارف - مصر - الطبعة الثانية .
- ❖ النجم، عبد الرحمن : البحرين في صدر الاسلام - بغداد ١٩٧٣ م.
- ❖ النويري : نهاية الارب - ج ٣، ج ١٨ - مصر نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - وزارة الثقافة والارشاد .
- ❖ هلال، محمد غنيمي : في النقد الأدبي - مكتبة الأنجلو المصرية .
- ❖ هداره، محمد : مقدمة كتاب سرقات أبي نواس - المهلهل بن يموت - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ❖ ابن واصل الحموي : تجريد الأغاني - ج ٤ - شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة - كتاب التحرير .
- ❖ الوشاء : الفاضل في صفة الأدب الكامل - تحقيق يوسف يعقوب مسكوني - مطبعة شفيق - بغداد ١٩٧١ م .
- ❖ اليوسف، عبد العلي : القطيف وأضواء على شعرها المعاصر - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

المؤلف في سطور

- د. محمد عثمان الملا - من مواليد الاحساء عام ١٣٦٣ هـ .
- دكتوراه في الأدب العربي القديم مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٤٠٢ هـ - جامعة الأزهر.
- الكتب المنشورة :
 - ** الاخوانيات في الشعر العباسي : باكورة انتاج نادي الشرقية الأدبي .
 - ** الحكمة في شعر بني عبد القيس : الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع
- الكتب الجاهزة للنشر :
 - ** عروه بن الورد .. حياته وشعره .
 - ** الشعر الاخواني إلى نهاية العصر الأموي .
 - ** القيم الانسانية في الشعر العربي .
 - ** الثقافة والخيال في شعر حافظ ابراهيم .
 - ** أدب بني عبد القيس . قسم الشعر.
- إلى جانب العديد من الأبحاث والدراسات والمقالات المنشورة في مجلات محكمة وغيرها .
- المشاركة في اللجان :
 - عضو في عدة لجان داخل الجامعة وخارجها، منها لجنة مقتنيات المكتبة العامة، ولجنة مناسبة مئوية التأسيس، ولجنة تسمية شوارع المنطقة الشرقية، ولجنة تحكيم مطبوعات نادي الشرقية الأدبي، ورئيس لجنة الكتب والمواد العربية بقسم الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن .
- المساهمة في بعض المؤتمرات والندوات العلمية، واعداد بعض البرامج الأدبية للاذاعة السعودية، ومراجعة أبحاث لعدد من الزملاء، والمشاركة في تحكيم أبحاث خارج الجامعة وفحصها، ومناقشة بعض رسائل الدكتوراه والماجستير وتحكيمها.

نبذة عن قبيلة عبد القيس

عبد القيس من أكبر وأقدم القبائل العربية التي استوطنت منطقة الخليج العربي منذ سبعة عشر قرناً، وتفتقت مواهبها الأدبية على ضفافه، وقد أنجبت رجالاً بارزين في مختلف ميادين الحياة الأدبية والسياسية والدينية والعسكرية على مر العصور. كما ظهر فيها نساء بارزات في مجال الأدب والتربية. وهذا الكتاب يعني بجانب هام من أدب القوم، وهو الحكمة في شعرهم، ويمثل هذا الباب سنام الشعر العربي، حيث يجمع بين نورانية العقل ووهج العاطفة، فهو مدرسة يتعلم فيها المرء المثل العليا والقيم الرفيعة، ويعد هذا الكتاب باكورة ما ألف حتى الآن في مجال حكمة عبد القيس على امتداد تاريخها الطويل، وهو يشتمل على أجل وأجمل ما أنتجوه في هذا الموضوع .